تاريخ

الأمير يشبك الظاهري

تأليف

شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبي

(المعروف بابن أجا)

٨٢٠ – ٨٨١ هـ

تحقيق

الدكتور عبد القادر أحمد طليمات

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

مطبعة المدنى
٦٨ شارع العباسية ـ القاهرة

مقدمة

المخطوط الذى نقدمه للمهتمين بتاريخ مصر ، يسجل فترة من تاريخ مصر السياسى والحربى ، وهى فترة أواخر حكم السلاطين المماليك فى مصر ، ومن خلال المعلومات التى أوردها المؤلف فى مخطوطه ، يتبين مدى الصراع الذى كان بين سلاطين مصر ، وبين الطامعين بمصر من جيرانها القريبين منها والبعيدين : السلطان العثمانى من ناحية ، وسلطان تبريز من ناحية أخرى ، وكان كلاهما يستعين بولاة مصر فى الشام لتحقيق مطامعهما ، وذلك بإغرائهم على الخروج عن طاعة سلطان مصر ، وكان أكثر هؤلاء الولاة إزعاجا هم ولاة ولاية « الأبلستين » ، الذين كثيراً ما كانوا يخرجون عن طاعة سلاطين مصر ، فيجرد عليهم السلاطين الحملات العسكرية لإخضاعهم ؛ ومن هذه الحملات ، هـذه الحملة التى قادها الأمير يشبك الظاهرى سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) لاخضاع شاه سوار والى الأبلستين لخروجه عن الطاعة ؛ وقد رافق المؤلف الحملة ، ودون أحداثها وأخبارها تدوين شاهد عيان .

وكان المؤلف قد عهد إليه بالسفارة لدى سلطان « تبريز » حسن الطويل فى مهمة سياسية ، فترك الحملة وسار إلى تبريز لأداء المهمة ، وحرص المؤلف على وصف الطريق من « حلب » إلى « تبريز » ذهابا وإيابا ، فسجل مشاهداته فى كل مدينة أقام بها أو مر عليها ، فقدم لنا بهذا ، مادة جغرافية لا بأس بها ، تضمنت وصف الأماكن ، وتقاليد وعادات الشعوب التى رآها ، فى طريق ذهابه وعودته .

وفى المخطوط أيضاً ، معلومات عن الرتب العسكرية والادارية المصرية فى عصره ، ومعلومات عن أنواع الملبوسات وأسمائها التى كان يهديها السلطان إلى كبار رجال الدولة من العسكريين والمدنيين .

والمخطوط ـ بعد ذلك ـ مصدر من مصادر تاريخ مصر فى أواخر العصر المملوكى .

والله ولى التوفيق .

مصر الجديدة : ذو القعدة ١٣٩٣
ديسمبر ١٩٧٣

د/ عبد القادر أحمد طليمات

(أ) المؤلف[١]

مؤلف الكتاب هو شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبى ، ويعرف بابن أجا ، وهو لقب أبيه .

* * *

وقد ولد المؤلف فى مدينة حلب فى سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ، ونشأ وتعلم بها . فحفظ القرآن ، والقدورى ، والمنار ، وفى النحو حفظ كتاب «الضوء» . وكان يجيد اللغة التركية إجادة تامة ، بحيث كان ينظم بها الشعر ، فقد ترجم كتاب « فتوح الشام » المنسوب للواقدى نظما باللغة التركية فى اثنى عشر ألف بيت .

ومن شيوخه : البدر بن سلامة[٢] ، وقد « اشتغل عليه » ، والبرهان الحلبى[٣] وقد سمع عليه « الحديث » ، وابن حجر العسقلانى[٤] وقد أخذ عنه بمدينة آمد[٥] . وكان المؤلف كثير التردد على القاهرة ـ كما يقول

---

(١) اعتمدنا فى ترجمة للمؤلف على السخاوى « الضوء اللامع » ٤٣/١٠ ، وما أخذناه عن غيره ، أشرنا إليه فى الحواشى .

(٢) هو بدر الدين محمد بن أبى بكر بن محمد بن سلامة الماردينى الحنفى ، توفى سنة ٨٣٧ هـ . (ترجمته فى شذرات الذهب : ٢٢٣/٧) .

(٣) هو الحافظ برهان الدين أبو إسحق بن محمد بن خليل الحلبى المعروف بـ « القوف » توفى سنة ٨٤١ هـ . (ترجمته فى شذرات الذهب : ٢٧٠/٧) .

(٤) هو شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلانى . توفى سنة ٨٥٢ هـ . (ترجمته فى شذرات الذهب: ٢٧٠/٧) .

(٥) آمد : (بكسر الميم) : هى أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكرا ، وهى بلد حصين ركين مبنى بالحجارة السود ، وعلى نشزه نهر دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال ، وفى وسطه عيون وآبار قريبة نحو الذراعين يتناول ماؤها باليد ، وفيها بساتين ونهر يحيط بها سور (ياقوت : معجم البلدان) .

السخاوى – ويبدو أن أول زيارة منه للقاهرة ، كانت فى سنة ٨٤٣ هـ (١٤٣٩ م) بصحبة خاله[1] ، وفى زيارته هذه اجتمع بابن حجر مرة أخرى ، كما أخذ بها عن ابن الديرى : وفى مكة صحب خطيبها أبا الفضل .

وقد انبرى هو للحديث ، معتمداً على كتاب « الشفاء » .

* * *

وليس لدينا معلومات عن الوظائف التى شغلها المؤلف سوى أنه شغل وظيفة قاضى العسكر ، كما أنه كان إماماً فى الصلاة للأمير أزبك الظاهرى ؛ ولكن يبدو أنه كان إماماً للأمير بحكم الصحبة التى كانت بينهما .

وقد كان بحكم وظيفته يرافق الحملات العسكرية عند خروجها للقتال ، وقد ذكر المؤلف نفسه ذلك فى كتابه حيث يقول فى معرض إعجابه بالموكب الذى خرج به الأمير يشبك بحملته من القاهرة ورافقه فيها المؤلف : « ولقد سافرت مع الأمراء مراراً ، فلم أر منهم من سافر على هذه الكيفية » .

وكان إلى جانب وظيفته كقاض للعسكر ، يقوم بمهمة السفارة الرسمية السياسية ، فقد أرسله الأمير يشبك الظاهرى فى سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠م) إلى السلطان حسن الطويل صاحب العراقيين ، وقد حدثنا المؤلف عن سفارته هذه فى كتابه[2] .

كذلك أرسله الأمير يشبك سفيراً إلى السلطان العثمانى فى سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) ، وسبب السفارة ، أنه فى تلك السنة نشبت الحرب بين الأمير يشبك وبين حسن الطويل ، فأرسل السلطان العثمانى إلى الأمير يشبك رسولا

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن صالح المرعشى . توفى سنة ٨٧٢ هـ . (ترجمته فى الضوء اللامع : ١/٢٥٤) .

(٢) سوف نتحدث عن هذه السفارة والغرض منها فيما يلى ، عند تعريفنا بموضوع الكتاب .

ابن إياس : بدائع الزهور : ٢/١٤٤ (المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١١هـ)

يعرض عليه أن يكون عوناً له على السلطان حسن الطويل ، فأرسل الأمير يشبك المؤلف إلى السلطان العثمانى ومعه هدية إليه وكتابا يقول له فيه ، أن يتصل بالسلطان قايتباى مباشرة ، ويعرض عليه اقتراحه .

كذلك أرسل السلطان قايتباى المؤلف رسولا منه إلى حسن الطويل فى سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) ولم يذكر ابن إياس – الذى ننقل منه هذا الخبر – سبب هذه السفارة ولا القصد منها ، وإنما ذكر فقط عودة المؤلف من عند حسن الطويل فى شهر جمادى الأولى من السنة ، ويبدو أن سبب السفارة هو القتال الذى نشب بين الأمير يشبك وبين حسن الطويل فى الشهر السابق – أى فى شهر ربيع الآخر – . فقد ذكر ابن إياس أنه حدث خلاف بين حسن الطويل وبين ابنه « اعزلو » فلجأ الابن إلى نائب حلب يستنصره على أبيه فاستجاب له النائب وجهز معه جماعة من عسكر حلب ، ولما دار القتال بينهم وبين عسكر حسن الطويل انهزم العسكر الحلبى هزيمة شنيعة وسقط بعض كبار القواد قتلى فى المعركة ، ولعله لما بلغ السلطان قايتباى خبر الهزيمة أرسل المؤلف إلى حسن الطويل ليسوى الأمور بينهما ، وعاد المؤلف من سفارته ، وأخبر السلطان بأن الطاعون قد انتشر فى بلاد حسن الطويل ، وأنه مات من عسكره مالا يحصى ، وأن أمره قد تلاشى . فسر السلطان بهذا الخبر[1] .

* * *

وكان للمؤلف مكانة رفيعة عند بعض الأمراء . وبسبب هذه العلاقة وبما كان يتحلى به من أخلاق فاضلة ، حاز مكانة ممتازة بين معاصريه . فقد كان إماما فى الصلاة للأمير أزبك الظاهرى – كما سبق أن ذكرنا – كذلك كان حائزاً على ثقة الأمير يشبك الظاهرى . ولذلك كان محط أنظار معاصريه ، فكانوا يلجؤون إليه لقضاء حوائجهم . فكان يلبى رغباتهم دون إهمال

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور : ٢/١٦٠ .

حتى حمدوه ، وحتى حمده أيضا السخاوى نفسه ، حيث يقول : « وقصد [المؤلف] بالشفاعات خصوصاً فى أواخر عمره ، حمد الناس أمره فيها ، وكنت ممن حمدأمره معه » . ويجمل السخاوى صفات المؤلف فيقول : « كان عاقلا ، عارفا ، ذكيا ، متودداً ، متواضعاً ، وخالق الناس بالجميل » .

* * *

ويدل حديث المؤلف عن نفسه فى كتابه بمناسبة تدخله فى الصلح بين أمراء الحملة وبين الأمير يشبك ، ثم اشتراكه فى المفاوضات بين شاه سوار ونوابه على القلاع من ناحية ، وبين الأمير يشبك من ناحية أخرى ، على أن المؤلف كان قديراً على الإقناع ، كذلك حديثه مع السلطان حسن الطويل فى سفارته إليه ، يدل على أنه كان دبلوماسياً بارعاً ، فقد استطاع الخروج من المأزق الذى زجه فيه السلطان حسن الطويل ، حيث يذكر المؤلف ، أن السلطان قال له فى أول اجتماع معه : أنه يحب السلطان قايتباى ويعتبر مملكتهما مملكة واحدة ، ولذلك فهو يعجب لماذا لم يطلب السلطان قايتباى معونته ضد شاه سوار ، مع أنه عرض معونته على السلطان قايتباى مراراً ، فتجاهله السلطان ولم يعن بالرد عليه ؛ وهنا لم يشأ المؤلف أن يواجه السلطان بالسبب الحقيقى الذى من أجله أهمل السلطان قايتباى الرد عليه ، وهو طمعه (أى طمع السلطان حسن) ببلاد أرمينية والشام التابعة لمصر ومحاولته الاستيلاء على بعضها(١) ، لم يرغب المؤلف أن يواجه السلطان حسن بهذا ، وإنما أجابه إجابة فيها براعة وحسن تخلص ، تضمنت الإشادة به وبالسلطان قايتباى فى نفس الوقت . قال المؤلف يجيبه : « بسعادة مولانا البادشاه (لقب السلطان حسن) الأمر مايحتاج إلى هذا ، وسوار أقل وأخس من أن يجتمع

---

(١) ذكر ابن إياس فى « بدائع ازهور » ، محاولات حسن الطويل فى التوسع على حساب مصر . أنظر — على سبيل المثال — أخبار سنوات : ٨٦٠ه ، ٨٦٦ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ .

عسكر مولانا السلطان ـ خلد الله ملكه ـ وعسكر البادشاه . وهذا (يعنى سوارا) من بعض تركمان المملكة الحلبية » ثم عرج على رفض السلطان قايتباى معونته ، فقال : « وما سبق من الأمور فسببه ظاهر لايحتاج إلى التفصيل ، لأن مجلس البادشاه لا يحتمل قط ذلك ، ومولانا البادشاه يعلم حقيقة الحال » . وهكذا خرج المؤلف من المأزق ببراعة .

* * *

ويبدو أن الأمير يشبك كان كثير البر بالمؤلف ، حيث نجد المؤلف يغرق فى مدح الأمير فى كتابه ، حتى أنه ليخيل للقارىء أن الدنيا لم تنجب إنساناً كأميره يشبك لا فى الشجاعة ولا فى كرم الأخلاق ولا فى الفضائل ، وقد أشار السخاوى فى ترجمته للمؤلف إلى الكتاب . فقال : إن فيه « منكر كبير » ولعل السخاوى يعنى إغراق المؤلف فى مدح الأمير .

* * *

وموضوع الكتاب ـ كما سنذكر ذلك بعد ـ عن حملة عسكرية قادها الأمير يشبك للقضاء على شاه سوار الثائر على السلطنة المصرية فى الأبلستين ، رافق المؤلف الحملة بصفته قاضياً للعسكر . وقد جرت التقاليد الحربية الإسلامية أن يرافق كل جيش قاض للعسكر للفصل فى الخصومات والنزاعات التى تحدث بين الجند وبعضهم بعضاً ، أو بين القواد وبعضهم بعضا ، وقد يحتاج الأمر فيكلف قائد الجيش قاض العسكر بمهام أخرى ـ كما حدث مع المؤلف ـ فهو يحدثنا أنه اشترك فى المفاوضات التى دارت بين الأمير يشبك وبين الخصم شاه سوار ونوابه بشأن تسليم قلعة عينتاب ، وبشأن الصلح الذى عرضه شاه سوار على الأمير بعد هزيمته ، كذلك كان يتوسط فى الخلاف الذى كان يحدث بين الأمير يشبك وبين بعض قواده ، وكان يشرف أيضاً على توزيع الهبات المالية التى يهبها الأمير يشبك للجند أو للأمراء تحميساً لهم أو مكافأة لصدقهم فى القتال ؛ واشترك المؤلف أيضاً فى إخماد

فتنة الجند الذين اعتدوا على إحدى القرى فنهبوا أهلها ، وبالإضافة إلى هذا كله ، فقد كلفه الأمير بالقيام بسفارة سياسية منه إلى السلطان حسن الطويل صاحب العراقين ، حدثنا المؤلف عنها فى كتابه .

* * *

وقد توفى المؤلف فى شهر جمادى الأولى سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) فى حلب ، عقب مرض ألم به ، ودفن عند خاله .

(ب) الكتاب

موضوع الكتاب :

تحمل بعض النسخ الخطية للكتاب عنوان « رحلة الأمير يشبك » وبعضها الآخر يحمل عنوان «تاريخ الأمير يشبك» ، وسبب هذا الاختلاف هو خلو النسخ جميعها من تسمية المؤلف لكتابه ، والواقع أن أياً من العناوين لا ينطبق على موضوع الكتاب ، لأن موضوعه ، عبارة عن حملة عسكرية قادها الأمير يشبك من مصر فى شهر شوال سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠م) لمحاربة « شاه سوار » الذى اعتدى على أملاك مصر : الأبلستين [١] وتوابعها واستولى عليها بالقوة ، ثم عاد الأمير بالحملة فى شهر ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) ، فموضوع الكتاب إذن ينحصر فى أحداث فترة زمنية تقل عن سنتين ، والغرض من خروج الأمير من القاهرة هو القتال ، وليس الرحلة أو السياحة ، والعنوان الصحيح الذى يطابق موضوع الكتاب ، هو « حملة الأمير يشبك إلى الأبلستين » أو « حملة الأمير يشبك لقتال شاه سوار » أو أى عنوان آخر لا يحمل أياً من اللفظين « رحلة » أو « تاريخ » . وبرغم هذا الاختلاف وعدم الدلالة ، اخترنا أحد العنوانين المعروفين وهو «تاريخ الأمير يشبك » لأنه العنوان الوارد فى أوثق النسختين المعروفتين .

---

(١) الأبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم . (ياقوت : معجم البلدان) . وفى « مراصد الاطلاع » ١/١٧ « ابلستين » (بالفتح ثم الضم ولام مضمومة وسين مهملة ساكنة وتاء بنقطتين فوقها مفتوحة وياء ساكنة ونون) مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من «أبسس» «مدينة أصحاب الكهف» . وفى « بلدان الخلافة الشرقية » تأليف ل سترانج ص ١٧٨ : أن اسمها القديم « أرابيسوس Arabisaus » ، وأنها تقع شرق قيصرية ، وهى من مدن الثغور أيام الروم .

والأمير يشبك قائد الحملة، هو – كما ترجمه السخاوى[١] – يشبك من مهدى الظاهرى جقمق، ويعرف بالصغير[٢].

* * *

وكان يشبك رقيقاً اشتراه الملك الظاهر جقمق الذى كان سلطانا على مصر فيما بين سنتى ٨٤٢ و٨٥٧ هـ (١٤٣٨–١٤٥٣ م)، ولم نقف له على أخبار فى سلطنة جقمق، إلا أنه لما توفى السلطان جقمق، كان للأمير يشبك اليد الطولى فى استخلاف ابنه الملك المنصور أبى السعادات فخر الدين عثمان، وأبدى من الفروسية والشجاعة حينئذ ما لفت إليه أنظار السلطان الأشرف إينال الذى تسلطن بعد الملك المنصور فى سنة ٨٥٧هـ، فخاف على نفسه منه فقبض عليه فى أول سلطنته ونفاه إلى «قوص»، ثم عاد فى سلطنة خشقدم فى سنة ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) بعد وفاة السلطان إينال، وقد بدأ يشبك فى الظهور فى

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٢٧٢/١٠.

(٢) يلاحظ فى الاسم «يشبك من مهدى» وليس «ابن». واللفظ «من» يوجد فى أسماء كثير من الأمراء المماليك، واللفظ «من» لا تعنى فى معناها لفظ «ابن» الدال على البنوة. ولم نقف على معنى «من» فى الأسماء. لا فى المصادر المملوكية ولا فى غيرها، ولذلك نحن نرجح أن اللفظ «من» يعنى النسبة إلى الشخص الذى ربى المملوك، نستنتج هذا مما ذكره السخاوى (الضوء اللامع: ٢٧٥/١٠) فى ترجمته لـ «يشبك الجكمى من عوض» فإنه يقول: إن يشبك «تنقل بعد أستاذه حتى اتصل بخدمة المؤيد»، و«عوض» هو أستاذ يشبك، و«الأستاذ» فى المصطلح المملوكى، هو «المربى». وعلى ذلك فإن «مهدى» هو الشخص الذى ربى الأمير يشبك قائد الحملة فنسب إليه، ثم باعه للسلطان الظاهر جقمق، فنسب يشبك إليه نسبة أخرى وهى «الظاهرى» لأنه أصبح من مماليكه أو أمرائه أما صفة «الصغير» فلعلها تمييزاً له عن «يشبك» آخر يعرف بـ «الكبير».

سلطنة خشقدم، فقد كان يشبك فى ذلك الوقت «دواداراً صغيرا»، فخلع عليه السلطان خشقدم فى أوائل سنة ٨٧١هـ (١٤٦٦م) وعينه «كاشف الصعيد بأسره ونائب الوجه القبلى بكماله إلى أسوان»، كذلك أنعم عليه بإمرة عشرة. يقول ابن إياس: «وهذا أول عظمة يشبك من مهدى وإظهاره فى الرئاسة، حتى بلغ فيها ما سيأتى ذكره فى محله»[١].

ولما توفى السلطان خشقدم فى ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ (١٤٦٧م)، تولى السلطنة الظاهر أبو سعيد سيف الدين يلباى، ولكنه خلع فى شهر جمادى الأولى من نفس السنة، فولى السلطنة الظاهر أبو سعيد تمربغا، ولكنه عزل أيضاً فى شهر رجب من السنة نفسها، وعندئذ اختلف الأمراء فيمن يعتلى كرسى السلطنة، وكان عدد كبير منهم يرغبون فى قايتباى، وكان الأمير يشبك فى مصر فى ذلك الوقت، وكان هواه مع قايتباى للصحبة التى انعقدت بينهما فى الصعيد، فطلع مع جماعة من العسكر إلى القلعة، واحتلوا باب السلسلة، ثم قبض هو وأمير آخر يقال له تمراز الشمسى على السلطان تمربغا، ولما أن تمت السلطنة لقايتباى، نفى السلطان المخلوع إلى دمياط[٢]، ثم كافأ قايتباى الأمير يشبك بأن خلع عليه، وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضاً عن خاير بك – وكان ذلك فى شهر جمادى الأولى من نفس السنة – ومنذ ذلك الوقت، أصبح الأمير يشبك خصيصاً بالسلطان، فقد أغدق عليه قايتباى من المناصب: الوزارة، وكشوفية الكشاف، وإمرية سلاح، ومدبر الدولة، «فارتقى فى دولته حتى صار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية»، واجتمع

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور (صحائف لم تنشر) ص ١٦٧ وطبعة المطبعة الأميرية: ١٩٩/٢؛ السخاوى: الضوء اللامع: ٢٧٢/١٠، وقد ذكر ابن إياس أخبار الأمير يشبك على السنين.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ٢٠٢ – ٢٠٤.

فيه عدة وظائف سنية » ، « فعظم أمره جداً »[١] . كذلك أضيف إليه النظر (الإشراف) على خانقاهين[٢] هما خانقاه سعيد السعداء والخانقاه البيبرسية وغيرها ، « وبالجملة فصارت الأمور كلها لا تخرج عنه ، وارتقى لما لم يصل إليه فى وقتنا غيره من أبناء جنسه »[٣].

ولكن لأسباب لم يذكرها المؤرخون ، أخذ الأمير يشبك يستعفى من بعض هذه المناصب ، ففى شهر شوال سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) ، طلب من السلطان أن يعفيه من منصبى الوزارة والاستدارية فأعفاه منهما[٤] ، ولكن يبدو أنه عاد إلى منصب الاستدارية مرة أخرى ، حيث يذكر المؤرخ ابن إياس ، أنه استعفى من منصب الاستدارية فى شهر ربيع الأول سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) ، فعين السلطان مكانه القاضى تاج الدين بن المقسى[٥] . ولكنه عاد وشغل المنصب مرة ثالثة فى شهر رجب سنة ٨٨٣هـ[٦] (١٤٧٨ م) . وفى شهر شوال من نفس السنة ، استكملت عظمة يشبك ، ففى ذلك الشهر وفى

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٩٩/٢ .

(٢) الخانقاه : ويقال لها : الخانكاه ، (والجمع : خانقاهات ، وخوانك) . وهو موضع يخلو فيه المتصوفون للعبادة (المقريزى : الخطط ٢٧١/٤) وخانقاه سعيد السعداء ، أنشأها صلاح الدين الأيوبى ، وسبب تسميتها بهذا الاسم ، أن البناء كان داراً لشخص يقال له الأستاذ « قنبر » سعيد السعداء عتيق الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (المقريزى : الخطط ٢٧٣/٤) .

وأما الخانقاه البيبرسية ، فنسبة إلى الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ = ١٢٥٩-١٢٧٧م) وقد بناها وهو أمير قبل أن يلى السلطنة (المقريزى:الخطط ٢٧٦/٤) .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع : ٢٧٣/١٠.

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٤٩/٢ .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ١٧٢/٢ .

(٦) ابن إياس : بدائع ازهور ١٨٤/٢ .

يوم عيد الفطر، خلع عليه السلطان ، وجعله مدبر المملكة « فصار على رأس مجلس الميسرة وهو بالقدمر ويقف فى الحوش » ، ويعود ابن إياس ويقول : « ولم تجتمع هذه الوظائف فى أحد من الأمراء قبله »[١] .

وفى شهر المحرم من سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) عينه السلطان قايتباى « متحدثاً »[٢] على ثغر دمياط ، فتوجه إليها ، وأنشأ فيها سلسلة من حديد ـ تزن نحو من مائتين وخمسين قنطاراً ـ عند البرج الذى كان قد أنشأه الملك الظاهر بيبرس ـ وكان أمر السلسلة قد أهمل بمرور الزمن ـ وذلك خوفا من عبث الفرنج بالسواحل[٣] .

وعندما سافر السلطان إلى الحج فى شهر شوال سنة ٨٨٤هـ . ترك أمر الدولة بين يدى الوزير أزبك والأمير يشبك ، ولكن كان يشبك « هو المشار إليه فى غيبة السلطان » .

وكان الأمير يشبك حريصاً على الحفاظ على سلطنة قايتباى حفظاً لنفسه وإبقاء على وضعه ومكانته ، فكان يقضى على كل حركة مناوئة للسلطان ، وقد حدث أن الأمير جانى بك الفقيه كانت تحدثه نفسه بالسلطنة ، وكان يلجأ إلى الفلكيين والمنجمين ليستطلعوا له طالعه ، وتصادف أن مرض السلطان قايتباى بالشام ، ووصلت شائعة إلى القاهرة بموته ، فقام أحد أخصائى جانى بك يمهد لسلطنته ويجمع حوله الأنصار ، فلما بلغ يشبك ذلك ، أحضره ووبخه على مسمع من الأمراء ، وأمر بضربه فضرب بين

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٨٤/٢ .

(٢) هكذا وردت فى المصدر . ونرجح أنها بحسب الدلالة اللغوية للاسم نوع من الإشراف والنظارة على المدينة .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٩١/٢ ـ ١٩٢ .

يديه ضرباً مبرحا حتى أشرف منه على الموت ، ثم عممه بعمامة « يهودى صفراء » وقصدأن يشهره بالقاهرة ، فشفع فيه بعض الأمراء ، فأركبه حماراً وجرسه بين يديه فى « الدوار »[١] ، ثم شكه فى الحديد وأمر بنفيه إلى الواحات ، ولما عاد السلطان قايتباى من الشام نفى جانى بك[٢] .

أما مكانة الأمير يشبك عند السلطان قايتباى ، فان السلطان كان يعوده فى مرضه[٣] ، كذلك كان ينزل فى القبة التى بناها يشبك فى المطرية لنزهاته .

وقد جلبت على يشبك مكانته حسد بعض الأمراء ونقمتهم عليه :

ففى شهر ربيع الأول سنة ٨٧٩ هـ (١٤٧٤ م) . ثار المماليك الجلبان ثورة كبيرة ، وقصدوا قتله وهو فى داره ، فلما بلغ السلطان ذلك ، أمر الأتابك أزبك وبقية الأمراء بقتال الثوار وإخماد فتنتهم . فاضطربت الأحوال فى القاهرة ، وخاف الناس وأغلقت الأسواق ، وخشى أيضاً فتنة من الأمراء الإينالية[٤] بسبب نفى الأمير قانصوه الخفيف ، ورأى السلطان قايتباى أن يأمر الأمير ألماس — استادار الصحبة — بالذهاب إلى الأمير يشبك مع عدة كبيرة من المماليك الجلبان لاسترضائه ، فذهبوا إليه وقبلوا يده . واعتذروا له عن ماوقع منهم ، فأكرمهم يشبك ، وخلع على الأمير ألماس ، وأرضى الجلبان بالكلام ، وسكنت الفتنة قليلا[٥] .

---

(١) هكذا ورد فى المصدر ، والدوار بحسب السياق مجلس من مجالس الحكم ، ويعرف بمجلس الدوادارية ، ويظهر أنه كان هناك مجلسان يحملان هذا الإسم أحدهما صغير والآخر كبير ، كما يستدل على ذلك من نعوت المجلس .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٧٦/٢ .

(٣) ابن أياس : بدائع الزهور : ١٠٨/٢ .

(٤) هم أمراء السلطان السابق إينال .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٥١/٢ .

وفى شهر رجب من نفس السنة ، حدث بين الأمير يشبك وبين الوزير خشقدم نزاع ، وكان نزاعا حاداً عنيفاً بحيث هدد يشبك بعزل نفسه من الدوادارية ، واعتكف فى بيته وأغلق بابه ولم يجتمع بأحد من الناس ، فذهب إليه الأمير أزبك مع جماعة من الأمراء لاسترضائه وإزالة أسباب الخلاف بينه وبين خشقدم ، وقد نجحوا فى ذلك ، وطلع معهم إلى القلعة وقابل السلطان ، فخلع عليه السلطان كاملية بسمور ، وأصلح بينه وبين خشقدم الوزير ، وقبل الوزير يد الأمير يشبك ، وزال مابينهما من خلاف[١] .

وفى شهر رجب سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) ، حدث بين الأمير يشبك وبين أمير كبير يقال له خاير بك بن حديد مشاجرة بالقلعة . فاشتد حنق يشبك على خصمه فلكمه بيده فرمى « تخفيفته » عن رأسه ، وكادت الأمور تسوء ، لولا أن تدخل الأمراء بينهما وفضوا النزاع ، إلا أن القلوب « استمرت معمرة بالعداوة »[٢] .

وفى شهر ربيع الأول سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) أصلح الأمير يشبك بين الأمير جانم الشريفى — أحد أقرباء السلطان — وبين الأمير قانصوه خمسمائة[٣] (وهو والد زوجة يشبك) وأولم لهما وليمة حافلة ، ثم توفى الأمير جانم فى الشهر التالى عقب مرض انتابه ، فحامت الشبهات حول الأمير يشبك فى أنه دس له سماً فى الطعام ، يقول ابن إياس : « ووقع بسبب هذه الحادثة أمور شنيعة يطول الكلام فى شرحها » وحاول المماليك الجلبان قتله أكثر من مرة ، وكان السلطان يدافع عنه ويدفع عنه أذاهم : « وصار على رأس

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٥٤/٢ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٦٧/٢ .

(٣) قانصوه خمسمائة : أى أنه أمير على خمسمائة فارس أو مملوك (أنظر الكشاف) .

الأمير يشبك طيرة من الجلبان » كما « تغيرت قلوب الأمراء بعداوة يشبك الدوادار » فانقطع الأمير عن الطلوع إلى القلعة بضعة أيام ، فكثر اللغط فى حقه[١] » .

* * *

يصف ابن إياس المؤرخ ، الأمير يشبك ببيت من الشعر لبعض الشعراء :

ترجو وتخشى حالتيك الورى   كأنك الجنة والنار[٢]

والواقع أن سياسة يشبك كانت تتأرجح بين القسوة واللين ، والعنف والرقة ، فانه بلغ من القسوة والعنف ماجعل ابن إياس يقول : « كان الإنسان إذا قرب من بابه يستعيذ بالله من هول مايرى من الظلمة التى (الذين) ببابه »[٣] . وبلغ من اللين والرقة وعمل الخير ماجعل ابن إياس نفسه يقول : إن له « أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف »[٤] .

فمن قسوته ، أن الحكومة كانت مرتبة للفقهاء والمتعممين وبعض الناس مرتبات يومية من اللحم يتناولونها بدون مقابل ، فكانوا يأكلون بعضها ويبيعون مايفضل عنهم ينتفعون بثمنها وينتفع من يشترون بها ، فلما ولى يشبك الوزارة فى شهر ربيع الأول سنة ٨٧٣ (١٤٦٨ م) ، قطع عن كثير من هؤلاء مرتباتهم ، « فحصل للفقهاء والمتعممين فى هذه الحركة غاية الضرر والبهدلة » ، يقول ابن إياس : « وهذا أول باب المظالم وصار

(١) ابن إياس . بدائع الزهور : ١٨٧/٢–١٩٠ .
(٢) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٧٠/٢ .
(٣) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٠٧/٢ .
(٤) ابن إياس : بدائع الزهور : ٢/ ٢٠

الأمر يتزايد بعد ذلك » . وقد فعل يشبك هذا بتحريض من ناظر الدولة قاسم شغيتة[١] .

وتوجه يشبك إلى الوجه القبلى (وعاد منه فى شهر جمادى الأولى من نفس السنة (سنة ٨٧٣). فنهب البلاد، وأسر نساء العربان وأولادهم حتى قيل: إنه أحضر معه نحواً من أربعمائة امرأة ، وقد مات منهن من الجوع عدد كثير ، الأمر الذى أثار ثائرة العرب ، فلما عاد يشبك إلى القاهرة حصل منهم « مالا خير فيه من البلاء وسلب المسافرين ، ووقع منهم غاية الفساد »[٢] .

ولما ولى الاستدارية فى شهر شعبان سنة ٨٧٣ ، أخذ يصادر بعض الناس وخاصة من الأمراء[٣] .

وفى شهر المحرم سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) توجه الأمير يشبك إلى الوجه القبلى لجمع الغلال منها ، فراجت فى القاهرة شائعة ، بأن الأمير يشبك حكر على الغلال بالوجه القبلى ، ومنع المراكب من حمله إلى القاهرة . فقال الشهاب المنصورى الشاعر :

وظالم منه أتانا الغلا   ياويله فى الحشر من ربه
فادعوا وقولوا ربنا اطمس على   أمواله واشدد على قلبه[٤]

ولما كان فى الصعيد « فعل ببلاد الصعيد من المظالم ما لا يسمع بمثله ، حتى أنه شوى محموداً شيخ بنى عدى ، وخوزق من العربان جماعة ، وسلخ

(١) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٠٢/٢ ـ ١٠٣ ؛ السخاوى : الضوء اللامع : ٥ / ٢٧٣
(٢) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٠٤/٢ .
(٣) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٠٧/٢ .
(٤) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٠٥/٢ .

جلد جماعة ، ودفن جماعة فى التراب وهم أحياء ، وفعل بالعربان من أنواع هذا العذاب مالم يفعله أحد قبله ، فدخل الرعب فى قلوبهم » . ولما عاد إلى القاهرة ، خلع عليه السلطان ، وقدم هو إلى السلطان هدية سنية يبلغ قيمتها مايزيد على مائة ألف دينار ، مابين ذهب عين وخيول ورقيق وغلال وسكر وعسل وغير ذلك[1] ، إلا أن السخاوى يقول : إنه لما كان يشبك بالصعيد قام بوظيفته خير قيام « بحيث مهد البلاد ، وأبطل أجواق مغانى العرب التى جرت عادة الكشاف باستصحابها معهم »[2] .

وفى شهر صفر سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧م) غضب السلطان قايتباى على برهان الدين النابلسى وكيل بيت المال ، فقبض عليه وسلمه للامير يشبك ليستخلص منه الأموال ، فاستمر يشبك يعاقبه ، واستخلص منه مبلغاً كبيراً من المال وظل يعذبه حتى مات شر موتة ، فقد أذاقه أنواع العذاب ، وتفنن فى تعذيبه تفنناً زائداً ، حتى قيل : إنه ضربه عدة مرات نحواً من ألفين وستمائة عصا ، وقلع أضراسه ودقها فى رأسه[3] .

وأما لينه وأعماله الخيرة ، فإنه لما وقع الطاعون فى القاهرة فى شهر شعبان سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) واستفحل أمره ، وكان الغرباء يموتون فى الطرقات بعضهم على بعض ، أمر الأمير يشبك ببناء مغسل بالقرب من مدرسة السلطان حسن ، فصار الطرحاء من الموتى يحملون إليه ، فيغسلون ويكفنون ويدفنون ، كل هـذا من ماله الخاص ، يقول ابن إياس : « فحصل للناس بذلك غاية الرفق فى تلك الأيام »[4] . وقد انتفع بالمغسل أيضاً عندما وقع الطاعون مرة أخرى فى شهر ذى الحجة سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) فأفنى من

---

(١) ابن إياس : بدائع ازهور : ١١٦/٢ .

(٢) السخاوى : الضوءاللامع : ٢٧٢/١٠ .

(٣) ابن إياس : بدائع ازهور : ١٧٢/٢ .

(٤) ابن إياس : بدائع ازهور : ١٠٧/٢ .

الناس ما لايحصى . يقول ابن إياس : « ومما عد من محاسن الأمير يشبك الدوادار المغسل الذى فتحه عند مدرسة السلطان حسن ، فحصل للناس به غاية النفع لأجل تجهيز الموتى ـ ولا سيما الغرباء ـ وقد حاز به غاية الأجر والثواب »[1] .

وركب يوماً إلى المطرية للنزهة ، وأثناء عودته التقى فى طريقه بشيخ فلاح ومعه قفة على كتفه ، فاستوقفه يشبك وأخذ يعابثه ثم سأله : مافى قفتك ؟

قال الفلاح : بيض، جئت به لأبيعه وأشترى لأولادى به خبزاً ، فإن معى ثلاث بنات .

فسأله الأمير : فيها كم بيضة وأنا أشترى منك ذلك ؟ فأخرج له الفلاح مافى القفة من البيض ، فطلب منه أن يعدها ، فإذا هى عشرون بيضة ، فأخذ الأمير منه البيض ، وأمر أحد مماليكه بأن يدفع له عشرين ديناراً ، وقال للرجل : لوكان معك أكثر من ذلك لدفعت فى كل بيضة دينارا . يقول ابن إياس معلقاً على ذلك بقوله : « فعد ذلك من النوادر اللطيفة » ، وتمثل بقول من قال :

ترجو وتخشى حالتيك الورى ... كأنك الجنـــة والنار[2]

ويذكر السخاوى، أن الأمير يشبك كان كثير الصدقات والصلات الغزيرة، وأنه قبل أن يسافر ـ فى سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) على رأس جيش إلى الشام لمحاربة الثائر «سيف آل فضل» ـ نظر فى حال الفقراء . وصرف لأهل الخانقاه

---

(١) ابن اياس : بدائع ازهور : ٢٨٠/٢ .

(٢) ابن اياس . بدائع الزهور : ٢٨٠/٢ .

المؤيدية نفقات نحو سنتين ، ثم صرف لنزلاء خانقاه سعيد السعداء نفقات سنة ، ثم للخانقاه البيبرسية نفقات ثلاث سنين – فتأسى به غيره من النظار (نظار الوقف) فى ذلك – كما أنه أعتق جملة من مماليكه[1] .

وكان فى موسم الحج من كل عام ، يحمل عدداً من الجمال ماء وزاداً لتلاق فى العقبة الحجاج المنقطعين . وله غير ذلك أشياء من وجوه البر والمعروف[2] .

وحدث أن هدم المسلمون فى بيت المقدس كنيساً لليهود . فشكا اليهود ذلك إلى السلطان ثم إلى الأمير يشبك . فأمر الأمير باعادة بنائها ، يقول السخاوى : إن الأمير اعتذر له بسماحه باعادة بنائها « ليس محبة فيهم (أى فى اليهود) ولكن للوفاء بعهدهم »[3] .

* * *

وقد اهتم الأمير يشبك اهتماما كبيراً بالإنشاء والتعمير . وقد بدأ فى هذا المشروع النافع فى أوائل سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) حيث أمر فى شهر صفر من تلك السنة بتوسيع الطرقات والشوارع والأزقة والأسواق ، وذلك بإزالة جميع الأبنية التى أقيمت فيها بطريق غير شرعى[4] . كالربوع والحوانيت والسقائف والرواشن[5] والمساطب وغيرها ، فضيقت هذه الأبنية على المارة ،

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع : ٠ /٢٧٣ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور : ٢/٢٠٠ .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع : ٠ /٢٧٣ .

(٤) أى من غير إذن من المسئولين .

(٥) الرواشن : (جمع روشن) وهو خشب يخرج من حائط الدار إلى الطريق ولا يصل إلى جدار آخر يقابله ، (الافصاح فى فقه اللغة) ص ٢٦٣ .

فاستمر الهدم طيلة السنة وأوائل السنة التالية لها ، سنة ٨٨٣ . ومما أزاله أيضاً أبنية تمتلكها ابنة الملك الناصر فرج ، فحصل لبعض الناس ضرر من هذه الإزالة ، ولكن حصل بسببه أيضاً بعض نفع من توسعة الطرقات ، وكذلك أمر بإصلاح وجوه أبواب الجوامع والمساجد ، فجلى رخامها ، وبيض حيطانها ، وكشف عن أبواب جامع الملك الصالح – وكان قد احتوشته الأبنية من كل جانب وضيقت عليه – وظهر منه عواميد رخام فجلاها ، وأمر بتبييض الدكاكين ووجوه الربوع التى تطل على الشوارع ، وعين مشرفا على الطرقات ليشرف على عمليات التجميل . فصار يستحث الناس فى سرعة البياض والدهان « حتى صارت القاهرة كأنها استجدت فى بنائها وتزخرفها ، وصارت مثل العروس التى تجلى » . ثم إنه أمر بقلع عتبة باب زويلة وأعلى العتبة وأصلحها – فإن الأرض كانت على العتبة – فقطع الأرض ، ومهد قدام الباب ، واستمر باب زويلة مغلقاً أياماً حتى انتهى العمل منها ، « فعد ذلك من النوادر » كما يقول ابن إياس[1] . ويقول السخاوى : إنه نشأ عن توسيع الطرق « تجديد جامع الصالح والفكاهين وزخرفتها ، وظهرت أماكن [كانت] قد خفيت »[2] .

وقد استثارت هذه الإصلاحات والتجميل مشاعر الشاعر شهاب المنصورى فقال معجباً بها :

تكشفت عن محيا مصر الأستار ... وخف عنها من الأثقال أوزار

واهتزت الأرض منها بهجة ورنت ... ولاح فيها إضاءات وأنوار

كانت كصبح تعالت فوقه ظلم ... شتى فجاء لها بالنور إسفار

كانت كشمس تغشاها الغمام ضحى ... فمزقته من الأرياح إعصار

فاليوم أعطافها بالبشر مائسة ... وقدها فى حلى السعد خطار

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور : ٢/١٧٢ و ١٧٧ .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع : ١٠/٢٧٣ .

وكانت الطرق قد شابت مفارقها   والشيب إن شان ما فى أخذه عار(١)

وفى شهر ذى القعدة سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) شرع فى بناء قبة عند رأس دور الحسينية ، « فجاءت القبة من محاسن البناء فى ذلك المكان » ، كذلك هدم عدداً من القبور فى هذا المكان ، وأنشأ فيه غيطانا ومجارى الماء وسواق ، وقد أراد بذلك أن يجعله من جملة متنزهات القاهرة ، « ولو عاش لفعل ذلك »(٢) ، ولكنه توفى فى سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) .

وفى نفس الشهر ، اهتم الأمير يشبك ببياض أماكن بالقلعة ، ودهان أبوابها ، وضرب الرنوك عليها ، وجلا واجهة القصر الأبلق (٣) وما يليه حتى ظهر رخامه الملون ، وقد احتفل فى إصلاح ذلك غاية الاحتفال(٤) .
وكذلك بنى وكالة فى خان الخليلى ، وربعا ، وأنشأ بقرب الربع سبيلا ومدرسة .

وبنى فى مقابل مدرسة السلطان حسن ، ربعا وحوضاً لشرب منه

---

(١) ابن اياس : بدائع ازهور : ١٧١/٢ .
(٢) ابن اياس : بدائع ازهور : ١٩٢/٢ .
(٣) القصر الأبلق : أحد القصور التى بناها السلطان الناصر محمد بن قلاون بالقلعة ، وكان هذا القصر أبهجها ، وقد تم بناؤه فى سنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م) . ولما تم بناؤه « عمل فيه السلطان وليمة حضرها جميع الأمراء وأهل الدولة ، فأفاض عليهم الخلع السنية ، وحمل إلى كل أمير من أمراء المئين (جمع أمير مائة ـ أنظر الكشاف) ومقدمى الألوف ألف دينار ، ولمن بعدهم كل خمسمائة دينار ، وبلغت النفقة عليها (أى على القصور كلها) ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم» (الخطط التوفيقية : ٥٢/١) ؛ وفى « زبدة كشف الممالك » لغرس الدين خليل ص ٢٦ ، أن القصر الأبلق « به ثلاثة قصور وخرجاه (؟) برسم للمواكب السلطانية ، الجميع مفروش بالرخام الملون والسقوف المدهونة بالذهب واللازورد والنقوش العجيبة » .
(٤) ابن اياس : بدائع الزهور : ٩٢/٢ .

البهائم ، وسبيلا للأموات ، ومكتباً للأيتام ، « وما لا ينهض لشرحه » كما يقول السخاوى(١) .

كذلك جَمَّل المكان الذى كان يقع بين جامع آل ملك والريدانية طولا وعرضا ، حيث أزال ما فى المكان من قبور ، وجعل ذلك ساباطا(٢) يعلوه مكعباً ، وعمل فيه مزدرعات ، وحفر بئراً عظيما يعلوه أربع سواق إلى غيرها من بحرة هائلة للتفرج وحوض كبير ، ثم يخرج من الساباط ـ من باب عظيم ـ إلى قبة عظيمة ، وتجاهها غيط حسن يصل للسميساطية فيه أشتال كثيرة ، وأنشأ قبلى هذه القبة تربة عظيمة يقيم فيها شيخ وصوفية ، وبنى تجاه هذه التربة مدرسة وبجانبها سبيلا للشرب وحوضاً للبهائم .

وبنى بالقرب من المطرية قبة هائلة وبجانبها مدرسة ، وأماكن تفوق الوصف ـ على حد قول السخاوى ـ « وصار ذلك من أبهج المتنزهات بحيث يتكرر نزول السلطان للقبة ومبيته بها بخواصه »(٣) .

* * *

وكان الأمير يشبك ـ كما يقول السخاوى ـ راغباً فى إلفات ذوى الفضائل والفنون إليه ، ومباحثتهم وإلقاء المسائل عليهم ، كذلك كان عالى الهمة ، كثير الشهامة ، متين التصور والفهم وسرعة الحركة ، ومحبة الثناء عليه ، ولذا كثر مادحوه ، كذلك كان محبا لاقتناء الكتب النفيسة ، فكان يشتريها ، وأما النادر منها وما لم يستطع شراءه ، فكان يكلف من

---

(١) الضوء اللامع : ٢٧٣/١٠ .
(٢) الساباط : سقيفة بين حائطين تحتها طريق . (والجمع : سوابيط ، وساباطات) (مختار الصحاح).
(٣) السخاوى : الضوء اللامع : ٢٧٣/١٠ .

ينسخها له . يقول السخاوى : «ولو شرحت تفصيل ما أجملته لـكان مجلداً»، ويقول أيضا : إن يشبك كان يرغب الاجتماع به كثيراً ، وأنه (أى يشبك) كان يرغب فى تحصيل أشياء من مؤلفاته ،وأنه كان يحضر أولاده عنده ليسمعهم الحديث (١) .

* * *

وكان الأمير يشبك مقاتلا ممتازاً بحكم تربيته العسكرية التى يمتاز بها المماليك ، وقد اكتسب شهرته عن طريق الحروب التى اشترك فيها والمعارك التى خاضها وانتصر فيها ، وإن كان قد أصيب ببعض الهزائم مع عرب الصعيد .

وقد حارب يشبك فى ميدانين : فى الوجه القبلى فى مصر ، وفى الشام.

ففى مصر : كان يشبك كاشفا للوجه القبلى فى سنة ٨٧١ ، فثار عليه عرب هوارة . ونشب القتال بينه وبينهم ، ولـكنه انهزم منهم ، فأرسل له السلطان خشقدم ، الأمير قايتباى المحمودى معونة له (٢).

وفى سنة ٨٧٢ هـ . ثار عليه عرب هوارة مرة أخرى فى « جرجا » وتغلبوا عليه ، وقتلوا من رجاله عدداً كبيراً ، وجرح هو نفسه فى وجهه « جرحا فاحشا » وكاد أن يقتل ، فانهزم منهم إلى أسيوط ، فأرسل له السلطان نجدة (٣).

وحدث فى شهر صفر سنة ٨٨١ هـ نزاع بين الأخوين يونس وأحمد

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع : ٢٧٣/١٠ .
(٢) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٧٤ .
(٣) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٨١ .

ابنى عمر الهوارى ، وتحول النزاع إلى قتال بينهما ، فخرج يشبك إليهما من القاهرة لعله يظفر بهما أو بأحدهما ، ولـكنه فشل فى ذلك فعاد إلى القاهرة (١).

وفى شهر صفر من السنة التالية ، فر أحد الأخوين أحمد من الصعيد ، فخلع السلطان قايتباى على الأمير يشبك وقرره فى إمرة هوارة عوضاً عن أحمد بن عمر ، « فعد ذلك من النوادر » (٢).

ووقع قتال بين الأخوين يونس وداود ابنى عمر الهوارى ، فخرج الأمير يشبك إلى الوجه القبلى ، وأنشب القتال مع يونس وتغلب عليه ، فأخذ يونس يتراجع منهزماً ويشبك يلاحقه حتى بلاد النوبة حتى قبض عليه وقطع رأسه وأرسلها إلى القاهرة فعلقت على باب زويلة ، ثم قبض على أخيه أحمد وعلى جماعة من أقاربه « وانتصر على بنى عمر نصرة عظيمة » (٣) ، ثم عاد إلى القاهرة ومعه جماعة من بنى عم يونس وأقاربه وهم مكبلين بالحديد ، وأحضر معه أيضاً أحمد بن عمر — أخا يونس — ، ولما اجتمع بالسلطان ، « خلع عليه السلطان خلعة حافلة » (٤) .

أما حروبه خارج مصر ، فـكان أولها حربه شاه سوار فى سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) وهى موضوع المخطوط الذى ننشره اليوم . وفى هذه الحرب ، انتصر على شاه سوار وقبض عليه وجاء به إلى القاهرة حيث قتل . وكان لانتصاره رنة فرح فى مصر تحدث عنها صاحب المخطوط كما تحدث عنها المؤرخون المعاصرون لها .

وفى شهر جمادى الأولى سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) أغار حسن الطويل ،

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٦٦/٢ و١٦٧ .
(٢) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٧١/٢ .
(٣) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٨٢/٢ .
(٤) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٨٣/٢ .

(ويعرف أيضا بحسن باك) صاحب العراقين على « كحتا » و « كركر »[١] — وهما تابعتان لمصر — وبعث إلى شاه بضاع[٢] نائب الأبلستين من قبل سلطان مصر ، كتابا بأن يسلم إليه القلاع التى بيده وألا يخرج عن طاعته ، وخاطبه بألفاظ مزعجة ، وهدده إن هو خالفه ، فأرسل شاه بضاع المكاتبة إلى السلطان قايتباى ، فلما اطلع السلطان عليها حتى انزعج بدوره ، ثم عين الأمير يشبك قائداً على حملة أكبر من الحملة التى جردها على شاه سوار ، وعين فيها عدداً من كبار القواد ، فخرج الأمير بالحملة ، فلما وصل مدينة حلب ، جاءه رسول حسن الطويل ومعه مكاتبة يطلب فيها منه تبادل الأسرى ، فأهمله يشبك ولم يلتفت إلى ما طلبه[٣] . وأرسل فرقة من جيشه إلى مدينة البيرة[٤] التابعة لحسن الطويل لقتاله ، ففر جند حسن الطويل منهزما .

وكان السلطان العثمانى متخوفا بدوره من نشاط حسن الطويل وازدياد قوته ، فقرر أن يتعاون مع سلطان مصر للقضاء عليه ، ومن ثم أرسل رسولا منه إلى الأمير يشبك بكتاب يعرض عليه فيه استعداده لمعاونته ضد حسن الطويل ، فرد عليه الأمير يشبك بأن يتصل بالسلطان قايتباى مباشرة ويعقد معه مودة ، فبلغ حسن الطويل نبأ مشروع التحالف ، فعزم على الاستعانة بالفرنج لمحاربة كل من السلطان العثمانى والأمير يشبك ، ومن ثم أرسل لهم

(١) كركر : لعلها « كركرة » ، وهى من بلاد أرمينية (ابن خرداذبة : المسالك والممالك) ص ١٢٣ .

(٢) سوف يرد اسمه فى النص « شاه بداق » .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور: ٢/١٤١و١٤٣ .

(٤) البيرة : (بالباء والياء) بلد قريب من سميساط ، بين حلب والثغور الرومية ، وهى قلعة حصينة ، ولها رستاق (قرية) واسع (ياقوت : معجم البلدان) . وفى « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير ٩/١٥٦ ، أنها قلعة منيعة على نهر الفرات من الجانب الجزرى .

كتابا يطلب فيه معونتهم ، ورسم لهم فى الكتاب خطة القتال ، وذلك بأن يغيروا هم على بلاد الدولة العثمانية وعلى بلاد الشام التابعة لمصر من البحر ، ويغير هو من البر ، غير أن الكتاب لم يصل إلى الفرنج ، وإنما وقع فى يد رسول السلطان العثمانى المتوجه إلى مصر ، ذلك ، أنه لما وصل للسلطان العثمانى رد الأمير يشبك ، أرسل رسولا منه إلى السلطان قايتباى ليعرض عليه مشروع التحالف معه ضد حسن الطويل ، وتوجه الرسول إلى مصر عن طريق البحر ، وفى المركب الذى كان يستقله ، التقى برسول حسن الطويل إلى الفرنج ، وبطريقة لم يذكرها المؤرخون ، عرف الرسول العثمانى مهمة رسول حسن الطويل فقبض عليه واستولى منه على الكتاب ، وواصل سيره إلى مصر ، ولما اجتمع الرسول بالسلطان قايتباى ، أطلعه على الكتاب ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ، ثم أرسل إلى السلطان العثمانى رسولا من عنده للتفاوض[١] .

ثم انتصر الأمير يشبك على حسن الطويل واستولى منه على « البيرة » فلما وصل خبر الانتصار إلى القاهرة ، أنشد الشعراء فى ذلك ، ومنهم شمس الدين القادرى ، فقال مخاطبا حسن الطويل :

أيا حسن الطويل بعثت جيشا   كأغنام وهن لنا غنائم
فنار الحرب قد قتلت سواراً   وأنت لسبكها لا شك حاتم

وقال المنصورى مخاطبا عسكر يشبك المنتصر :

أيها العسكر الذى سار قاصداً   لقتال الطويل لا تنظروه
لا تطيلوا مع العدو كلاما   فى وغى الحرب والطويل أقصروه[٢]

(١) ابن إياس : بدائع الزهور: ٢/١٤٥

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور: ٢/١٤٤

ولما عاد الأمير يشبك إلى القاهرة(١) ، كان يوم دخوله «يوما مشهودا» فخلع عليه السلطان قايتباى و «نزل إلى داره فى موكب حافل»(٢) .

وفى شهر صفر سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠م) خرج «سيف» أمير آل فضل عن الطاعة ، فحاربه أزدمر نائب حماة ، فانتصر «سيف» وقتل أزدمر ، فلما بلغ السلطان قايتباى ذلك ، عين الأمير يشبك قائداً على جيش وأرسله إلى حماة لقتال «سيف» ، فرحب يشبك بهذه السفرة لأنه كان عازما على المسير إلى حماة للاقامه بها لوقوع خلاف بينه و بين بعض الأمراء ، بحيث تآمروا على قتله(٣) ، ثم إن بعض الأعاجم حسن ليشبك «أن مماسكة حسن الطويل سائبة ، وأن العسكر مختلف على ابنه يعقوب ، ومتى حاربهم لا يقدرون على محاربتك ويسلموك مماسكة العراق قاطبة» ، فانصاع الأمير يشبك لهذا الكلام ، وسأل السلطان السفر بنفسه»(٤) .

ثم خرج يشبك لمهمته وكان فيها هلاكه ، فقد سار إلى الرها وحاصرها ليستولى عليها ، ولكن «بايندر» نائب يعقوب بن حسن الطويل عليها ، هزمه هزيمة منكرة ، وأسر عدداً من أمراء جيشه ثم قبض عليه وقطع رأسه وأرسلها إلى يعقوب فى تبريز ، فطاف بها بلاد العجم وهى على رمح ، كذلك طافوا بالنواب والأمراء الذين أسروا وهم مقيدون(٥) . وجىء بجثته إلى القاهرة (فى شهر ذى القعدة) فتلقاها السلطان وجميع المقدمين فمن دونهم ، ودفنت بتربته «وارتجت النواحى لقتله»(٦) . وهكذا انتهت حياة الأمير يشبك — وله من العمر نحو ست وخمسين سنة — ويرثيه ابن إياس

---

(١) عاد الأمير يشبك وجيشه فى شهر رجب سنة ٨٧٨ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ١٤٨/٢ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ١٩٤/٢ و١٩٥ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ١٩٥/١ ، وكانت الهزيمة فى شهر رمضان من السنة .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور: ١٨٨/٢ و١٨٩ .

(٦) السخاوى : الضوء اللامع ٢٧٤/١٠ .

بقوله : «كان الأمير يشبك أميراً جليلا ، معظما ، فى سعة من المال ، ذا شهامة زائدة ، وحرمة وافرة ، وكلمة نافذة»(١) .

وكانت صفته — كما يصفه ابن إياس — : أبيض اللون ، مدور الوجه ، أشهل العينين ، أشقر اللحية ، طويل القامة ، ملء الجسد»(٢)

* * *

وأما شاه سوار ، فهو أحد أبناء أسرة دلغادر(٣) التى ظهرت حوالى سنة ٧٤٠ هـ (١٤٣٦م) ، فاتخذ سلاطين مصر أبناءها نوابا لهم على «الأبلستين» وتوابعها ، وكان منهم من يخرج عن الطاعة رغبة فى الاستقلال عن مصر ، أو يظهر منافس من أبناء الأسرة يطمع فى المنصب ، فيعمل على أخذه من قريبه بالقوة كما فعل شاه سوار ، فإنه طمع فى الأبلستين ونافس أخاه عليها . واستعان فى تحقيق غرضه بالسلطان العثمانى — خصم مصر — واستعمل فى جيشه التتر المخربين ، ونجح سوار واستولى على الأبلستين وطرد أخاه منها ، وأصبح مناوئاً لسلطان مصر ، وبلغ من القوة والنفوذ حداً كبيراً ، بحيث اتخذ لنفسه كل مظاهر السلطنة ، فخطب له على المنابر ، وسك العملة باسمه ، بالإضافة إلى أنه أخذ يهدد بلاد الشام التابعة لمصر وبخاصة مدينة حلب ، الأمر الذى سبب لسلاطين مصر المتاعب ، فجردوا عليه حملتين كبيرتين فهزمهما شر هزيمة ، فضاعت هيبة السلطنة المصرية عند الملوك — كما يقول ابن إياس :

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٩٩/٢ ،

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور : ١٩٩/٢ .

(٣) هكذا فى ابن إياس «بدائع الزهور» وأيضاً فى كتاب «أخبار الدول وآثار الأول» للقرمانى . وأما فى «معجم الأنساب» لزامباور «ذلقادر» .

فقد حدث فى سنة ٨٧٠ هـ (١٤٦٥ م) أن قتل أصلان بن سليمان نائب الأبلستين ، وكان أخوه شاه سوار يطمع فى أن يخلفه فى النيابة ، ولـكن يبدو أن العلاقة بينه وبين سلطان مصر خشقدم لم تـكن طيبة ، حيث لجأ سوار إلى السلطان العثمانى لـكى يتوسط له لدى سلطان مصر فى تعيينه فى النيابة خلفاً لأخيه ، فأرسل السلطان العثمانى إلى السلطان خشقدم رسالة يطلب منه فيها النيابة لسوار، ولـكن السلطان كان عين شاه بداق — أخا أصلان وسوار — نائباً خلفاً لأخيه أصلان — وذلك فى شهر ربيع الاخر — قبل وصول رسالة السلطان العثمانى ، فلما علم السلطان العثمانى بذلك غضب ، وأرسل جنداً إلى سوار معونة له على حرب أخيه بداق والاستيلاء على الأبلستين ، ويذكر المؤرخ ابن اياس ، أن سبب مساعدة السلطان العثمانى لسوار ، هو تعصبه على السلطان خشقدم ، ويمكن إضافة سبب آخر لتجاوب السلطان العثمانى مع سوار، هو صلة المصاهرة التى كانت بينهما .

ولما بلغ السلطان خشقدم ذلك . « اضطربت أحواله ، وقلق من هذه الأخبار » ثم أخذ يجهز جيشا كبيراً لمحاربة سوار ، وبينما كان جيش مصر يستعد للخروج من مصر ، وصلت الأخبار بأن سواراً انتصر على أخيه بداق واستولى منه على الأبلستين ، فأهمل السلطان إرسال الجيش . وانتظر « حتى يرى من أمر شاه سوار مايـكون » . وكان ذلك فى شهر جمادى الاخرة[1] . ولـكن سواراً لم يستمتع طويلا بالإمرة ، فقد ثار عليه أهل الأبلستين فى شهر شوال من نفس السنة ، ورفضوه أميراً عليهم ، فخرج من المدينة هاربا ، عندئذ عزل السلطان شاه بداق لتقصيره فى محاربة أخيه سوار ، وعين مكانه عمه رستم ، وأرسل إليه خلعة الإمرة[2] .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٥٨ و١٥٩ و١٦١ .
(٢) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٦٥ .

ولـكن شاه سوار عاد فى شهر ربيع الاخر سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) وأغار على عمه رستم ونشب القتال بينهما ، فأمر السلطان ، نائب حلب بمساعدة رستم[1] ، ولم يذكر المؤرخون نتيجة القتال .

ولأمر ما ، أراد السلطان أن يعزل رستم ويعيد شاه بداق إلى نيابة الأبلستين ، فأرسل إلى نائب حلب — فى شهر ذى القعدة من نفس السنة — لتنفيذ أمر العزل والولاية ، ولـكن سواراً كان لا يزال فى ثورته ، فأمر السلطان نواب الشام بالخروج لقتاله[2] . ولم يذكر المؤرخون مصير الحرب أيضا .

ولـكن ما أن استهلت سنة ٨٧٢ (١٤٦٧ م) حتى جاءت الأخبار من حلب . « بأن شاه سوار قويت شوكته ، والتف عليه جماعة كثيرة من التركمان » فزحف على بعض البلاد الخاضعة لمصر ، وكان السلطان خشقدم أثناء ذلك مريضا فلم يهتم لذلك ، ولـكن خاير بك الدوادار كتب مراسيم — عن لسان السلطان — إلى نواب الشام بالخروج لقتال سوار ، كذلك جهز جيشا من مصر فيه عدد كبير من الأمراء لمحاربة سوار ، « وهذه أول تجريدة عينت لسوار من مصر »[3] . ولـكن السلطان توفى قبل خروج الجيش ، وخلفه فى السلطنة السلطان الظاهر سيف الدين يلباى بينما خرجت جيوش الشام لقتال سوار ، واشتبكت معه فانتصر سوار عليها انتصاراً كبيراً ، ومنيت الجيوش بهزيمة منكرة ، وقتل فى الحرب عدد كبير من الأمراء ، الأمر الذى شجع سواراً على الاستيلاء على عدة

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٧٠ .
(٢) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٧٦ .
(٣) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٧٨ .

مدن وقلاع ، وأسر عدداً من الأمراء[١] ؛ ويذكر ابن اياس : إن سبب الهزيمة هو تواطؤ الأمير يردبك البجمقدار مع شاه سوار فى الباطن ، فلما نشب القتال ، تقاعس وغدر بعسكره حتى حلت به الهزيمة ، والتف على سوار وأقام عنده (كأسير) ، ولكن لما مات السلطان خشقدم ، عاد إلى القاهرة فقبض عليه واعتقل[٢] .

وانتهز حسن الطويل (صاحب العراقين) فرصة النزاع بين سوار وسلطان مصر ، فأغار على سوار (فى جمادى الآخرة من نفس السنة) لكى يزيحه من طريقه فيتمكن من الزحف على البلاد الخاضعة لمصر فى الشام[٣] .

وفى شهر ربيع الأول سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) أغار على « درندة » وحاصر قلعتها ، فلما بلغ السلطان ذلك ، عين الأمير أزدمر الطويل الإينالى على تجريدة عددها خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية ، وأمره بالمسير إلى حلب والإقامة بها ، حتى تخرج الحملة الكبيرة إلى الشام ، يقول ابن اياس : إن تصرف السلطان هذا « كان عين الصواب »[٤] . ثم خرجت الحملة الكبيرة — وقد تكلفت مائتى ألف دينار — بقيادة الأمير أزبك بن ططخ ، وفيها عدد كبير من الأمراء الكبار ، وذلك فى شهر شعبان من السنة ، ويقال : إن السلطان نزل إلى معسكر الحملة ، وأقام عند قائدها نحو ساعة ثم ودعه وعاد ، وكان الطاعون منتشراً فى القاهرة ، وقد مات منه كثيرون ؛ وخرجت الحملة « والعسكر فى غاية الضرر على أولادهم وعيالهم »

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٨٧ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٩٠ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١٩٠ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور (صفحات لم تنشر) ص ١١٠ .

وكذلك مات كثير من الجند فى الطريق[١] .

ووصلت الحملة إلى حلب ، واشتبكت مع سوار فى قتال ، فانتصرت عليه ، وقد قتل فى المعركة « مال باى » — أخو سوار — وجماعة كثيرة من عسكره ، وأرسلت رأس « مال باى » ورأسا أميران آخران إلى القاهرة ، فطيف بهم فى القاهرة ، ثم علقوا بباب زويلة وباب النصر[٢] ، وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من السنة .

ولكن فى شهر ذى الحجة ، انهزمت الحملة هزيمة منكرة من سوار . راح ضحيتها عدد كبير من الأمراء ، « وأما من قتل من الجند والمماليك السلطانية ومشايخ عربان جبل نابلس والعشير والتركمان والغلمان فما أمكن ضبطه » وكانت هذه الوقعة « من الوقعات المشهورة التى لم يسمع بمثلها » ولما ذاع خبر الهزيمة فى القاهرة ، وأسماء من قتلوا فى المعركة ، «صار بالقاهرة فى كل حارة نعى ليلا ونهارا مثل أيام الوباء » أما أثر الهزيمة فى نفوس الجند بالقاهرة ، «فقد دخل الوهم فى قلوب العسكر مثل أيام تمر لنك (تيمور لنك) وصاروا يرعدون من ذكره » ، وأخذ الشعراء ينظمون القصائد فى الوقعة ، ويدعون على سوار ، فقال بعضهم :

يارب إن سوارا قد بغى وبه ... قد أصبح الناس فى ضيق وفى قلق

فأكسر سوارا ودعه فى السلاسل فى ... خواتم الأمر يستعصى عن الحلق

إن سوارا قد غدا مخلخلا ... عسكره قد حل فى دوار البوار

يارب شتت شمله حتى نرى ... خواتم الأمر له كسر سوار

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ١٠٧/٢ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ١٠٩/٢ .

أما الجند المنهزمون ، فقد عادوا إلى القاهرة وهم فى « أنحس حال من العرى والجوع ، وبعضهم مجروح وبعضهم ضعيف ،وكان يدخل بعضهم وهو راكب على حمار أو جمل أو يدخل ماشيا وهو عريان» . أما السلطان ، فلما بلغته أخبار الهزيمة « اضطربت أحواله » ، وأما القاهرة فإنها قد « ماجت بمن فيها » (١) ، ولما عادت الحملة منهزمة ، أحضر الأمير أزبك معه شاه بداق — أخا سوار — وكذلك أحضر معه أخاثانيا لسوار ، هو يحيى كاور وكان يحيى يقاتل مع أخيه فوقع أسيرا ، فأمر السلطان بسجنه فى برج القلعة وأما شاه بداق ، فقد خلع عليه السلطان (٢) .

وبعد عودة الحملة إلى القاهرة ، اشتبك الأمير قرقماس الصغير نائب السلطان فى ملطية مع سوار فى قتال فى شهر صفر سنة ٨٧٤ (١٤٦٩ م) و « كان بينهما واقعة عظيمة » ، قتل فيها من عسكر سوار أكثر من خمسمائة جنديا ، وأسر عدد كبير من أمراء سوار وأقاربه (٣) .

وفى شهر ربيع الآخر من نفس السنة ، أغار أمير التركمان ابن رمضان صاحب « أطنة » على مدينة « سيس » (٤) واستولى عليها من سوار ، فلما بلغ السلطان ذلك فرح بشماتة به ، وأرسل إلى ابن رمضان « خلعة سنية » (٥).

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ١١١/٢ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ١١٦/٢ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ١١٢/٢ .

(٤) سيس : فى (ياقوت : معجم البلدان) : « سيسية » وعامة أهلها يقولون « سيس » ، وهى بلد اليوم (فى عصر ياقوت : القرن السابع الهجرى) أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس ، على عين زربة.

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ١١٥/٢ .

وقد سببت الهزيمة التى حلت بسوار من جيش ملطية ، وخروج قلعة « سيس » من يده انزعاجا شديداً لسوار اضطره إلى التقرب من السلطان فأرسل إليه هدية ورسالة يطلب فيها الصلح معه ولكن بشروط ، منها :أن يعينه نائبا فى الابلستين ، وأن يرسل له « تقليدا » بذلك ، وأن ينعم عليه بتقدمة ألف فى حلب ، فإن رضى السلطان بذلك ، فإنه — أى سوار — يسلم للسلطان « عينتاب » ، ولكن السلطان رفض هذه الشروط ، كما رفض هديته (١)

ولكن لم يلبث سوار أن استرد قلعة « سيس » من ابن رمضان ، فقد جاءت الأخبار إلى القاهرة فى شهر المحرم سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) بأن شاه سوار تقاتل مع ابن رمضان فانهزم ابن رمضان وانتصر عليه سوار واسترد منه « سيس » فما أن بلغ السلطان قايتباى ذلك حتى انزعج وأخذه القلق ، وعزم على تجريد حملة ثقيلة للقضاء عليه قضاء تاما ، فقد ذهب بسبب فتنته منذ ظهوره فى سنة ٨٧٠ « أموال وأرواح ، وقتل جماعة كثيرة من الأمراء ، وكسر الأمراء ثلاث مرات ونهب بركهم ، وقد انتهكت حرمة سلطان مصر عند ملوك الشرق (٢) وغيرهم ، حتى أن الفلاحين (فلاحى مصر) طمعوا فى الأتراك وتبهدلوا عندهم بسبب ماجرى عليهم من سوار ، وكادت أن تخرج المماسكة عن الجراكسة (٣) ، وقد أشرف سوار على أخذ حلب ، وقد خطب له فى الأبلستين ، وضربت هناك السكة باسمه» (٤) ومن ثم أخذ

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ١١٧/٢ .

(٢) المقصود بملوك الشرق : ملوك الموصل وديار بكر وغيرها بالجزيرة .

(٣) الجراكسة ، هم السلاطين المماليك الذين حكموا بمصر والشام مابين ٨٨٤ - ٩٢٢ هـ = ١٣٨٢ - ١٥١٦ م

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور : ٢/ ١٣٩ .

السلطان يجهز الحملة من مصر ،وأرسل القاضى شرف الدين الأنصارى — وكيل بيت المال — إلى نابلس لجمع عربانها لكى ينضموا إلى الحملة ، وفى شهر شوال من نفس السنة ، أتم السلطان تجهيز الحملة جندا وقوادا وعين عليها الأمير يشبك قائدا عاما لها ، وفوضه فى ضم جيوش الشام إليه ، وكان السلطان — لما بلغه استيلاء سوار على « سيس » — أسرع وأرسل تجريدة صغيرة إلى حلب خشية أن يستولى سوار عليها ؛ ثم خرجت الحملة فى شهر شوال ، واحتفى السلطان بها أيما احتفاء ، وتوسم المصريون فيها خيرا ، وقدروا لها النجاح فى القضاء على هذا الثائر العنيد [١] وقد حققت الحملة رجاء السلطان وأمل الناس ، حيث استردت البلاد التى كان سوار قد استولى عليها ، واضطرته إلى التسليم ، فعادت به إلى القاهرة مأسورا ، حيث قتله السلطان ، فاستراحت مصر والشام منه ، واستقبل الناس الأمير عند عودته استقبال الفاتحين .

وقد دون مؤلف الكتاب أخبار الحملة بالتفصيل منذ خروجها من من القاهرة حتى وصولها إلى الأبلستين وعودتها ظافرة ، فذكر خط سير الحملة فى ذهابها وعودتها ، ووصف الطرق التى سلكتها والمدن والقرى التى نزلتها للتجمع أو للراحة ، كما أنه دون أخبار القتال الذى نشب بينها وبين شاه سوار ونوابه على القلاع التى كان قد استولى عليها ونجاحها فى مهمتها حيث استردت جميع القلاع : عينتاب ، وأدنة ، وسيس ، وأثناء حصارها قامة زمنطوا — وكان سوار متحصنا فيها — استسلم سوار للأمير يشبك وسقطت القلعة ، وعندئذ عاد الأمير إلى القاهرة بحملته ومعه سوار مقبوضا عليه ، فأمر السلطان قايتباى بقتله فقتل .

غير أن أخبار الحملة غير كاملة فى المخطوط ، حيث يوجد به خرم من اللوحة رقم (١١٧) لا يعلم مقداره ، إلا أنه يبدو أن الخرم غير طويل ،

(١) ابن إياس : بدائع الزهور : ٢ / ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ .

حيث يفهم من السياق — قبل الخرم وبعده — أن النقص يتضمن بداية المفاوضات التى جرت بين مندوب الأمير يشبك — والمؤلف مشترك فيها — وبين شاه سوار على تسليم نفسه ، أى أن الخرم لا يزيد عن ورقة واحدة[١] وقد استكملنا النقص مما ذكره ابن إياس عنها .

وقد دون المؤلف أخبار الحملة كمشارك فيها وشاهد عيان لأحداثها ، فيما عدا أحداث الفترة التى قضاها فى سفرته إلى تبريز — حاضرة السلطان حسن — وهى تقرب من شهر ، فلما عاد دون أخبار هذه الفترة عن بعض من حضرها ولكنه لم يفصح عن اسمه ، ثم استأنف التدوين من مشاهداته حتى النهاية .

وفضلا عن أخبار الحملة من الناحية الحربية ، فإن المؤلف حدثنا عن سفارته إلى السلطان حسن الطويل من قبل الأمير يشبك والغرض منها ، ويفهم مما ذكره المؤلف ، أن الغرض من السفارة ، هو تسوية بعض الأمور بين السلطان حسن التى تتاخم حدوده حدود سلطنة مصر فى شمال الشام وبين حكومة مصر ؛ والسلطان حسن — فى الوقت نفسه — منافس خطير وعنيد لحكومة مصر ، ويعمل جاهداً على توسيع رقعة مملكته على حساب أملاك مصر فى الشام ، منتهزاً فرصة عصيان بعض النواب المصريين ، فيغير على ما بيدهم من البلاد ويستولى على ما يقدر عليه .

وقد أخبرنا المؤلف ، أنه حمل معه رسالتين للسلطان حسن ، إحداها ظاهرة ، وهى رسالة مكتوبة لم يحدثنا المؤلف عن مضمونها ، وإنما ذكر فقط أن السلطان أمر قاضيه « حسن » بقراءتها فى المجلس فقرأها على مسمع من الحاضرين ؛ ولا شك أن الرسالة لا تخرج عن تحيات ومجاملات من السلطان قايتباى أو من الأمير يشبك إلى السلطان حسن ؛ أما الرسالة الأخرى فقد كانت سرية ، أى شفوية ، فقد كانت من الأمير يشبك — حسبما يصرح

(١) هذا الخرم موجود فى نسخ المخطوط كلها .

المؤلف بذلك ـ وقد سمعها منه السلطان حسن فى مجلس خاص لم يحضره ـ فيما يبدو ـ إلا أفراد قلائل من خاصة السلطان ، وقد أفصح المؤلف عن مضمونها وكانت تتضمن ثلاثة مطالب :

فأما المطلب الأول : فهو تسليم الأمير أصلان بن أصلان بن دلغادر ، ولم يذكر المؤلف سبب وجود أصلان عند السلطان حسن[١] ، وعندما سمع السلطان حسن بذلك ، أجاب إلى تسليمه إذا رضى أصلان أن يتوجه معه ، أو يرسل معه رسولا من قبله ليتفاوض باسمه مع الأمير يشبك أو مع السلطان قايتباى ، ثم أعطى للمؤلف كتاباً منه إلى أصلان. ثم يذكر المؤلف ، أنه أثناء عودته ، اجتمع بالأمير أصلان فى « خلاط » حيث كان يشترك مع جيش السلطان فى حصار قلعتها ، وسلمه كتاب السلطان ، فأرسل الأمير أصلان معه خضر الدلغادرى رسولا منه إلى الأمير يشبك ، ولم يذكر المؤلف ماذا تم فى موضوع أصلان .

وأما المطلب الثانى: فهو أن يمنع السلطان حسن بنى ربيعة من الإفساد ، ذلك أن بنى ربيعة تحصنوا ببلاد الرها ـ وهى تحت حكم السلطان حسن ـ ، فأخذوا يقطعون الطريق بين مدينة الرها وبين مدينة حلب ـ وهى تحت حكم مصر ـ فينهبون التجار والمسافرين ، يقول المؤلف : إن « موسى » ـ كبير بنى ربيعة ـ كان حاضراً فى المجلس ، فما أن سمع السلطان حسن الشكوى حتى اتجه إلى موسى وأنكر عليه ذلك ، وهدده : « وتربة جدى ما يبلغنى صحة هذا ، إلا سلخت جلد (الأبعد)[٢] وأخرجت جميع بنى ربيعة ، كم مرة

(١) كذلك لم يذكر المؤرخون سبب وجود الأمير أصلان عند السلطان حسن وكان والد أصلان هذا نائبا على الابلستين ، وقد قتل ، ويذكر ابن إياس (بدائع الزهور : ٢ / ٢١٦) أن أصلان قتل بتحريض من أخيه بداق ، فلعل أصلان (الابن) هرب إلى السلطان حسن بعد مقتل أبيه خوفا من عمه .

(٢) هذا التعبير يرجح أنه من المؤلف تأدبا منه لئلا يواجه قارئه بالتهديد .

أوصيكم بالرعية خصوصاً رعية الشام ... » .

وأما المطلب الثالث : فهو أن بعض الناس ادعوا لدى حكومة مصر ، بأن السلطان حسن ، أقطعهم قرى ببلاد « سروج »[١] ، بينما هذه القرى هى من أعمال « ألبيرة » التابعة لمصر ، وعلاوة على ذلك ، فهذه القرى مقطعة للأجناد البحرية المصرية ، فلما سمع السلطان حسن ذلك ، أقسم أنه لا يعلم عن هذا الادعاء شيئا ، ثم أمر بأن يكتب إلى نائبه فى « الرها » : « بالوصية بأطراف بلاد الشام ، وأن لا يدع أحداً ولا يمكنه من التعرض للقرى التى فى حد الشام ، وأكد عليه فى ذلك ، وكذلك يفحص عن الكردى الذى يشوش على القرى التى من جهة الفرات المتعلقة بقلعة المسلمين ويقابله أشد مقابلة » .

وقد انتهز المؤلف فرصة وجوده فى تبريز ، فعمل على إشهار نفسه وإظهار تمكنه فى « الحديث » عند علماء العجم وإظهار جهلهم به ، فكان يزجهم فى مناقشات لا يستطيع أن يجاريه فيها إلا المتمكن من « الحديث » مثله.

فالمؤلف يحدثنا أنه كان من عادة السلطان حسن أن يجمع عنده فى كل ليلة جمعة علماء تبريز ، ويقرأ عنده شىء من البخارى ، وحضر المؤلف بعض هذه المجالس ـ فقد أقام فى تبريز عشرين يوما ـ فانتهز المؤلف فرصة اجتماعه بعلماء تبريز ، أو علماء (العجم) كما يقول المؤلف عنهم ، لإظهار تمكنه من « الحديث » . ومن الأحاديث التى قرئت :

حديث من البخارى عن الفتية الاسرائيليين الثلاثة الذين آووا إلى الغار من المطر ، وكان فى إسناد الحديث[٢] (نافع عن ابن عمر) . يقول المؤلف :

(١) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر (بالجزيرة) . (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) إسناد الحديث أى رواة الحديث. والمقصود بـ « الحديث » ، «حديث» النبى عليه الصلاة والسلام .

فقلت : من هو هذا (نافع) الذى يروى عن ابن عمر ؟ يقول المؤلف « وما أردت إلا فتح الكلام ، وإلا فهو أشهر من (قفانبك) »[١] ، ثم يقول « فوالله جميع من كان بالمجلس لم يعرفه » . ثم دار النقاش حول شخصية هؤلاء الفتية الثلاثة ، هل هم أصحاب الكهف الذين وردت قصتهم فى القرآن أم هم غيرهم ؟ وخرج المؤلف من النقاش منتصراً بطبيعة الحال .

والحديث الثانى : الحديث المروى عن النبى - عليه الصلاة والسلام - «سبعة يظلهم الله» فقد قرأه أحد العلماء فى المجلس الذى كان يحضره السلطان حسن الطويل وأخذ يشرحه ، وبعد أن انتهى العالم من الشرح ، سأل المؤلف الحاضرين : « هل يحفظون لهذا السابع ثامنا ؟ » فأجابه العالم ، أنه قرأ الحديث الذى أورده البخارى الذى هو موضع الثقة ، وأن البخارى لم يذكر سوى سبعة . فقال المؤلف : إن أهل المغرب يفضلون «مسلم» على البخارى ويعتبرون «صحيحه» أصح من « صحيح البخارى » ، فاعترض العلماء على ذلك ، ثم سألوه أن يقول لهم شيئا مما يحفظه عن أكثر من السبعة ، ولكنه رفض أن يقول شيئا ، لأنه يعتبر أن المجلس مجلس امتحان - وكأنه يرفض أن يكون موضع امتحان اعتزازاً بنفسه - ولكنه أبدى استعداده أن يقول إذا عقد له مجلس « إفادة » - وكأنه أراد بهذا أن يضع نفسه موضع المعلم من التلاميذ .

والحديث الثالث : الحديث المروى عن النبى - عليه الصلاة والسلام - : «أفتان أنت يامعاذ؟»[٢] فلما قرأه العالم العجمى ، سأل السلطان الحاضرين عن معناه ، يقول المؤلف : إنه لم يتقدم أحد من العلماء لشرحه ، وعندئذ التفت السلطان

(١) مطلع البيت الأول من معلقة أمرئ القيس الشاعر الجاهلى :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) الحديث هو عن شكوى قوم « معاذ بن جبل » الصحابى إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - إطالته صلاة العشاء بهم إماما بالرغم من أنهم يعودون من عملهم متعبين ، فقال له النبى يعتبه « أفتان أنت يامعاذ ؟ » .

إليه « لحين تحقق عجزهم عن الجواب » فشرح له الحديث ، وذكر له اختلاف العلماء فى الصلاة ، التى كان يطيل فيها معاذ الصلاة ، هل هى صلاة العشاء أم صلاة النفل ، وعمد المؤلف إلى إبراز علمه فى مناقشة الاختلافات ، ثم يقول المؤلف : إنه لما قال إن معاذاً كان من «الأنصار» ، لم يعرف السلطان معنى « الأنصار» ومن هم ، وطلب منه أن يعرفه بهم ، فألقى عليه درساً عن الأنصار وسبب تسميتهم بهذا الاسم . ولا ينسى المؤلف أن يذكر لوم السلطان لعلمائه الذين عجزوا عن مجاراته ، فكان اعتذار أحدهم ، أن علماء المغرب (يعنى الشام ومصر) يهتمون بالعلوم النقلية كالحديث والتفسير والفقه ، بينما علماء المشرق (يعنى العراق وما يقع شرقه) يهتمون بالعلوم العقلية (كالرياضيات والطب والفلسفة وغيرها) .

وقد حرص المؤلف على وصف الطريق الذى سلكه من « عينتاب » إلى « تبريز» والمشاق التى اعترضته فى مسيره ، كما حرص على وصف بعض المدن والقرى التى نزلها أو مرعليها، فذكر أنه بدأ سفرته من «عينتاب» ومنها إلى «الرها» ثم «رأس العين» ثم إلى[١] ثم إلى «الجبل الأسود» ومنه إلى « آمد» ، ومنها إلى « قرية الحاج سليمان » ثم إلى «حين» ثم إلى ([٢]) ثم إلى « قلعة حباحور » ، ثم عبر نهر الفرات ودخل حدود أرمينية ، فوصل إلى «ملش كرد»، ثم اخترق واديا غير مسكون لم يسمه، ثم إلى مكان غير مسكون أيضاً بالقرب من «الملاحة البيضاء» ، ثم إلى « زاوية باباطشقون» ، ثم نزل من جبل سيحان إلى مدينة «أرجيش» ثم إلى قرية « باباحيدر» ثم إلى « بحيرة بندماهى » . ثم إلى[١] ثم إلى «مرج سكان» ، ومنه إلى مدينة « خوى» ، ثم إلى قرية « تاسوا» ، ثم إلى قرية « سوران قولى » ثم إلى « تبريز » ؛ كذلك ذكر خط سيره فى عودته إلى الشام، ولكنه لم يعد من نفس الطريق الذى سار فيه إلى تبريز ، وإنما غير طريقه من بعض المواضع حيث ذكر أماكن لم يذكرها فى طريق مسيره إلى تبريز ، مثل : «قرية نصارى» ، و «أخلاط» ، و «موش» ، و «حبق حور» .

(١) بياض بالأصل . (٢) سقط بالأصل .

ومن المدن التى وصفها، مدينة « آمد » ، فلاحظ فى ضوء آثارها المتبقية أنها كانت مدينة عظيمة فى أيام حكامها بنى أرتق[١] ، فهو يصف جامعها « المشهور بالإتقان والتمهيد فى بنائه ، وهو يشبه الجامع الأموى فى تكوينه ، ولكن درس غالب معالمه » ، و « كذلك العمائر التى كان بناها الأراتقة تشهد لهم بتسيد مملكتهم وعمارتها حين ولايتهم لها » ، ثم يقول : « فإذا تأمل الناظر فى تلك المعالم والآثار ، وتحقق سموهم وعلو مراتبهم تذكر قول الشاعر :

جرت الرياح على محل ديارهم   فكأنهم كانوا على ميعاد

ووصف مدينة « حين » : « وهى ذات أشجار وكروم وعيون تنبع من أسفل قلعتها ، ولمدينتها سور خراب وأثره ظاهر » ثم يقول : إن « غالب أهلها نصارى » ، وأنه رأى « جوامع ومآذن قد سقط بعضها ، ومساجدها قد خربت بل دثرت ، وكذلك منازل أكابرها الساكنين بها » . والمدينة « بلدة طيبة الهواء ، عذبة الماء فى غاية الحلاوة والبرودة » وقد أعجب المؤلف من « نزاهتها وحسنها مع كونها خربة » إلى حد أنه أجل الموعد الذى كان حدده للرحيل منها .

ووصف مكانا يقال له : « ملش كرد » ، فقال : إن أهله « أكراد كالوحوش لا يشبهون الإنس إلا بالصور » .

وقال عن سكان « زاوية باباطشقون » ، أنهم أناس يزرعون أراضيهم « ويطعمون من يمر عليهم من المسافرين والفقراء ويضيفونهم على حسب طاقتهم » .

---

(١) بنو أرتق : أسرة تركمانية حاكمة فى الجزيرة، وإماراتها الشهيرة : ماردين، وحصن كيفا ، وآمد ، وخرتبرت ، وكان ظهورها فى القرن الخامس الهجرى ؛ وأخبارها فى « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير الجزرى .

ووصف مدينة « خوى » بأنها « كثيرة الأشجار والمياه فى جميع جوانبها، وبها من العمائر ما تدل على عظمتها قديما » .

أما مدينة « تبريز » — عاصمة السلطان حسن الطويل — فإنها « مدينة عظيمة كثيرة الأشجار والمياه ، وبها من العمائر ما تضرب بها الأمثال » ويخص بالذكر من هذه العمائر ، قبر محمود قازان ، والجامع والعمائر التى أنشأتها زوجة جهان شاه بن قرا يوسف ، فإنها « فى غاية الإتقان والحسن وحقيقتها لا تعلم إلا بمشاهدتها » .

ووصف مدينة « هدأة الحور » بأنها « مدينة ذات سور وقلعة شاهقة ، وبها من الأنهار والبساتين شىء كثير ، وهى بجانب البحيرة ، وماء البحيرة تضرب أمواجها سورها » .

ويصف مدينة « رأس العين » بأنها « مكان ذات مروج وأزهار وأنهار » ، ثم يقول : « ولقد شاهدت رأس العين هذه ، وهى فى غاية الأعجوبة ، يتدفق الماء من أسفل كالزلال ، وبجوانبها أشجار ، وفى الوادى — بالقرب من العين الكبير — عيون صغار — ويجتمع الكل ويصير نهرا كبيرا .. » .

كذلك يصف بعض القلاع التى شاهدها ، مثل قلعة « سيس » : « وصعدت إلى القلعة وشاهدتها ، فإذا هى من أعظم القلاع ، وفى وسطها قلعة أخرى تسمى « القلة » ، ورأيتها قلعة حصينة ، لو كان فيها رجال يحفظوها ما أمكن أخذها بالحصار لصعوبتها وعلوها » .

ومثل قلعة « درندة » ، فهى : « قلعة شاهقة ، وليس لها سور إلا فى بعض أماكن قليلة جداً ، ولها باب وبرج فقط لكنها فى غاية المنعة ، ويجرى بأسفل منها نهر عظيم فى غاية البرودة والحلاوة » .

(ج) المخطوط

توجد فى دار الكتب المصرية أربع نسخ للمخطوط :

النسخة الأولى : بمكتبة أحمد زكى باشا ، وتحمل رقم ٣٦٦٣ تاريخ ، وتحمل عنوان : تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ورحلته فى آسيا الصغرى .

وهى نسخة مصورة ، صورها أحمد زكى باشا لنفسه عن النسخة الخطية الموجودة بالقسطنطينية ، وقد صرح هو بذلك حيث كتب فى آخر صفحة منها ما نصه : « استنسخت هذه الرحلة السياسية(١) بطريق الفتوغرافية لنفسى من الكتاب نمرة : ٢٦٨ المحفوظ بالمكتبة السلطانية بسراى طوب قبو بالقسطنطينية فى يوم ٢٥ رمضان سنة ١٩٠٩ » ووقع باسمه هكذا : « أحمد زكى » . سكرتير ثانى مجلس النظار المصرى » . وقد اعتمدنا هذه النسخة للنشر ، وسوف نعرف بها بعد تعريفنا بالنسخ الأخرى .

والنسخة الثانية : تحمل رقم : ٢٥٩٢ تاريخ ، وهى نسخة مصورة عن النسخة الأولى ، وقد عرفت دار الكتب بالنسخة (الفهرس المطبوع : ٥/٧٦) تحت عنوان « تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ورحلته من القاهرة إلى آسيا الصغرى » بما نصه . « وهو المقر السيفى الأمير يشبك من مهدى الظاهرى ثم الأشرفى ، أحد ملوك الأتراك بالديار المصرية ، وفى لوحة (٧٧) ما يفيد أن مؤلفه أحد تلامذة الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد المعروف بابن حجر العسقلانى الشافعى . أوله - بعد البسملة : الحمد لله الذى

---

(١) الواقع أنها لم تكن رحلة سياسية ، وإنما هى حملة عسكرية كما سبق أن بينا ذلك ، وقد التبس الأمر على أحمد زكى باشا فيما يبدو .

نصر عباده المؤمنين الخ ، بين فيه رحلة هذا الأمير التى تبتدىء من القاهرة فى يوم الاثنين العاشر من شهر شوال سنة ٨٧٥ إلى آسيا الصغرى وغيرها وترجمته وسيرته وأعماله . نسخة فى مجلد مأخوذة بالتصوير الشمسى ، عن النسخة الخطية فى شهر رمضان سنة ١٣٢٧ هـ ، عنى بنسخها الأستاذ أحمد زكى باشا سكرتير مجلس النظار سابقاً ، المخطوطة بالمكتبة السلطانية بالقسطنطينية وبها خرم من اللوحة ١١٦ .

والنسخة الثالثة : بمكتبة أحمد تيمور باشا ، وتحمل رقم : ١٠٧١ تاريخ ، وتحمل عنوان : « رحلة الأمير يشبك الظاهرى » . « وهو الشهير بيشبك من مهدى الدوادار المتوفى مقتولا بالرها فى العشر الأخير من رمضان سنة ٨٨٥ . ومن آثاره القبة التى بقرب المطرية المشهورة بقبة الغورى خطأ » . وفى أول صفحة من النسخة شرح نصه : « تتضمن هذه الرحلة ، سفر الأمير يشبك الدوادار لمقاتلة شاه سوار الخارج على سلطان مصر ، وقد صرح مؤلفها أنه كان مرافقاً للجيش فى ص: ١٠و١٢و١٥و١٧و١٨و٢٤و٢٥و٢٨ - ٣٠ وآخر ٣٦-٣٧ و٤٣ . وذكر فى ص ٨٠ أنه كان قاضيا . وفى ص ٤٤-٥٣ انتداب الأمير يشبك له سفيراً للشاه سوار . وفى ص ٥٥-٨٦ إرساله سفيراً إلى « تبريز » لحسن بك سلطان العراقين . ثم ذكر فى ص ١١٦ ، أنه كان ممن طلع إلى سوار لما حوصر بالقلعة للاتفاق معه على شروط التسليم ، فلا يبعد أنه القاضى شمس الدين ابن أجا الحلبى قاضى العسكر الذى ذكر ابن إياس عنه فى ج٢ ص١٣٥، أنه طلع مع الأمير تمراز إلى القلعة لمقابلة سوار » .

وفى نفس الصفحة ، ترجمة للمؤلف نصها : « ابن أجا المذكور ، هو القاضى شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبى المعروف بابن أجا . ولد سنة ٨٢٠ بحلب وتوفى بها سنة ٨٨١ كما جاء فى ترجمته فى «الضوء اللامع» ، وقد جاء بها : أنه صحب الدوادار الكبير يشبك من مهدى وراج بسبب ذلك ، وسافر رسولا منه ومن السلطان إلى عدة ممالك كتبريز والروم

وغيرهما ، وأنه ترجم « فتوح الشام » للواقدى إلى التركية نظماً ، وعمل
سفرة سوار وفيها منكر كبير . انتهى . وهذا يؤيد ما استنتجناه من أنه
مؤلف هذه الرحلة . وفى ترجمة يشبك من مهدى من « الضوء اللامع »
أيضاً ، فى كلامه على خروجه قائداً للعسكر لمقاتلة شاه سوار مانصه :
« وكان أمراً مهولا أفرده إمامه الشيخ ابن أجا بالجمع فبالغ — ج ٦
ص ٤٩٢ » .

وفى نفس الصفحه أيضاً : « تولى يشبك من مهدى الظاهرى الدوادارية
الكبرى مدة السلطان قايتباى — انظر ابن إياس ج ٢ ص ٩٢ » .

وفى الصفحة ١٣٠ — وهى آخر صفحة النسخة — اسم ناسخهاوتاريخ
النسخ ، نصه : « قد صار نسخ هذه الرحلة من نسخة الأصل الموجودة
بدار الكتب الخديوية المصرية بقلم الفقير محمود حمدى على ذمة حضرة
الفاضل المحترم أحمد بك تيمور . وكان الفراغ منها موافقاً يوم الأربعاء
خامس عشر شهر ذى الحجة سنة ١٣٣٢ هـ اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف من
هجرة من خلق على أكمل وصف ، سيدنا محمد النبى الأمى ، صلى الله تعالى
عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً ، والحمد لله رب العالمين » .

والنسخة منقولة من نسخة أحمد زكى باشا (رقم : **٣٦٦٣** تاريخ) .
ولكن الناسخ لم يلتزم بنص الأصل الذى نقل منه ، وإنما تصرف فى أكثر
من ناحية :

أولا : تصرف الناسخ فى تواريخ بعض الأحداث . ففى الأصل ، أن
القاضى شرف الدين الأنصارى أبلغ الأمير يشبك باستكمال المشاة فى الرابع
والعشرين من ذى القعدة ، فأبدل الناسخ التاريخ بالرابع عشر . وفى الأصل
أيضاً ، أن الأمير ضحى بـ « قاراً » نهار التاسع والعشرين من الشهر ؛ فأبدل
الناسخ التاريخ بالتاسع عشر . وهذا خطأ وقع فيه الناسخ وما فى الأصل

هو الصحيح حسب تسلسل التواريخ فى الأصل .

ثانياً : نقل اسم « تمراز الأشرفى » ، « تمراز الترق » وقد أخطأ
الناسخ ومافى الأصل صحيح ، حسبما جاء الاسم فى ابن إياس « بدائع الزهور
— صفحات لم تنشر — ص ٦ » .

ثالثا : عمد إلى تهذيب النص ، فأصاب فى مواضع وأخطأ فى مواضع
كثيرة ، ومن أمثلة خطئه : وطلبوا — بدلا من — وطلب ، يسبق — بدلا من —
يتفق ؛ مكنبوين — بدلا من — بكنبوش ؛ مناخس — بدلا من —
مناجنيق ؛ مغربية — بدلا من — مغربة الخ . إلا أنه وفق فى توضيح
فى كثير من الألفاظ ، واعتمدنا نحن عليه فيما تعذر علينا توضيحه منها ،
وأشرنا إلى ذلك فى الهوامش .

والنسخة الرابعة : وتحمل رقم : ١١٦٥٨ ح ؛ وتحمل « عنوان تاريخ
الأمير يشبك الظاهرى ورحلته من القاهرة إلى آسيا الصغرى » . وقد جاء
فى فهرست المخطوطات تصنيف فؤاد سيد — أمين المخطوطات بدار الكتب
— (القسم الأول ص ١١٨) تعريف بهذه النسخة ، نصه : « تاريخ الأمير
يشبك الظاهرى ورحلته من القاهرة إلى آسيا الصغرى ، تأليف أحد تلامذة
الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ . والأمير
يشبك هو المعز (؟) السيفى يشبك من مهدى الظاهرى . أوله — بعد
البسملة — : الحمد لله الذى نصر عباده المؤمنين . . الخ . نسخة بقلم رقعة
حديث فى ١٦٥ ورقة ومسطرتها ٦٣ سطراً ، ٢٢ × ٣٥ سم . وبمقابلة النسخة
على هذا التعريف وجدنا فيه أكثر من خطا .

أولا : « المعز » والصحيح « المقر » .

ثانيا : مسطرة الصفحة **١٣** سطرا وليس **٦٣** سطرا .

وقد اعتمدت النسخة الأولى التى تحمل رقم : ٣٦٦٣ تاريخ ، لأنها النسخة الأصل التى نقلت عنها النسخ الثلاث الأخرى .

والنسخة تقع فى ١٣٩ لوحة ، وفى كل لوحة ١٣ سطرا، ويتكون كل سطر مابين ٨ و ١١ كلمة .

وملاحظاتنا على النسخة التى اعتمدناها للنشر ، هى :

أولا : النسخة ليس عليها تاريخ تأليفها .

ثانيا : التصوير عن الأصل غير دقيق ، حيث لم يشمل التصوير صفحة الأصل كلها ، وإنما أنقص حروف كلمات أواخر السطور ، فأكملنا بعضها اجتهاداً من السياق ، وبعضها الآخر من نسخة تيمور بعد قراءة دقيقة .

ثالثاً النسخة تنقص اللوحة رقم ١١٧ كما سبق أن ذكرنا (١) .

أما المنهج الذى اتبعناه فى تحقيق المخطوط :

— يستعمل المؤلف ألفاظا خاصة فى التعبير كانت مفهومة فى عصره ولكنها غريبة عنا اليوم ، مثال ذلك ، قوله : « وألبس [الأمير يشبك | حمزة نيابة حصن الأكراد » ولفظ « ألبس » يعنى « عين » ؛ ومثل قوله : « وطلب ودخل حماه » ولفظ « طلب » يعنى « قصد » ، وقد شرحنا مثل هذه الألفاظ فى الهوامش . كذلك ذكر المؤلف كثيراً من أسماء الوظائف والرتب العسكرية وأسماء ملبوسات كانت تستعمل فى عصره ومجهولة لنا اليوم ، فشرحناها فى ملحق كشاف .

— يهمل المؤلف الهمزة فى آخر الكلمات ، مثل : « شاء » ، يكتبها (شا) ؛ و « كفلاء » (كفلا) . . الخ . وكذلك يلين الهمزة فى وسط الكلمة ويستبدلها بحرف ممدود، مثل: «المؤمنون» ، يكتبها(المومنون) ،

---

(١) (انظر ما سبق ، ص ٣٧) .

« الهيئة » (الهية) ، « شيئاً » (شيا) وقد كتبنا هذه الألفاظ وأمثالها بالرسم الحديث ، ولم نشر إلى ذلك فى الهوامش لكثرتها .

— يخطىء أحياناً أخطاء إملائية سهواً ، مثل : « صبيحة » يكتبها (صبحة) وقد ورد اللفظ صحيحاً فى مواضع أخرى من النص ، فأثبتنا الرسم الصحيح ، وأشرنا إلى ذلك فى الهوامش .

— يهمل التنقيط أحياناً ، كذلك لا يعتنى بضبط تنقيط الكلمات المنقوطة ، الأمر الذى يسبب صعوبة كبيرة فى تحديد الكلمات المناسبة ، مثل : (يحتشى) وصحتها « يخشى » ؛ (نيسان) وصحتها « بيسان » ؛ (الحربه) وهى « الخربة » الخ .

— يخطىء أخطاء نحوية ، مثل قوله : (لا ينتظروا) بدلا من « لاينتظرون » ؛ (ثم يتوجهوا) بدلا من « ثم يتوجهون » الخ . ومثل هذه الأخطاء أثبتناها كما هى إبقاء على أسلوب المؤلف . وأما الأخطاء التى صححناها فهى التى لا تؤثر على أسلوبه ولا تغيره ، والتى يتحتم تصحيحها ، مثال ذلك ، قوله : (فقبض على اثنا عشر نفراً) والصحة « اثنى عشر » ؛ (وصحبته ثلاثين مملوكا) والصحة « ثلاثون » الخ .

— كلمات وأسماء أعلام وأماكن صعبة القراءة تعذر توضيح بعضها فأثبتناها كما هى وأشرنا إلى ذلك فى الهوامش .

— سها المؤلف عن ذكر أسماء بعض البلدان التى نزلتها الحملة أو مرت بها وترك المؤلف مكانها بياضاً ، وقد تعذر تحديدها ، فأثبتنا البياض كما هو وأشرنا إليه فى الهوامش .

وقد قابلنا أخبار المخطوط على أخبار ابن إياس فى كتابه « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » — وابن إياس معاصر للأحداث — ، وقد

استفدنا منه فى أكثر من مناسبة ، أهمها وصف موكب الأمير يشبك قائد الحملة عند خروجه من القاهرة — وقد سها المؤلف عن وصفه ؛ كذلك استكملنا منه النقص الذى سبق أن أشرنا إليه فى المخطوط ، وهو الذى يتعلق ببدء المفاوضات بين الأمير يشبك وبين شاه سوار للاستسلام الأخير للأمير يشبك .

* * *

المخطـــوط

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة

الحمد لله الذى نصر عباده المؤمنين ، وأيدهم بكلمة التقوى وجعلهم نقمة للظالمين ، وأحل سيوفهم برقاب الطغاة والخارجين ، وصلى الله على سيدنا محمد قاتل الكفرة والمشركين ، وعلى آله وأصحابه هداة الدين إلى يوم الدين .

أما بعد ؛

فلما كان نهار الاثنين العاشر من شهر شوال سنة خمس وسبعين وثمانمائة توجه المقر ، الأشرف ، الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، المشيرى ، النظامى ، المالكى ، المخدومى ، السيفى[1] ، يشبك الظاهرى ثم الأشرف — أعز الله أنصاره ، وملكه أمصاره — من القاهرة المحروسة فى أبهة عظيمة ، لم يخرج أحد ممن تقدمه من الأمراء مثله .

وسنذكر وصف الهيئة التى خرج فيها . . . .[2] ونزل بالريدانية

---

(١) انظر معنى هذه الألقاب فى كشاف المصطلحات .

(٢) يلاحظ أن المؤلف لم يصف الهيئة التى خرج عليها الأمير يشبك من القاهرة وقد ذكر ابن إياس شيئاً من ذلك باختصار ، فقال : « وفى شوال ، كان خروج العسكر المعين إلى سوار ، فخرج الأمير يشبك الدوادار الكبير وأزدمر الاستادار وكاشف الكشاف وباش العسكر ، فكان فى غاية العز والعظمة ، وقد فوض إليه السلطان أمور البلاد الشامية والحلبية وغير ذلك من البلاد ، وجعل له الولاية والعزل فى جميع أحوال المملكة ، وكتب معه خمسمائة علامة ، ويكتب على البياض وجعل له التصرف فى جميع النواب والأمراء — ماخلا نائب حلب ونائب الشام =

وفوض إليه أمر المملكة الشامية من العريش إلى الفرات(١) . ورسم له(٢)
أن يولى من شاء ، ويعزل من شاء ، بجنحة وبغيرجنحة ، ويعطى الإقطاعات
من يختار ويرى نفعه للمهمات الإسلامية ، ومن كان بضد ذلك يأخذ // إقطاعه
ويعطيه لمن هو أهل له من غير معارض له ، وكذلك كفلاء(٣) الممالك
والنواب يستمر بمن يريد ، ويعزل من يريد ؛ وأنعم عليه بنحو من مائتين
يكتبا(٤) يفرقها على من ينظر فيه النصح للمهمات الإسلامية ، ولم نعلم أحداً
من الأمراء حصل له هذا فى الدولة الإسلامية ، خصوصاً فى دولة الأتراك .

٢

= (أى دمشق) فقط — فكان له لما خرج يوم مشهود ، وطلب طلباً حافلا
بحيث لم يعمل مثله قط ، وجر فى طلبه عدة خيول ملبسة بركستونات فولاذ
مكفتة بالذهب ، وبركستونات مخمل ملون ، وصنع فى رنكه صفة سبع ، وقد اقترح
أشياء غريبة لم يسبق إليها ، ورسم لمماليكه بأن تخرج فى الطلب باللبس الكامل .
وخرج صحبته الأمراء الذين تقدم ذكرهم ، ومن الجند نحو ألف مملوك فرجت
لهم القاهرة ، واستمرت الأطلاب تنسحب إلى قريب الظهر ؛ فلما كانت ليلة الرحيل
نزل السلطان عند يشبك وتكلم معه طويلا ، ثم أضافه الأمير يشبك وركب من
عنده وتوجه إلى الخانقاه ثم عاد إلى القلعة . ثم فى ثانى ليلة نزل الأمير يشبك
بعد العشاء ورحل من الريدانية قاصداً الشام ، ثم خرج العسكر أفواجاً حتى سد
الفضاء ، وكانوا من أعيان الشجعان ، فتفاءل الناس بأن هذا العسكر ينتصر ،
وأن سواراً مأخوذ لا محالة ، وكذا جرى . وقد عيب على السلطان نزوله إلى
الأمير يشبك فى الوطاق مرتين ، وهذا بخلاف عادة الملوك وقواعدهم القديمة » .
(بدائع الزهور : ١٢٧/٢) .

(١) بالأصل : الفراه (ويتكرر اللفظ بهذا الرسم فى الأصل) .
(٢) رسم له : أى فوضه .
(٣) الكفلاء : جمع كفيل . (انظر معناه فى كشاف المصطلحات) .
(٤) يكتبا : هكذا بالأصل . ولم نقف على معنى اللفظ ، ولعله تصحيف من
الناسخ أو لعل معناه « علامة » ففى (بدائع الزهور : ١٢٧/٢) أن السلطان
« كتب معه خمسمائة علامة ويكتب على البياض » . (انظر ما سبق ص ٥٣ حاشية ٢) .

وأقام بها(١) ، وأرباب الدولة والأمراء يترددون إلى خدمته ، ونزل
إليه السلطان الملك الأشرف قايتباى — خلد الله ملكه — مرتين ؛ وأقام
فى المرة الأولى من ضحوة النهار إلى قرب الظهر ؛ وفى المرة الثانية ، نزل
وأقام بخيمه من بكرة النهار إلى العصر ؛ ومد له سماطاً جليلا مرتين ، مع
ما تبع ذلك من الحلاوة والفواكه ، وعرض عليه جميع حواصله من :
الذهب ، والملبوس ، والخيل ، والبغال ، والجمال ، وقال : خذ ما أردت ،
فلم يقبل منه شيئاً ؛ فانظر إلى هذه الشهامة والنفس الهاشمية .

ولما كان نهار الإثنين سابع عشر شهر شوال ، رحل منها ، ونزل
بخانقاه // سرياقوس(٢) فى موكب عظيم .

٣

وصلى الصبح يوم الثلاثاء بها ، ورحل ، ونزل بمدينة بلبيس ، ومعه
جماعة من الأمراء والمباشرين .

ثم رحل منها صبيحة(٣) نهار الأربعاء ، ونزل بالخطارة(٤) .

ومنها نزل الصالحية(٥) ، وأراد أن يرحل منها يوم الخميس بعد الظهر ،

---

(١) : أى أقام بالريدانية .
(٢) : خانقاه سرياقوس : أنشأها السلطان ركن الدين بيبرس (الثانى)
الجاشنكير (٧٠٨ – ٧٤١ هـ = ١٣٠٨ – ١٣٤٠ م) فى سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م)
ففى السلوك : (٢٦١/٢) فى أخبار شهر جمادى الآخرة : « وفيه خرج السلطان
إلى سرياقوس ليبتنى فيه خانكاه ، بها مائة خلوة لمائة صوفى ، وبجانبها جامع
تقام فيه الجمعة ، ومكان برسم ضيافة الواردين وحمام ومطبخ » .
(٣) بالأصل : صبحة . وقد ذكر المؤلف اللفظ بعد ذلك « صبيحة » .
(٤) بالأصل : الحطارة .
(٥) الصالحية : المقصود بها « صالحية » مصر فى مديرية الشرقية ، وليس
« صالحية » دمشق .

ثم ألهمه الله تعالى أن نادى بالإقامة ، وكان ذلك من توفيق الله له ، وفصله على ماعوده ؛ فلما مضى من الوقت الذى نادى فيه ساعة زمنية(١) ، خرجت ريح عظيمة وامتدت ، وأظلم الجومنها ، وقلعت الخيام ، وكان بعض العسكر تقدمه مع(٢) الأمراء ، فصادفهم هذا الريح بالغرابى(٣) ، فقاسوا منه الأهوال والشدائد ، فعصمه الله ومن تبعه من هذا ، ببركة رأيه السديد .

ورحل من الصالحية بكرة نهار الجمعة — بعد أن سكن الريح — ونزل برأس الغرابى — ولم أعلم أن أحداً من العساكر سلكوا(٤) هذه المفازة نهاراً لطولها وقلة مائها — فصادفه هواء رطب من وراء ظهره ، بحيث أنه بقى يحمل الفارس ويعينه على المشى .

٤

ثم رحل منها // إلى ثغر قطيا(٥) ، وفرق العليق على المماليك السلطانية ما يكفيهم إلى غزة .

ورحل منها إلى بئر العبد ، وأقام به إلى أن صلى المغرب .

ورحل [منه] ونزل ليلا بمنزلة السواد(٦) ، وأقام بها إلى قرب الظهر .

---

(١) زمنية : بالأصل : رمليه . (ويتكرر اللفظ بهذا الرسم بالأصل) والمقصود بساعة زمنية ، ساعة واحدة فقط .

(٢) بالأصل : من

(٣) الغرابى : رمل معروف بطريق مصر بين « قطية » و « الصالحية » صعب المسالك . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) سلكوا : هكذا بالأصل ، وكثيراً ما يستعمل المؤلف هذا الأسلوب فى جمع الفعل للفاعل المفرد .

(٥) ثغر قطيا : الثغر ، موضع المخافة من فروج البلدان . و« قطيا » قرية فى طريق مصر إلى الشام فى وسط الرمل قرب الفرما (ياقوت : معجم البلدان).

(٦) بالأصل السوادة : وهو موضع بنواحى البلقاء (ياقوت : معجم البلدان)

ثم رحل منها ، ووصل العريش بعدمضى ساعة زمنية من الليل ، ونزل بساحل البحر وضحى به(١) .

ثم رحل [منها] ونزل بالزعقة(٢) وبات بها ، وأقام إلى ضحوة النهار ، ومد سماطاً وأكل ، وركب ولاقاه : نائب غزة الأمير أرغون شاه ، وناظر الجيش ، وكاتب السر بها ، بالقرب منها ، وتقدموا فى خدمته إلى أن وصلوا إلى تل العجول(٣) ، فنزل به .

وأصبح ، وطلب(٤) يوم الخميس إلى غزة ، ولبس شاشاً(٥) ، ولاقاه الأمير تراز الأشرف — أحد الأمراء المقدمين الألوف بالقاهرة — وكذلك الأمير خاير باك(٦) ومن فى صحبتهما من الأمراء والمماليك السلطانية ، ولم يلبس خيوله كما خرج من القاهرة(٧) ، بل اقتصر على ثلاث طوالات(٨) بكنبوش ذهب سروجها ، وطوالة بقماش مغربى ، وطوالة نقوش حربى ، تقاد(٩) أمامه . ودخل إلى مدينة غزة ، وكان يوما // مشهوداً ، ونزل

٥

---

(١) أى ظل بالساحل حتى وقت الضحى .

(٢) الزعقة : بالأصل ، الرعقه (بدون تنقيط) وهى بلدة واقعة قرب الحدود بين مصر والشام ، يمر بها القاصد من مصر إلى الكرك . (المقريزى : السلوك) ٥٩٨/١ حاشية .

(٣) تل العجول : جهة بين عكا والعائدية (المقريزى ، السلوك) ١٢٦/١ حاشية ٢ ، وفى « مفرج الكروب ، لابن واصل — تحقيق د. جمال الدين الشيال » ٣ / ٧٤ ، أن التل يقع بالقرب من غزة .

(٤) طلب : أى عزم على التوجه إلى غزة .

(٥) انظر كشاف المصطلحات .

(٦) يرد الاسم فى « بدائع الزهور » خاير بك .

(٧) انظر ماسبق ، ص٥٣ حاشية ٢ .

(٨) انظر كشاف المصطلحات .

(٩) تقاد : بالأصل : تعاد . (القاف غير منقوطة)

بالقرب من المصطبة ، وأجهر النـــداء لجميع الرعايا والفلاحين بالأمن ، وتزايدت أدعيتهم فى الصحائف الشريفة — زاد الله شرفها — .

وفى صبيحة نهار الجمعة ، جاء المقر الشرفى الأنصارى[1] ، وصحبته شيوخ جبل نابلس وأمير جرم[2] ، فأكرمهم المقر الأشرف باش العساكر الإسلامية غاية الإكرام ، وقرر معهم الرجال وسرعة إخراجها ، وتضرروا من الصرف على المشاة ، ورسم بأن يصرف لهم مال[3] ، إعانة لإخراج الرجال وقطع حجتهم حتى لا يتعطل المهم[4] الشريف ، وألبسهم تشاريف شريفة ، وتوجهوا من مخيمه الكريم لإخراج رجال المشاة .

وفيه : ألبس الأمير أرغون شاه — نائب غزة المحروسة — كاملية[5] سموراً طرشاً ومركوب[6] بقماش ذهب ، وأعفاه من المهم الشريف ، ورسم له بالإقامة لحفظ الطرقات وأمن السبيل .

وفيه : لبس الجناب الزينى ناظرجيش غزة ، كاملية مغربة سمورا طرشاً ، وأقام [الأمير يشبك] بها : الخميس والجمعة والسبت .

---

(١) ذكره المؤلف فى موضع تال « القاضى شرف الدين الأنصارى » وهو القاضى شرف الدين موسى الأنصارى . (ابن إياس : بدائع الزهور — صفحات لم تنشر) ص ٥٩ .

(٢) جرم : قبيلة عربية تقيم بين غزة وبلاد الشراة من جبال الكرك (القلقشندى : قلائد الجمان) ص ٥٣ .

(٣) مال : بالأصل ملى وفى نسخة (تيمور) مسلى ، ولا معنى لهذا اللفظ هنا . وقراءتنا ترجيحية .

(٤) للمهم الشريف ، أى مشروع السلطان .

(٥) كاملية سموراً طرشاً : الكاملية نوع من الملابس الخارجية كالعباءة (السلوك : ٦٨/١ حاشية ١) وسموراً ، نسبة إلى السمور وهو حيوان ثمين ، يستعمل فروه لتحلية للملابس الفاخرة ، وأما « طرشاً » و « مغربة » — التى ستأتى فى المتن — فلم نقف على معنيهما .

(٦) المركوب لم نقف على معناه .

٦

وفى صبيحة // نهار الأحد ، رحل ونزل بالقرب من الضريح المنسوب لأبى هريرة — رضى الله عنه — وإن كان غير واقع ، لأن أبا هريرة — رضى الله عنه — مات بالمدينة ، ودفن بها .

ثم رحل يوم الثلاثاء ، ونزل بالقرب من نهر العوجاء[1] ، وأقام بها : الأربعاء والخميس ؛ وعرض عليه يوسف بن الجيوشى مشاته ، وكذلك غازى ابن مشاق ، فلم يعجبه ، وردهم . وكان خليل بن إسماعيل — شيخ جبل نابلس — لما حضر إلى غزة ، وعده بأنه يعرض مشاته بمنزلة العوجاء ، فحضر وذكر أنه سبق عن ذلك ، واستمهل إلى منزلة اللجون[2] فأمهله .

وفيه : وصل قاصد[3] العز بن محمود بن بلال بأن مخدومه قبض على جماعة من السوارية[4] ، فأخلع[5] عليه وأعطاه نفقة تليق به .

وفيه : كتب [الأمير يشبك] إلى الأبواب الشريفة على يد الساعى بوصول الأمير هابيل[6] ، الذى كان قبض عليه شاه سوار المخذول فى كبسته لأسلاس ، وأخلع عليه كاملية مغربة سموراً ، وأنعم عليه بفرسين ومائتى أشرفيا ، وعاد مجبوراً[7] من المقر الأشرف نظام الملك //

٧

الشريف — أعز الله أنصاره — .

---

(١) نهر العوجاء ، يقع بين أرسوف والرملة من سواحل فلسطين (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) اللجون : بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلا (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) القاصد ، أى الرسول .

(٤) السوارية : هم جند شاه سوار الثائر على السلطان .

(٥) أخلع عليه : أى أنعم عليه .

(٦) هو هابيل بن طقتمر .

(٧) بالأصل : محور (بدون تنقيط) .

ثم رحل [الأمير يشبك] يوم الجمعة من العوجاء ونزل بقاقون ، فلم يحضر إليه غازى بن مشاق .

ثم رحل منها ، ونزل باللجون ، وبات بها . وأصبح يوم الأحد مقيما منتظراً لعرض الشيخ خليل بن إسماعيل ، فأحضر أناساً ملفقين[١] غير ما كان وقع القرار عليه ، وكان القاضى شرف الدين الأنصارى — من حين وصوله إلى غزة ، ومشاهدته إهمال المشايخ فى الاهتمام للمهم الشريف — يشيرعلى المقرالأشرف باش العساكر الإسلامية ، بالقبض على المشايخ حوفاً على نفسه ، لأنه كان سبق منه لدى المقام الشريف — خلد الله ملكه — بأن المشاة المتوجهين ليس لهم عاقة ، ولاينتظروا إلاحضور ركاب الباش — أعز الله أنصاره — والحال أن المقر الأشرف المشار إليه ، لم يزل يؤكدعليه وعلى المقام الشريف بأنه يخشى[٢] أن المشاة يتعسر أمرهم عليه ، وأنه بعد أن يتوجه من القاهرة يعوقه فى الطريق ، ويحصل للعسكربذلك زيادة كلفة وضعف ، فوقع الأمر كما تخيله ، فالله سبحانه وتعالى يلهمه // الصواب ، ويؤيده بملائكته الكرام ، فلله در فراسته ، فلما شاهد المشاة ، ورأى علامات[٣] تدل على عدم السداد ، طلب القاضى شرف الدين ، وذكر له ماشاهده من عدم السداد ، وأنه كان لم يزل يذكر له وقوع هذا الحال ويحذره ، وهو يصرعلى أن المشاة حاضرون ، فازداد خجله ، وسأل المقر الأشرف أنه يقبض على المشايخ المذكورين ، ويلبس أولاد[٤] عمهم ليقيموا بأمر المهم الشريف ، فوقف المقر الأشرف عن القبض عليهم ، لكون أن

---

(١) بالأصل : ملفعين .
(٢) بالأصل : يحتشى .
(٣) بالأصل : علاماتا .
(٤) بالأصل : لأولاد

أولاد إسماعيل أحضروا له أطفالهم من إخوتهم ، ولم يفقدمنهم سوى شخص واحد ، كل ذلك رحمة منه ، ورقة قلب على الصغار الأيتام ، لأنه يلزم من قبض الأكابر قبض الصغار أيضاً ضرورة ، لأنه ربما أنه يحصل على الصغار من أعدائهم شيئاً ، أو يجتمع على أحد منهم المناحيس[١] ويقوم الشر بذلك فى الرعية ، لأن الأهواء مختلفة ، وكلما يشير القاضى شرف الدين بالقبض ، يتوقف المقر الأشرف لما سبق // ورحمة منه على الصغار ، وهو يلح عليه فى ذلك ، إلى أن قال له : أنا ما أمسك أحداً ، فإن كنت أنت تعلم أن المهم الشريف لاينسد[٢] إلا بالقبض على أولاد إسماعيل وغازى بن مشاق ، فافعل . فقال : لابد من القبض عليهم ، وإلا مايتم أمر المهم . ففى الحال ، أشهدنى [الأمير يشبك] والأمير دولات باى السيفى يونس — أحد رؤس النوب — على القاضى شرف الدين ، بأنه مهما حدث من القبض على هؤلاء من عدم السداد ، يكون[٣] لازماً له .

فأجاب : بنعم ، من غير توقف . فقبض على اثنى عشر[٤] نفراً ، منهم من أولاد إسماعيل ثمانية ، وثلاثة من أولاد عمه ، وغازى وابن أخيه[٥] ، وألبس حرب مكان خليل — وكان حاضراً — وطلب عمر بن شبانة ، فحضر بعد ظهر ذلك اليوم ، وألبسه مكان غازى ، وعين الأمير دولات باى وصحبته ثلاثون[٦] مملوكا من العدة الكرية - وتوجه [الأمير دولات]

---

(١) بالأصل : المناحس .
(٢) ينسد : اللفظ بالأصل صعب القراءة (وقراءتنا ترجيحية) وفى (نسخة تيمور) يستند .
(٣) بالأصل : ويكون .
(٤) بالأصل : اثنا عشر .
(٥) هؤلاء ثلاثة عشر .
(٦) بالأصل : ثلاثين .

وصحبته حرب وعمر بن شبانة ليتسلموا البلاد ، ويحضروا بالمشاة // المقرر عليهم للمهم الشريف .

وأقام [الأمير يشبك] ذلك اليوم ، وصلى الصبح يوم الاثنين ، ورحل ونزل بيسان[(١)] وبات بها .

وصلى الصبح يوم الثلاثاء ، ونزل بجانب بحيرة طبرية وبات بها .

وصلى الصبح ، ورحل ، ونزل بالخربة[(٢)] بعد أن حصل للجمال[(٣)] بالعقبة مشقة كبيرة ، [وقد] سلم الله ، بحيث أنه لم يعطب فيها دابة ، وهذا من غريب الاتفاق ، وكل ذلك بعناية الله وفضله .

وورد بها ساعى من القاهرة ، وعلى يده مطالعات فيها بشائر ، بأن ليلة الثلاثاء الثانى من شهر ذى القعدة ، ولد للمقر الأشرف أمير دوادار وباش العساكر الإسلامية – أعز الله أنصاره – ولد ذكر من بنت المقام الشريف الشهابى ، الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف إينال ، وسموه « منصورا » ، ومن الاتفاق الغريب ، أنه لما نزل بمنزله من قرب نهر العوجاء فى التاريخ المذكور ، أخبرنى – بحضرة بعض الأمراء ، منهم : الأمير دولات باى السيفى – بأنه رأى فى منامه ، كأن قائلا يقول له : سيولد لك // ثلاثة أولاد ذكورا ، فسم الأول منصوراً ، والثانى مؤيداً ، والثالث مظفراً ، وورد الخبر بعد ثمانية أيام بذلك ، وهذا من غريب الاتفاق ، ولو وقع مثله لآحاد ممن[(٤)] ينسب إلى المشيخة ، لادعى الكرامة فيه ، لكن وأى كرامة أعظم

---

(١) بالأصل : نيسان . وبيسان مدينة بالأردن بالغور الشامى ، وهى بين حوران وفلسطين ، وبها عين الفلوس . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) بالأصل : الحربه والخربة ، هى « خربة اللصوص » ، وتقع بين دمشق وبيسان (للقريزى : السلوك) ٢٨١/١ حاشية ١ .

(٣) بالأصل : للحمال .

(٤) بالأصل : من .

مما هو فيه ؟ فالله سبحانه وتعالى أن يبلغه مقاصده ومآربه ، بجاه سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – .

وفيها[(١)] : وصل قاضى القضاه قطب الدين الخيضرى[(٢)] ملاقيا ، ومعه من الأطعمة والحلاوة شيئاً كثيراً ، والقاضى ناظر الجيش فى عصر ذلك اليوم ، ومعه فاكهة وحلاوة وغير ذلك .

ولما نزل بالمكان المذكور ، سأل من أرباب الخبرة عن المنزلة[(٣)] ، فأخبروا أنها بعيدة ووعرة[(٤)] ، فأشفق على الجمال من طول المنزلة ، ورسم بأن تحمل الجمال أول الليل ، وتقطع نصف الطريق ، وتنزل فى آخر الليل ، وتقيم إلى أن تصل إليها الخيل له ، ويضحوا ، ثم يتوجهوا إلى المنزلة[(٥)] ، وهى « شقحب »[(٦)] ، فكان الأمر كما أشار إليه // فحصل الرفق للدواب ، وقلة التعب للرجال ، بأن قطع تلك المسافة على أيسر حال وأنعم بال ؛ وكان فعله كذلك بمنزلة الصالحية إلى الغرابى ، ومنزلة قطيا إلى أم الحسن ، بحسن تدبيره[(٧)] وتطلعه إلى الضعفاء وحالهم ؛ ولقد سافرت مع الأمراء مراراً ،

---

(١) أى فى خربة اللصوص

(٢) بالأصل : الحيضرى . وهو القاضى قطب الدين محمد الخيضرى . (ابن إياس : بدائع الزهور — صفحات لم تنشر) ص ٦٠ حاشية ٢ .

(٣) أى سأل عن المنزلة التالية وهى « شقحب » كما سيأتى فى المتن بعد سطور .

(٤) بالأصل : ووعر .

(٥) بالأصل : منزلة .

(٦) شقحب : مكان تحت جبل غباغب (المقريزى : السلوك) ٩٣٠/١ . و « غباغب » قرية فى أول عمل حوران من نواحى دمشق ، بينهما ستة فراسخ (المقريزى : السلوك ٩٣٢/١ حاشية ٤) .

(٧) بالأصل : تدير .

فلم أر منهم من سافر على هذه الكيفية ، بحيث أنه يأخذ المنزلة من غير كد ولا تعب ، وأما بره وإحسانه ونظره لأحوال رفقته من الأمراء والمماليك السلطانية ، فما شاهدته عند أحد ممن سبق - بل ولا سمعت - ، فمن ذلك ، أن السقائين يسبقوا فى كل يوم إلى المنزلة ، وينصبوا بها الحيضان ويملؤها ماء ، فتصل الدواب - وقد أجهدها العطش - فتشرب من الحيضان ويرووا منها ، حتى التجار والرفقة من المسافرين غير العسكر ؛ ومنها : أنه بقى ينادى فى غالب المنازل : من له حاجة ببقسماط ، فليحضر إلى السنيح ويأخذ حاجته // وكذلك إلى شعير ، ومن وقف له جمل يعوضه جملا ، أو يحمل حوائجه على جماله ، ومن عطب له فرس يعطيه مكانه فرساً ، ويتفقد[1] الأمراء فى كل إقامة من الشعير والغنم ، وكذلك أعيان المماليك السلطانية ، ويقرأ عليهم كلما اجتمع عنده من شجعانهم ، بما يتعلق بالفروسية والحيل فى أخذ القلاع والحرب ، وعلى ذوى الآراء بما يتعلق من الرأى والتدبير ، ويخترع فى كل يوم أشياء لم يسبق إليها ، ويحسن للقادمين عليه من أمراء التركمان وقصادهم من النفقات والخيل والخلع ، ويستخبرهم بحال إقليمهم ، فيسمع منهم الغث والسمين ، ويضع جميع ذلك فى عقله التام ، فيأخذ ما شاء ويدع مايظهر له فيه خلل . ولقد شاهدته مراراً ، أن الرجل إذا نظر إليه نظرة واحدة يتفرس فيه الصدق إن كان صادقا ، والكذب إن كان كاذباً ، وجربت[2] ذلك مراراً ، فوجدت أثر ذلك ، ووقفت على صحة // تفرسه ، فالله سبحانه وتعالى أن يزيده من فضله ، ويحرسه بملائكته الكرام .

١٣

١٤

ورحل صبيحة يوم الجمعة من « شقحب » ونزل بقبة يلبغا ، ولاقاه

---

(١) بالأصل : سفقد .

(٢) بالأصل : جربت .

الأمراء الذين تقدموا ، وهم : الأمير برسباى قرا - أحد المقدمين - والأمير خايرباك ، والأمير تمراز ومن فى صحبتهم من الأمراء والمماليك السلطانية ، وكان قد اخترع أمراً فى السفر ، وهو أنه ضم لكل أمير من الأمراء فرقة من المماليك السلطانية ينزلوا معه ويرحلوا معه ، فلبس الجميع فى ذلك اليوم ، وأظهروا زينتهم وسلاحهم ، ومشوا الجميع أمام طلبه السعيد ، كاملين العدة واللبس ، ثم من بعدهم طلبه السعيد . وقد ألبس بعض خيله - وهى عدة مائة وعشرين فرساً - كل طوالة منها لوناً ، لبساوخلقة - وهذا لم يتفق لأحد حتى ولا السلاطين - ثم الخزانة ، ثم القضاة ، ثم الأمراء لابسين الكلوتات ، وهو بينهم كالبدر المنير ، ومن خلفه مماليك المشتروات نحو الأربعمائة // كاملين اللبس ، والجواشن على غالبهم ، وخيلهم لابسة ، ودخل [دمشق] فى موكب عظيم لم يشاهد مثله ، وكان يوما مشهوداً ؛ وأول الناس إلى المصطبة - وهى المنزلة - وحصل له من الدعاء والمحبة من الرعية ما لا يوصف .

١٥

وفى صبيحة يوم الأحد ، ركب وسلم على حريم كافل المماسكة الشامية ، ودخل الجامع الأموى وصلى ركعات ، وتصدق على من وجد به من الفقراء ، وأقام بالوطاق منتظراً المشاة والقاضى شرف الدين الأنصارى والمشايخ إلى يوم الجمعة تاسع عشرة دخل البلد ، وصلى الجمعة بمقصورة الجامع الأموى ، وخطب قاضى القضاة قطب الدين الشافعى - أسبغ الله ظلاله - خطبة بليغة ، حرض فيها على التثبت والصبر فى الأمور واتفاق الكلمة ، وما يحدث من الاختلاف ، وأتى بآيات من كتاب الله تعالى ، وبأحاديث أجاد فيها إنشاء وإنشاداً ، فلما خرج من الجامع ، وقف له الناس صفوفا وهم يدعون له // ويتضرعون إلى الله بنصره على عدو الله وعدو المسلمين ، فشاهد جماعة مستكثرة من الفقراء واقفين على باب الجامع ، فرسم لى بأن أقف مع خازنداره ، وأتصدق من ماله عليهم ، ففرقت جميع ما وجدته مع الأمير شادباك - خازندار الكيس - إلى أن نفد ، وكان معى بعض شىء أضفته

١٦

إلى ذلك وأنفقته(١) مع ذلك – ولله الحمد – وقاسيت فى ذلك اليوم من الازدحام مالا يمكن تعبيره ؛ ورسم أن يفرق على المماليك السلطانية عليق شهر ذى القعدة . فغلط الكاتب وفرق عليق أربعين يوماً تكملة شهر شوال – وهى المدة التى مضت بالقاهرة – ، فطلب الكاتب وضربه ضرباً مبرحاً ، وأقامه(٢) فى الترسيم أياما ، ثم أنعم عليه وصفح [عنه] وأطلقه .

وفى رابع عشرينه ، وصل القاضى شرف الدين الأنصارى ، وبلغه(٣) أن المشاة تكملوا ، وأنهم توجهوا على طريق وادى التيم ، فرحل من دمشق نهار الجمعة بعد صلاة الظهر ، ونزل عند خان لاجين (٤) .

١٧

وفى نهار السبت ، وصل // محمد بن مبارك حاجب الحجاب بالشام ، ونائب القلعة بها ، ويشبك نقيب القلعة فودعهما ، وضرب يشبك – نقيب القلعة – على رجله مقدار ثلاثين عصا ، لما وقع من تفريطه وتهاونه فى تجهيزه للزردخانات من قلعة دمشق ، ثم ترامیت عليه وقبلت يده وشفعت فيه فشفعنى فيه – رزقه الله شفاعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

ومنها [رحل] إلى « القطيفة » (٥) ثم إلى « النبك » (٦) ، ثم ضحى

---

(١) بالأصل : ونفقته .

(٢) بالأصل : وأقام .

(٣) صعبة القراءة بالأصل . (والقراءة ترجيحية) .

(٤) خان لاجين :

(٥) القطيفة : قرية – دون ثنية العقاب – للقاصد إلى دمشق فى طرف البرية من ناحية حمص . (ياقوت : معجم البلدان)

(٦) النبك : قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق ، فيها عين عجيبة باردة فى الصيف صافية طيبة عذبة ، يقولون مخرجها من يبرود . (ياقوت : معجم البلدان) .

بـ« قارة » (١) نهار الإثنين تاسع عشرينه ، ورحل وبات بمنزلة « حصبا » .

وفى يوم الثلاثاء ، مستهل شهر ذى الحجة ، دخل حمص ، ووصل كافل المملكة الحموية وصحبته : القضاة ، والمباشرون (٢) ، والأمراء ؛ ووصل [أيضا] الأمير فخر الدين بن أغلبك ، وسيدى على بن الشيبانى من حلب .

وفيها (٣) : وصلت الأخبار ، بأن أهل « عينتاب » (٤) رحلوا عنها خوفا مما بلغهم من قوة العساكر ، وأقام بها إلى صبيحة نهار الخميس ، [ثم] رحل [منها] وضحى بـ« الرستن » (٥) ثم بات ببيادر (٦) « حماة » ، وأصبح // يوم الجمعة وطلب [حماة] (٧) ولاقاه الأمير تمراز ، وخاير باك – من المقدمين الذين كانوا تقدموه – بشاش وقماش ، وكذلك : نائب صفد ، وطرابلس ، ونائب حماة فألبس الثلاثة تشاريفا كانت وصلت معه من المقام

١٨

---

(١) قارة : بالأصل : قارا . وهى قرية كبيرة على قارعة الطريق ، وهى المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق ، وأهلها كلهم نصارى ، وبها عيون جارية يزرعون عليها . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) بالأصل : المباشرين .

(٣) أى فى حمص .

(٤) عينتاب : قلعة حصينة ، ورستاق بين حلب وأنطاكية ، وكانت تعرف بـ« دلوك » و« دلوك » رستاقها . (ياقوت : معجم البلدان) والرستاق ، كلة فارسية تكتب هكذا « رستك » ومعناها : قرية صغيرة (المعجم فى اللغة الفارسية) .

(٥) الرستن : بليدة قديمة فى منتصف الطريق بين حماه وحمص . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٦) البيادر : جمع بيدر ؛ والبيدر هو الموضع الذى يدرس القمح ونحوه فيه .

(٧) الإضافة ضرورية لتوضيح الخبر ، اهتداء بالنص نفسه .

الشريف ، وأركبهم خيولا من الاسطبلات الشريفة أيضا كانت صحبته فخدموا
على العادة ، وطلب [الأطلاب] ودخل إلى « حماة » ، كما دخل إلى
« غزة » من غير زيادة ، وكان يوم مشهوداً . ونزل بالقرب من المنزلة على
العادة ؛ وبها حضر الأمير محمود بن سقلسير وصحبته حمزة بن صقلسير (١)
نائب مصياف (٢) بجمعهم (٣) ، فأخلع على الأمير محمود كاملية مغربة سموراء
وعزل حمزة بن سقاسير ، وألبس طريل بن طوغان بن صقلسير مكانه ، وألبس
حمزة نيابة حصن الأكراد وعزل نائبها ، وخلع على كل منهما أطلسير وشاش
بطرفين ، وهذا لم يتفق لأحد قبله من الباشات — حرسه الله من كل عين
لامة (٤) — ، ورسم على حاجب الحجاب خليل بن زوبعة لمبلغ كان أحيل
به // عليه ، فضمنه القاضى شرف الدين الأنصارى ، وصحبه معه إلى حلب ١٩
فى الترسيم إلى أن يقوم بما عليه .

وفى نهار الاثنين ، جهز (٥) ساعيا إلى الأبواب الشريفة بوصوله إلى
حماة ، وورد كتاب نائب الشام ، ونائب حلب بالأمور التى وقعت
مفصلة .

وفى نهار الأحد ، وصل القاضى شرف الدين الأنصارى وصحبته الجمالى
نائب القدس بخيله (٦) ورجله ، وكذلك الشيخ حرب بن شبانة على أكمل

---

(١) لا يلتزم المؤلف (أو الناسخ) برسم موحد للاسم ، فهو يكتبه مرة بالصاد ، ومرة بالسين كما يتبين فى السطر التالى من المتن .

(٢) مصياف : فى (ياقوت : معجم البلدان) : مصياب ؛ حصن حصين مشهور للاسماعيلية (الحشاشين) بالساحل الشامى قرب طرابلس ، وبعضهم يقول « مصياف » .

(٣) بالأصل : بجمعهم .

(٤) أى لئيمة (مختار الصحاح : ل أم)

(٥) بالأصل : جهر .

(٦) بالأصل : بحيله .

أهبة ، كاملين العدة والسلاح مع مشاتهم ؛ هذا كله بحسن تدبيره وتأنيه فى
فى الأمور ، ولو كان كغيره من عدم الصبر لما نتجله حال ، لكنه أخذ الأمور
بالمسايسة مع إقامة الحرمة ، لله دره ما أوفر عقله .

وفى صبيحة نهار الإثنين ، سابع شهر ذى الحجة ، رحل من حماة ، ونزل... (١)
وضحى بها .

ثم رحل منها وقت العصر ، ونزل فى الثلث الأول من الليل بالقرب
من « أعجاز » وضحى بها .

ثم رحل منها قبل الظهر ونزل // على « عين الفردوس » بالقرب من ٢٠
« تل السلطان » (٢) ، وبات بها . ووصل الأمير محمد بن أسلماس وبعض
أمراء التركمان .

ثم صلى الصبح يوم الأربعاء نهار عرفة (٣) ، ورحل فلاقاه قاضى القضاة ،
وحاجب الحجاب ، وبقية الأمراء بالمملكة الحلبية بين « تل السلطان » و
« قنسرين » (٤) ؛ فلما وصل العسكر إلى جسر قنسرين تزاحمت الجمال ، فوقف
على رأس القناطر ، ورتب الناس إلى أن مروا ، وكان وقوفه رحمة للناس
وإلا كان هلك شىء كثير من الجمال لشدة الزحام ، فانظر إلى شفقته وصبره
وهمته ، ظفره الله على أعدائه وأعداء الدين . ثم نزل بالقرب من الجسر ،

---

(١) بياض بالأصل بمقدار كلمة . والبياض بالنسخ كلها .

(٢) تل السلطان : موضع بينه وبين حلب نحو ستة فراسخ (ابن الأثير : التاريخ الباهر) ص ١٥ ؛ وفى (ياقوت : معجم البلدان) بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق .

(٣) أى فى التاسع من شهر ذى الحجة .

(٤) قنسرين : (بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده — وقد كسره قوم — ثم سين مهملة) كورة بالشام ، منها : حلب . وكانت قنسرين مدينة بينها وبين =

لحضر إليه كافل المملكة الحلبية الأمير قانصوه اليحياوي (١) وصحبته بقية
الأمراء بالمملكة الحلبية ، وأقام وعيد بها .

ثم رحل قبل الظهر ، ونزل : « العين المباركة » ؛ وأصبح يوم الجمعة
مقيما بها ، وحضر إليه المقر الأشرف برقوق ـ كافل المملكة الشامية بمن
معه من الأمراء .

٢١ وفي يوم السبت // حادي عشرة ، ألبس مماليكه وحمل سنجقه على
[رأسه] (٢).

ومشت مماليك الأمراء تحت سنجقة طلبا واحداً ، وحمل الشطفة الشريفة
على رأسه الكريم ، وكافل المملكة الشامية عن يمينه ، وكافل المملكة
الحلبية عن يساره ، وبقية الأمراء في مراتبهم ، بعد أن ألبس الكافلين
تشريفهما ، وأركبهما فرسين بكنبوش وسرج ذهب ، من مولانا السلطان
الملك الأشرف قايتباي ـ خلد الله ملكه ـ ؛ وكان المقر العالي السيفي إينال
الأشقر ـ رأس نوبة النوب ـ لم يجهز له تشريفا ، فألبسه مثلهما وأركبه
كذلك (٣) ، ثم مشى ، وامتدت الميمنة إلى منتهاها والميسرة كذلك ، وهو
بينهم كالبدر المنير ، وجنائبه تقاد بين يديه مائة وستون فرساً ، مابين
كنبوش ولبوس فاخرة ؛ ولقد حلف لي من أثق به غير واحد من المشايخ
المعمرين ، أنهم لم يشاهدوا مثل هذا الترتيب ولا مثل هذا القماش . وأما

= حلب مرحلة من جهة حمص بالقرب من العواصم ، وما زالت عامرة آهلة إلى سنة
٣٥١ هـ ، فغلبت الروم على مدينة حلب ، فخاف أهل قنسرين فتفرقوا في البلاد
وخربت . (ياقوت : معجم البلدان) .

(١) بالأصل : السحاوي . (والقراءة من : بدائع الزهور : ٢/١١٤)

(٢) سقط بالأصل . والاضافة اقتضاها السياق.

(٣) أي أركبه فرسا بكنبوش وسرج ذهب .

٢٢ أني رأيت دخول // الأشرف برسباي سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، فتميز
دخوله على ذلك بأمور ، منها : أنه دخل لا بمماليكه بأجمعهم . ومنها: أن
المدينة زينت ولم تزين للأشرف . ومنها : أن المماليك السلطانية الذين كانوا
مع الأشرف أفسدوا كثيراً ، ولم يفسدوا خوفا منه (١) .

ونزل [الأمير يشبك] بالميدان الأخضر بحلب، والنواب والمقدمون (٢)
والأمراء في خدمته ، فمد له كافل المملكة الشامية سماطا حافلا وباشر (٣)
مد السماط بنفسه ، وأخذ العصا (٤) بيده وأراد الوقوف إلى أن ينتهي ،
فحلف عليه وأجلسه معه بعد أن امتنع امتناعاً كلياً ، وأقام بالميدان والكفلاء
والأمراء يترددون إلى خدمته ، ولا يجتمع به إلا أكابرهم ؛ وأما الخاصكية
الكبار ، وأمراء العشراوات (٥) فلا يجتمع به منهم إلا القليل ، ووقعت
هيبته في قلب الخاص والعام ، وكل هذا ولم يزل يمعن فكره بما يتصل إلى
إنكاء العدو ، وليس له دأب وهم سوى ذلك .

٢٣ وفي يوم الخميس // سادس عشرة ، حضر إليه كافل المملكة الحلبية
وصحبته أمراء التركمان : الأمير شاد بداق (٦) بن دلغادر ، والأمير محمد بن
أسلماس ، والأمير خليل بن بوذجا ، والأمير حمزة بن إينال ، وابن كندر
وغيرهم من الأمراء البوذقية ، وجلسوا عن يمينه مع كافل المملكة الحلبية ،

---

(١) المقصود بهم مماليك الأمير يشبك .

(٢) بالأصل : المقدمين .

(٣) بالأصل : (باشر بدون حرف الواو) .

(٤) بالأصل : العصى .

(٥) هكذا بالأصل : وصحتها « العشروات » لأنها جمع « عشرة » وعن
معنى الأمراء والعشروات ، انظر (كشاف المصطلحات)

(٦) بداق : يذكره ابن إياس في « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر)
ص ١٥٩ وغيرها باسم « بضاغ » .

وجلس عن يساره الأمير إينال الأشقر – رأس نوبة النوب – وإلى جانبه الأمير تمراز الأشرف – أحد المقدمين – وفى جانبه الأمير عمر بن رمضان وأخوه داود وغيرهم من الأمراء الأوجاقية ، ورسم (١) لى أن أعلمهم ، أن أحداً منهم لايخالف كافل المملكة الحلبية ، ولا يخرج عن أمره ، ويمتثلوا جميع مايرسم به ، ولايترددون إلى باب أحد غيره ، فإنه أستاذهم الحاضر ، ومتى بلغه عن أحد منهم [أنه] تردد إلى أحد [غيره] حصل عليه مالاخير فيه ؛ وكان عند وصوله قصدوا بابه ، فلم يمكنهم من الدخول إليه ، وقال لهم : « من كان له ضرورة منكم ، فليتوجه إلى كافل المملكة الحلبية

٢٤ ويذكر ضرورته له وهو // يعرفنا بحالكم ، لأنه نائب البلد ، وهو أدرى بحالكم » . فلما تكامل المجلس وأعلمتهم بما رسم لى ، أجابوا بالسمع والطاعة ، فعند ذلك ألبسهم خلعهم ، وجهز (٢) لكافل المملكة الحلبية مبلغ ثمانية آلاف أشرفيا ليفرقها عليهم ، وجهزنى مع المبلغ ففرقتها بحضرة كافل المملكة الحلبية ، فشكا (٣) حاله لى ، وأشار على بأن أفاوض المسامع النظامية بذلك ، وأنه محتاج إلى مبلغ ؛ فذكرت له ذلك ، فرسم له بعشرة آلاف أشرفى ؛ حملت إليه على يد يحيى المزين (٤) ، وأنعم – أيده الله بملائكته – لكل من قصده من النواب والأمراء ولم يخيب (٥) أحداً منهم ؛ وفرق على جماعة من المماليك الذين حضروا صحبة إينال الأشقر ، لكل واحد منهم عشرة أشرفيات ، وغلق لهم جوامكهم وعليقهم إلى آخر صفر ، وهذا شىء لم ينهض به أحد من الباشات (٦) الذين تقدموا ، بل ولا قيراطا منه . وأما

٢٥ إنعامه من الخيل والجمال فلا يحصى // .

(١) رسم له : أى فوضه .

(٢) بالأصل : وجهر .

(٣) بالأصل : فشكى .

(٤) بالأصل : يحى المرس . (والقراءة من نسخة تيمور) .

(٥) بالأصل : يخيب .

(٦) الباشات : جمع « باش » ، وهو الرئيس فى اللغة التركية .

وفى نهار الخميس ثالث عشرين شهر ذى الحجة ، وصل كتاب حارقطلى نائب قلعة المسلمين (١) ، بأن نائب ملطية (٢) ركب على صارم بن بهلوان وكبس بيته وهرب ابن بهلوان ودخل إلى جبل يسمى جبل صقل طونان ، فتبعه ، فلما دخل الجبل ربط طريقه ، وحصل بينهما قتال شديد ، إلى أن ضرب [ابن البهلوان] فرس قرقماس نائب ملطية بنشابة فسقط (٣) فرسه من الجرح ، ووقع عن الفرس فقبض عليه .

وفى رابعه (٤) : حضر أهل ملطية وقاضيها ، فأخبروا بذلك ، فسألهم المقر الأشرف نظام الملك – أيده الله تعالى ونصره – عن سبب ركوبه ، فذكروا أن قافلة أخذها صارم بن بهلوان بين « ملطية » و « بهسنا » (٥) وفيها (٦) مماليك جراكسة مع تاجر يسمى « شيخى » وعدتهم ثمانية وعشرون (٧) مملوكا ، فركب رجاء خلاصهم وخلاص مال التجار ، وحين بلغه ذلك ، عين

(١) قلعة المسلمين : لعلها قلعة اروم التى تقع غربى نهر الفرات مقابل البيرة وتقع بينها وبين سميساط (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) ملطية : ثغر من ثغور الجزيرة مما يلى بلاد الروم . وهى مدينة كبيرة من أكبر الثغور التى دون جبل اللكام ، وتحف بها جبال كثيرة الجوز ، وسائر الثمار مباح لا مالك له . وبين ملطية ومنبج أربعة أيام ، وتبدأ بلاد الشام – من حيث المسافة الطولية – بملطية وتنتهى برفح . (الاصطخرى : المسالك والممالك) ص ٤٣ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ .

(٣) سقط بالأصل .

(٤) هكذا بالأصل : وهو تحديد غامض . والمفهوم مما سبق من السياق ومما سيأتى بعد ، أنه اليوم الرابع والعشرون من شهر ذى الحجة ، حيث سيذكر المؤلف بعد ذلك ، أن نائب ملطية الجديد ومن معه توجهوا إلى ملطية فى السابع والعشرين من الشهر .

(٥) بالأصل : بهسنى . وفى (ياقوت : معجم البلدان) « بهسنا » (بفتحتين وسكون السين ونون وألف) قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسميساط .

(٦) بالأصل : وفيهم .

(٧) بالأصل : ثمانية وعشرين .

٣٦ الأمير إينال نائبا لملطية وأعطاه ألف دينار وأخلع عليه وأركبه فرسا بكنبوش
وسرج ، وجهز معه خمسين مملوكا من المماليك السلطانية ، وأردفه
بالأمير شاه بك بن شهرى نائب «دوركى» — وكان حضر للخدمة الكريمة —
فأنعم عليه بكاملية وأركبه فرسا بكنبوش وسرج ذهب ، وتوجها إليه
السبت سابع عشرين شهر تاريخه .

وفى يوم الخميس مستهل سنة ست [وسبعين وثمانمائة] رحل كافل
المملكة الحلبية ونزل بقرية « حيلان » (١) .

وفى يوم الجمعة ، ثانيه : رحل كافل المملكة الشامية .

وفى يوم السبت : توجه الساعى بالأخبار إلى الأبواب الشريفة (٢) .

وفى يوم الأحد : رحل المقر الأشرف نظام الملك — أيده الله بملائكته
الكرام — بمن معه من العسكر المصرى ، ونزل بين قرية « المسلمية » (٣)
وقَيَّلَ — (٤) كتب الله سلامته ونصره — .

ثم رحل منها ، ونزل بـ « مرج دابق » (٥) وأقام به إلى نهار الخميس .

---

(١) حيلان : (بالفتح) ؛ قرية من قرى حلب تخرج منها عين فوارة كثيرة الماء ، تسيح إلى حلب وتدخل إليها فى قناة وتتفرق إلى الجامع وإلى جميع مدينة حلب . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) الأبواب الشريفة : يعنى السلطان فى القاهرة .

(٣) المسلمية : لعلها « سلمية » (بفتح أوله وثانيه وسكون الميم وياء مثناة من تحت خفيفة) بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماه بينها مسيرة يومين . ولا يعرفها أهل الشام إلا بسلمية . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) قيل : بالأصل : قىل (بدون تنقيط) . والقراءة من (نسخة تيمور) بدون تشكيل ، وقد أشكلنا اللفظ إجتهاداً ، و « قيل » ، أى أمضى ساعات القيلولة .

(٥) مرج دابق : فى (ياقوت : معجم البلدان) « دابق » (بكسر الباء — وقد روى بفتحها وآخره قاف) . قرية قرب حلب من أعمال عزاز ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب نزه .

ورحل [منه] ونزل بقرية تل العار (١) ، وكانت لى ضرورة ، فتأخرت
بحلب عند رحيله ، وأدركته بهذه المنزله صبيحة نهار الجمعة .

٣٧ ثم [رحل] منها إلى زغرغين (٢) ، وهى قريه كبيرة وبها // أرحاء
وبساتين ومياه جارية ، وبها وصل الأمير إينال الأشقر — رأس نوبة النوب —
والمكاحل (٣) معه تجرها العجل ، وكان سلك طريق « الباب » (٤) و « بزاعة » (٥)
بسهولة ، وما كان أحد يظن أنها تصل ، لكن الله سبحانه وتعالى سهل
ذلك وهونه ، وهذا من علامات السعادة . وفى آخر النهار ، توجه جماعة
من الغلمان والأوباش والعشير (٦) بعد أن أشاع بعض من لا يريد الخير للمسلمين ،

---

(١) هكذا بالأصل . وفى (نسخة تيمور) تل أرفاد . وتعذر ضبط الإسم الوارد فى النص ، كذلك لم نعثر على تعريف لتل أرفاد فى كتب الجغرافية الإسلامية .

(٢) هكذا بالأصل . ولم نعثر على تعريف لهذا الموضع ؛ وإنما يذكر الاصطخرى (المسالك والممالك) ص ٤٧ فى حديثه عن (أرض الشام) « زغر » أنها قرية تقع قرب البحيرة الميتة . ويقول فى ص ٤٨ أن المسافة من « أريحا » إلى « زغر » يومان ، ومن « زغر » إلى « جبال الشراة » مسافة يوم . ويقول فى تعريفه (جند فلسطين) ص ٤٣ : إن ديار قوم لوط والبحيرة الميتة و « زغر » إلى بيسان وطبرية تسمى « الغور » لأنها بين جبلين . وفى (ياقوت : معجم البلدان) أنها قرية بمشارف الشام .

(٣) المكاحل : جمع مكحلة ، وهى المدفع .

(٤) الباب : لم نجد له تعريفاً .

(٥) بزاعة : يقول ياقوت (معجم البلدان) : « سمعت من أهل حلب من يقول : « بزاعا » — بالقصر — » وهى بلدة من أعمال حلب فى وادى بطنان — بين منبج وحلب ، وبين كل واحدة منهما مرحلة — وفيها عيون ومياه جارية وأسواق حسنة .

(٦) العشير : اسم يطلق على بدو الشام ، ويطلق أيضاً على سائر الدروز . (المقريزى : السلوك ١/٦٨٩ حاشية ٣) .

وقصده إثارة الفتنة — أن الباش أمر الناس أن ينهبوا قرية ، ولم يكن لذلك حقيقة ، لأنى [كنت] فى تلك الحالة عنده ، والناس يهرعون من كل جانب وهو يتعجب ويقول لى ولغيرى : « ما هذه الحكاية ؟ » وليس منا أحد يعرف الحال ، فلما تزايد الأمر ، كان بجانبه الأمير سودون الطويل ، فقال له : اركب وانظر ورد الناس ، فسكت فلم يجبه ، وسمعت منه أنهم توجهوا لنهب القرية وقد فات الأمر ، وكان كافل المملكة الشامية // إذ ذاك جالسا[١] عنده ، وهو يتأذى منه : أنه يمنعه فى منزلة ثم يركب ، فثنى على الأمير سودون ثانيا — وهو واقف وراء الخيمة — فلم يجبه بشىء ، ثم التفت إلى ، وقال : اركب وانظر الحال ، ومهما أمكنك من الرد فافعل . فركبت فى الحال ومعى ثلاثة[٢] أنفس من جماعتى ، فرأيت أول النهب قد وصل إلى الوطاق[٣] — وكان معى جماعة من فلاحى القرية — فكلما صادفت أحداً معه شىء أخذته منه ودفعته للفلاحين ، وكان ذلك من فضل الله تعالى ، فإنى صادفت فى الطريق شيئاً كثيراً مع أوباش لا خلاق لهم ، ووصلت إلى القرية — وهى على تل عال — وصعدتها ، ووجدت بها بقية من الناهبين ، فضربتهم وطردتهم من القرية ، وأخذت ما وجدت معهم ، وصرت كالهائم أجول بفرسى يمنة ويسرة ، وخصوصا لما شاهدت الحريم — وقد نزعت عنهن أثوابهن[٤] — والأطفال ، فصرت أكرر قوله تعالى // (إنا لله وإنا إليه راجعون) ، ثم رأيت بعض الأوباش قد رموا الحريق فى جانب البلد فبقيت متحيرا ، وإذا بالأمير جانم الزردكاش وصل بجماعته ومعه السقاءين لإطفاء ما وقع من الحريق خوفا على الزردخانات السلطانية ، فإنها كانت

---

(١) بالأصل : جالس .

(٢) بالأصل : ثولاثة .

(٣) بالأصل : الوطا . (وعن معناه ، انظر : كشاف المصطلحات) .

(٤) بالأصل : عنهم أثوابهم .

من القرية قطعها[١] الله تعالى ؛ هذا ما كان من نزل بالقرب [أمر] كاتبه[٢] .

وأما المقر الأشرف نظام الملك الشريف ، فأخذته حمية الإسلام والشفقة على الرعية وعلى المسلمين ، والنار فى قلبه وهو يتجلد ، لعل نائب الشام يقوم ويتوجه لحال سبيله ، فلما أطال نائب الشام الجلوس ، نهض فى الحال وهو يهرول فى مشيه ، فأدركوه خارج المخيم بمركوبه ، فمن صادفه من الناهبين ووجد معه قماش ، أمر بتوسيطه[٣] بعد أخذ القماش منه ، ومنهم من ضربوه المماليك بالدبابيس والمطارق إلى أن مات ؛ ومنهم من قطعت يده ؛ إلى أن أفنى أناساً من الناهبين // وفى الحال ، أمر أن ينادى فى العسكر بأن من أخذ شيئا من القرية يحضر به أو يحذفه بالبرية ، ومن وجد معه شىء بعد المناداة ، جرى عليه ماجرى على المتوسطين والمقتولين ولا يلوم إلا نفسه ، فعند ذلك شرع الناس فى إلقاء ما بأيديهم من النهب . ثم نادى ثانيا : بأن يعلم الأجناد [أن] من وجد عند غلامه شىء من النهب ، فانى بالغداة أنزل المضيق[٤] وأفتش جميع حوائج الأجناد والأمراء ، فمن وجدت معه شيئا : إن كان أميراً أخذت اقطاعه ، وإن كان جنديا شنقته ، وليس لى شغل مع غلامه ؛ وبلغه أن جماعة من الأجناد والتركمان والأكراد توجهوا إلى جهات بالقرب من المنزل للنهب ، ظنا أنه أذن فى ذلك ، فأركب لاجين — دواداره — مع جماعة من مماليكه ، ورسم له أن يقبض [على] كل من يقع نظره عليه من المذكورين ، وقبضوا على جماعة من المتوجهين للنهب ، وأخذوا

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) يعنى المؤلف نفسه و « كاتبه » يعنى كاتب هذه الأخبار .

(٣) هى طريقة القتل بالسيف ، وذلك بأن يضرب الشخص المراد قتله بالسيف فى وسطه فيقطع نصفين .

(٤) أى من قرية « زغر » أو « زغرغين » .

٣١
ملوجدوا بأيديهم ، وأنزلوهم عن خيولهم وأحضروهم // مشاة عراة ، ووجد فيهم جماعة من مماليك الكفلاء والأمراء ، فأودع الكل فى الحديد ورد الفلاحين ما أخذ منهم ، فالله يجازيه عن المسلمين كل خير ؛ فلما تحقق الناس قيامه فى نصرة المظلومين ، شرع كل منهم يلقى ما أخذه ، فأصبح غالب الحوائج يلقى فى خارج المخيم ، غير ماجمعه رؤس نوبة فى الصيوان ، فحصل بذلك فرح كبير للرعية ، ولولا استدراكه وقيامه ضاعت تلك الحوائج ، ونفذ قضاء الله وقدره فى من وسط وقتل ، وكانت كائنة عظيمة دفع الله شرها بحسن نيته ، فلعنة الله على من أثارها ، وبات تلك الليلة ولم يأكل شيئا .

وفيها : وصل كتاب من جماعة [١] وعدتهم خمسة وعشرون نفراً يطلبون الأمان منه ، وأنهم إن أمكنهم تسليم القلعة [٢] يسلموها ، فأعطاهم الأمان ووعدهم بكل خير ، فتأخر عن الرحيل يوم السبت بسبب ذلك إلى قرب الظهر .

٣٢
ثم رحل منها [٣] ، وطلب الأطلاب ورحل إلى مدينة « عينتاب » // قبل العصر ، ونزل بالقرب من الميدان ، ونادى بالأمان لأهل القلعة مدة ثلاثة أيام ، ورسم للعسكر بأنهم لايقاتلوا أهل القلعة ولا يرموهم بالنشاب ، فبقى أهل القلعة ــ كلما مر عليهم أحد من المشاة والغلمان ــ يرموهم بالسهام من المرامى حتى جرحوا أناساً وقتل ثلاثة أنفار ، فعاودهم الثانية بأنهم آمنون على أنفسهم وحريمهم وأموالهم ، بشرط أنهم يسلموا القلعة ، وهم مخيرون بين الإقامة فى المملكة السلطانية أو التوجه [٤] حيث شاؤا وأرادوا ، فكان

---

(١) واضح أن هنا سقط بعد اللفظ « جماعة » ، والجماعة ، هم من أهل عينتاب كما يؤكد النص بعد ذلك ، وقلعة عينتاب فى ملك شاه سوار .
(٢) هى قلعة عينتاب ، كما سيأتى بعد سطور فى المتن .
(٣) أى من قرية « زغر » أو « زغرغين » .
(٤) بالأصل : والتوجه .

جوابهم : إنهم لا يريدون أمانا ، وأنهم مصرون على القتال ، ولا يرجعون عما هم فيه إلى [١] أن يقتلوا عن آخرهم ؛ فقال ــ أيده الله بملائكته الكرام ــ : « الآن تعين قتالهم ومنابذتهم ؛ فشرع فى نصب المكاحل ، فنصبت مكحلتنا [٢] السلطان الملك الأشرف ــ خلد الله ملكه ــ فى مقابلة البرج المشهور ببرج

٣٣
ابن الباجى [٣] وبرج الماء [٤] ، ومكحلة كافل المملكة // الشامية بالقرب منها من جهة الشرق ، ومكحلة كافل المملكة الحلبية على باب الدباغة من جهة شمال القلعة ، ومكحلة المقر الأشرف أمير دوادار ــ أعز الله أنصاره ــ طلبها الأمير خاير باك ــ أحد المقدمين بالقاهرة ــ واختار له مكانا من جهة الشرق ، بتل عال هناك يسمى تل الأكراد ، ثم رأى أن المكان فى غاية البعد ، فنقله إلى أسفل منه ، ثم رمى فلم يصب إلى أن نقله إلى ثلاثة أماكن ، وكل العسكر والمعلمين يقولوا : إن المكان الذى اختاره لايصلح ، وهو يكابر الجميع ويدعى أنه ليس فى جوانب القلعة مكان أصلح من ذلك ، وخالف الإجماع فى ذلك ، نسأل الله العافية فى عقولنا .

وكان المقر الأشرف عند نزوله بعينتاب ، طلب الأمراء والكفلاء وقال لهم : إنا وصلنا إلى عينتاب ، وقد أحضرنا معنا من السلاح والمكاحل

٣٤
والمناجنيق مالم يحضر مع ملك من الملوك ، فأنتم // مخيرون بين أمرين : إما أنكم تلتزموا حفر الخندق وحفظ جهة العدو ، وأنا ألتزم حصار القلعة ــ وهو الأولى لأن جماعتى أكثر من جماعتكم والصناع يهابون منى أكثر ــ وإما أن ألتزم حفر الخندق وحفظ جهة العدو ، وأنتم تلتزمون الحصار ، فأجابوا : إن المصلحة تقتضى أن نلتزم الحصار وأنت تقيم فى حفظ جهة العدو وحفر الخندق ، وتفرقوا على ذلك .

---

(١) بالأصل : إلا .
(٢) بالأصل : مكحلتى .
(٣) لم نستدل على برج ابن الباجى هذا من المصادر التى رجعنا إليها .
(٤) برج الماء : لم نستدل على هذا البرج من المصادر التى رجعنا إليها .

ونصبت المكاحل والمناجنيق حسبما تقدم ، والرمى عليهم مستمر إلى تسعة أيام من حين النزول ، والمقر الأشرف ينظر إلى هماتهم ولا يعجبه ذلك ، لما فى قلبه من الهمة العالية ، وكل يوم يتأسف ويحترق على منعهم إياه من الحصار ، ويتحقق أن الأمر لايتم على هذا الحال .

وفى عصر يوم الأحد ، حضر إليه الأمير يشبك نائب طرابلس ، فذكر له بأن الامر لايتم إلا به ، وربما إذا حصل تمادى (١) فى الأمر ، يطمع العدو ، ٣٥ فهيج ما فى خاطره ، فركب فى الحال ، ونادى لغلمانه // ومماليكه والعشير المضاف إليه ، بأنهم يقطعون أشجار الصفصاف ويلقوها فى مقابلة « برج الماء » ، ففى الحال قطع جانب كبير من الأشجار ، وسحبت إلى أن ألقيت فى الخندق ، ثم أمر العشير بأنهم يلقوا على ذلك [الشجر] التراب . وبات تلك الليلة وهو مجد على الحصار ، ولا يدع أحداً يقرب السور ، اللهم إن كان بغير علمه ، ولازال على ذلك إلى أن صنع جسراً بمماليكه يصل إلى الجانب الآخر ، كل ذلك فى يوم وليلة ، وملك برج الماء وهدمه (٢) ؛ ثم رسم بحث رمى المكاحل ، وباشر الأمور بنفسه ، والنشاب والحجارة ترمى من القلعة مثل المطر ، وهو لايلتفت إلى شىء من ذلك ، فلله دره ما أقوى جنانه .

ثم رسم للأمير خايرباك ، بأنه ينقل المكحلة المتعلقة به إلى مكان عينه بين مكحلتى نائب الشام ونائب حلب لبعد [ما] بينهما ، لتتصل (٣) المكاحل بعضها ببعض ، فإن ذلك أكثر تأثيراً من البعد ، فنقله المشار إليه ، وأمره ٣٦ أن يرمى ويباشر ذلك على عادته // — وكان قد انكسر خاطره لنقل ذلك فلما عينه [بين المكحلتين] طاب خاطره ورمى حجرين ، فانهدم ما كان

---

(١) بالأصل : تماد .

(٢) بالأصل : وهدمها .

(٣) بالأصل : لينتصل .

بين الكافلين من السور ، ووقع الرعب فى قلوب أهل القلعة من أمرين ، أحدهما : من شدة الحصار ، والثانى : من الهدم ، وتحققوا أن لا طاقة لهم بذلك ، وأنهم مأخوذون لامحالة ، فطلبوا الأمير إينال الأشقر — رأس نوبة النوب — من المقر الأشرف نظام الملك الشريف — أيده الله تعالى — ليتفقوا معه على أمر يكون فيه خلاصهم ويسلموا القلعة ، فجهزه المشار إليه وجهزنى معه لأسمع مايقولوا وأرد عليه الجواب ، فتوجهت معه ، ومعنا جماعة ، منهم : الأمير ناصر دلغادر ، والأمير على بن فياض ، ووقفنا بمكان بالقرب من المرمى وهم وراء ذلك ، فتكلم قانباى — النائب من جهة سوار المخذول — كلاماً طويلا ، ملخصه : أنهم يطلبوا الأمان لأنفسهم وأولادهم وأموالهم ، وإذا أنعم عليهم بذلك يسلموا القلعة ، وأنهم يطلبوا ٣٧ النظر الكريم عليهم // بأن يجرى عليهم رزق يقوم بأودهم ، واستمر المقر الأشرف إينال الأشقر مقيما بالمكان المذكور — وبلغت ما كان سألوه ، فأجابهم إلى ذلك ، وخيرهم بين الإقامة عنده أو التوجه إلى عند مخدومهم ، وأنهم آمنون حسبما تقدم سؤالهم ، فرجعت وأخبرتهم بما أنعم عليهم ، فجهزوا شخصاً من جهتهم يسمى حسن بن حجك ليسمع من لفظ المقر المشار إليه ذلك ، لتزداد قلوبهم طمأنينة (١) ، فحضر وسمع جميع ما بلغته ، فرأيت فى وجهه بعض تغير ما عجبنى ذلك منه ، فقلت له : لعلك تريد أن يحلف لك الأمير — نصره الله — على ما أنعم به من الأمان ؟ فقال : نعم ، فسألت صدقاته (٢) فى ذلك فأجاب وحلف له وأرضاه ، ثم ألبسه كاملية سمور الطرشا ، وجهزه إلى القلعة ليخبرهم بما شاهد ، فصعد إلى القلعة وأخبرهم بجميع ما ٣٨ شاهده من الشفقة والحنو من المشار إليه // فعند ذلك نزل قانباى النائب

---

(١) بالأصل : طمانينه .

(٢) صدقاته : لفظ يعبر عن احترام زائد من المؤلف للأمير يشبك ، وكأن المؤلف يريد أن يقول ، إنه طلب من الأمير أن يتصدق عليهم باليمين .

وصحبه جميع القلاقة ، وسلم مفاتيح القلعة للمقر الأشرف الأمير دوادار
وباش العساكر الإسلامية ، فخلع عليه كاملية سمورا طرشا ، وأركبه فرسا
بسرج مفرق ، وسلمه — وجميع من معه — لجماعة من الخاصكية خوفا [من]
أن أحداً من العسكر يعارضهم أو يشوش عليهم ، وأنزلهم بخيامهم ، وودعالهم
عند الأمير إينال الأشقر ، وأكرم نزلهم .

ثم توجه بنفسه والسكفلاء والأمراء ، والسنجقة الشريفة محمولة عليه ،
وصعد القلعة ونصب السنجقة على بابها والبشائر تدق ، ووقف ساعة إلى أن
نزل من بقى بالقلعة بأهلهم وأولادهم وأثقالهم وقماشهم وما يتعلق بهم ،
ولم يمكن أحداً من التعرض لهم ، ولا تاقيت الحية ، وآواهم وأوصلهم
مع جماعة من الخدام إلى خيمهم المعين لهم ، ثم صعد إلى أعلى القلعة ونصب
عليها السنجقة ، وجلس بمكان عال مطل على المدينة ، ونظر إلى جوانب ٣٩
القلعة فرآها حصينة جداً ، وتعجب من حال الملوك السابقة كيف أهملوا
أمرها وهى فى غاية الصعوبة ، ثم عين جماعة للمبيت بها ، ونزل مؤيداً
منصوراً مسروراً بما منحه الله تعالى من الفتح ، وكان أكبر سروره ،
أن الله سبحانه وتعالى ألهمهم طلب الأمان ، ولولا ذلك وأخذت بالسيف
يلزم من ذلك سفك دماء أهل القلعة ونهب أموالهم ، وما كانت تؤخذ إلا
بعد قتال كبير ، يقتل ويجرح بسبب ذلك جانب كبير من العسكر ، فلله الحمد
على ذلك .

وأصبح يوم الأربعاء ، وكتب [البشائر] وجهزها على يد القاضى
شرف الدين الأنصارى — وكيل المقدم الشريف — ، وكان طلب ذلك منه
قبل وصوله إلى « عينتاب » ، بأنه إذا فتح الله عليه بأخذ قلعة « عينتاب »
يكون هو المبشر ، فقام بوعده له .

وأقام [الأمير يشبك] : « عينتاب » بعد أخذه القلعة فى التاريخ
المذكور ، واهتم بعمارة ما انهدم منها ، وكان حضر معه جماعة ‖ من المعلمين ٤٠

والصناع من القاهرة المحروسة والشام وحلب ، فطلب إذ ذاك أيضاً جماعة
من حماة وحمص والبيرة وقلعة المسلمين فحضر الجميع ، وعمر القلعة فى مقدار
شهر ، وكملها أحسن ما كانت ، وجدد بها بابا وجعل عليه ثلاث مرامى ،
وكتب تجديدها على باب القلعة باسم مولانا السلطان الملك الأشرف
قايتباى — خلد الله ملكه — وملأها من القمح والشعير والسلاح
على أستاتها .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشر شهر صفر الخير : تسحب الأمير عيسى
ابن قراجا — من جماعة سوار المخذول — وقت السحر ، وحضر الخيم الكريم ،
ومثل [1] لدى المقر الأشرف أمير دوادار وباش العساكر المنصورة ،
وذكر : أن سواراً حضر إلى « جبل الصوف » ونزل به بعسكره ، وأنه
عين من جماعته طائفتين : جهز إحداها [2] إلى جهة قلعة المسلمين ، وجهز
طائفة [3] إلى جهة . . . [4] ليقطعوا طريق حلب ، ويأخذوا من وجدوا
من القوافل والمسافرين ، وقصد بذلك قطع الميرة ‖ ليضعف العسكر بذلك ، ٤١
لما بلغه من الخيرات التى تنقل من سائر الجهات من الحبوب والفواكه
والأغنام ، وذكر أنه [5] فى الطائفة الثانية منهم ، ومن جملة المعينين . فلما
كشف المقر الأشرف خبره ، وفى الحال عين الأمير إينال الأشقر — رأس
نوبة النوب — والأمير خاير بك [أحد المقدمين بالقاهرة ، ومعهما فرقة من
العسكر المنصور والأكراد والتركمان ، فلما خرجوا من المخيم وتوجهوا إلى
الجهة المذكورة ، رأوا آثار خيلهم ، فتبع الأمير إينال الأشقر الأثر ، والأمير

---

(١) بالأصل : مثل .
(٢) بالأصل : أحدها .
(٣) هى الطائفة الأخرى .
(٤) اسم الجهة صعب القراءة .
(٥) الإشارة هنا إلى المتحدث ، أى تسحب الأمير عيسى بن قراجا .

خاير باك] (١) إلى جهة أخرى – إلى محل رجوعهم – وافترقوا فرقتين :

فأما الأمير خاير باك [فإنه] صادف المذكورين وهم مابين السمانة والسبعمائة (٢) وكان الأمير خاير باك فى نفر قليل من الأتراك وجماعة من الأكراد – وكانوا فى أوائل الأمير خاير باك – فانتشب (٣) القتال بين السوارية (٤) والأكراد ، وأزعجوهم لأن السوارية (٥) كانوا ملبسين والأكراد عرايا ، فأدركتهم (٦) طائفة // من الأتراك وفى أيديهم الرماح السمهرية ،

٤٣

فما كان غير نصف ساعة ، حتى ولوا الأدبار ، بعد أن قتل من أعيانهم : الأمير قيا بن فارس ، وابن أخيه ، وإلياس وحسن بن قزل نجا ، وسليمان بن مسعود ، ومن أولاد . . . (٧) أربعة من أعيانهم ، و « تبرك » و « مصطفى » أولاد إيرنجى وغيرهم ممن لم يعرفوا ، وقبض على ثلاثة أنفار ، وقطع ثمانية وعشرين (٨) رأساً ، فلما شاهد المخذولون ذلك ، التجؤا (٩) إلى جبل هناك ، ورمى غالبهم خيله ، ولو تبع الأمير إينال رأى الأمير خاير باك ، ما خلص منهم أحد ، فحضر فى عشية ذلك اليوم العسكر المجهز صحبة الأمير خاير باك والرؤس على أرماحهم ، والمقبوضين عليهم أمامهم ،

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة من (نسخة تيمور) .

(٢) بالأصل : السمانه والسبعمانة .

(٣) بالأصل : فا– .

(٤) السوارية : هم جند شاه سوار .

(٥) ملبسين : أى كانوا لابسين عدة الحرب ومستعدين للقتال .

(٦) بالأصل : فأدركهم .

(٧) اللفظ صعب القراءة ، ولعله بنو كلسكان .

(٨) بالأصل : وعشرون .

(٩) بالأصل : التجو .

وكانت ساعة مشهودة (١) .

وفى صبيحة نهار الخميس : حضر الأمير خاير باك إلى المخيم الكريم ، وصحبته الرؤس والمقبوضين عليهم ، فأخلع المقر الأشرف باش العساكر المنصورة عليه ، قباء طراز بلبغاوى (٢) ، وأركبه فرساً بسرج ذهب

٤٣

وكنبوش // وعلى الأمير سودون المنصورى بطراز ، وعلى جانم بطراز ، وعلى الأمير بلباى المؤيدى بطراز ، وعلى الأمير ناصر الكردى بطراز ، وعلى كل من أحضر رأساً بخامة ونفقة تليق به ؛ وكان أنعم على من شهد الوقعة من المماليك السلطانية ، بألف دينار ليفرقها عليهم الأمير خاير باك على قدر مراتبهم فى الحروب حسبما شاهد منهم ، فلما جمعهم الأمير خاير باك ليفرقها عليهم حسبما يراه فاختلفت كلمتهم ، وادعى كل منهم أنه الذى كان فى أوائل القوم ، وأنه الذى فعل كذا ، ونسبوا الأمير خاير باك إلى غرض مع بعضهم ، وكان بريئا (٣) من ذلك .

فلما شاهد ذلك ، رد المبلغ إلى المقر المشار إليه لعجزه عن إرضائهم (٤) ، فطلبنى الأمير تمراز الساق – قريب مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى ، خلد الله ملكه – وقال ، بعد كلام كثير : ليس من المصلحة تفرقة المال على المماليك السلطانية ، والرأى إهمال مثل هذا الأمر ، فبلغت المقر الأشرف

٤٤

المشار إليه ما شافهنى // به ، فقال : والله ماقصدت هذا ، إلا أن العدو المخذول قريب منا ، ولابد أنه يحصل بيننا وبينه قتال ، والمماليك السلطانية إذا رأوا (٥) هذا تزداد (٦) رغبتهم فى بياض الوجه ، ويحصل الغرض

---

(١) يلاحظ أن المؤلف لم يذكر شيئا عن إينال الأشقر .

(٢) القباء : ملبوس وضع تصميمه أمير يقال له يلبغا ، لم تقف على تصميمه .

(٣) بالأصل : بريا .

(٤) بالأصل : رضاهم .

(٥) بالأصل : راو .

(٦) بالأصل : يزداد .

الشريف (١) ، وإلا أنا أحب مالى أكثر منهم .

وفى عشرين شهر تاريخه : وصل قاصد من عند سوار المخذول يسمى محمد بن الحقرق ، وعلى يده هدية للمقر الأشرف باش العساكر الإسلامية وكتاب ، ولنائب حلب كتاب وهدية ، ولكافل المملكة الشامية كتاب ، وللأمير إينال الأشقر كتاب ، ومضمون الكل بأنه رغب فى الدخول فى الطاعة (٢) الشريفة ، وأنهم يجهزوا من يعتمدوا على كلامه ليبدى لهم غرضه ، فجهزونى إليه ومعى أومغان فى مقابل هديته ، فتوجهت إليه ومعى قاصده ، ووصلت إليه بجبل الصوف ، فأنزلنى عند دواداره المسمى « جراغ » ، وكان [جراغ] أخوقبا أمير العسكر الذى تلاقى مع الأمير

٤٥

خاير بك ، وقتل هو وابن أخيه ، وحمل // رأسيهما (٣) فى جملة الرؤس . فتعجب من هذا الاتفاق الغريب ، ثم سألت من الله السلامة ، وكنا هجمنا عليه (٤) على غفلة من غير إعلام فصعب عليه ذلك ، ولام قاصده ، وقال : تحضر مثل هذا وما تعلمنا (٥) ، وكان من الواجب علينا أن نجهز من يلاقيه . فما لبثت غير ساعة زمنية (٦) حتى طلبنى ، فلما قربت منه ، قام ولاقانى خطوات وأجلسنى بجانبه بعد أن أظهر الترحيب والفرح بحضورى إليه ، وخاطبنى بأدب وإعزاز ؛ والظاهر أن قاصده أخبره بذلك ، لأن المقر

---

(١) بالأصل : لشريف .

(٢) بالأصل : لطاعة .

(٣) بالأصل : راسهما .

(٤) المقصود أنهم فاجأوا سواراً بالحضور إليه دون أن يبلغوه مسبقاً بحضورهم كما يفهم من السياق .

(٥) أى المؤلف . ويلاحظ أن المؤلف يعمد إلى جلب أنظار القارىء إليه بالإشادة بنفسه فى مناسبات كثيرة .

(٦) بالأصل : رمليه .

الأشرف أمير دوادار - أيده الله تعالى بملائكته - قال القاصد المذكور : « قد جهزت إليكم قاضى العسكر (١) ، وهو والدنا كلنا ، واعتمادنا على كلامه ، ورضاه رضانا ، ومهما اتفق معكم كان ذلك ، وما ثم (٢) خلاف » . فناولت دواداره الكتاب الذى صحبنى جوابا لسؤاله من المقر الأشرف أمير دوادار وباش العساكر المنصورة ، والاعتماد فى ذلك كله علىّ فيما يرى فيه المصلحة

٤٦

فقلت - بعد أن حمدت // الله وأثنيت عليه ، وتلوت قوله تعالى : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) الآية (٣) ؛ ثم أوردت الحديث المشهور فى حق الحسن بن على - عليهما السلام - ، وأن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن ابنى هذا لسيد (٤) ، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وصار ذلك كما قاله - صلى الله عليه وسلم - بعد نيف وثلاثين سنة « حين سلم الحسن (٥) الأمر لمعاوية (٦) ، بعد قتل على - رضى الله عنه شهيداً كما هو مشهور (٧) - وعد ذلك من معجزاته - صلى الله عليه وسلم - وهذا الأمر قد أخذ حده ، وقد هلكت الرعية من غير فائدة حصلت ، والأولى الإذعان إلى الحق وكف الأذى

---

(١) المؤلف يفصح هنا عن وظيفته .

(٢) بالأصل : ثم .

(٣) سورة الحجرات : ٩ .

(٤) بالأصل : السيد .

(٥) بالأصل : حسن .

(٦) بالأصل : لمعويه .

(٧) امتنع معاوية بن أبى سفيان عن مبايعة على بن أبى طالب بالخلافة ، وحدثت بينهما معركة صفين سنة ٣٦ هـ ، ثم كان من أمر التحكيم ما هو معروف ، وأصبح هناك خليفتان : على ومعاوية . ثم قتل على فى سنة ٤٠ هـ فصفت الخلافة لمعاوية ، غير أن الحسن بن على قام يطلب الخلافة لنفسه ، ولكنه لما رأى عجزه عن الانتصار عليه ، تنازل له عن الخلافة وبايعه حقنا لدماء المسلمين .

والأغراض النفسانية ، فإنها ملجئة (١) إلى خسران الدنيا والآخرة . فقال
لى : إنك قد وعظتنا وأحسنت ، ولكن كان الأوجب عليك أن تعظ جماعتك
٤٧ لأنهم ثلاث مرار يحضروا إلى بعساكرهم ، فيردهم الله // على أعقابهم
خائبين خاسرين ، ويرزقنى النصر عليهم لبغيهم على . فقلت : سبحان الله ؟
أنتم تبدؤا بالبغى ، فاذا قوبلتم بما صدر منكم تقولوا بغيتم علينا؟ ولاشك
ولا خفاء أن مولانا السلطان — خلد الله ملكه — هو خادم الحرمين
الشريفين ، والإمامة لأمير المؤمنين ؛ وقد فوض إليه أمور المملكة ، وأنت
وأباك وأجدادك من قبلك نواب السلطنة من قديم الزمان وإلى الآن ،
وإذا خرجتم عن الطاعة وجب عليه قتالكم ، فهذا لا يكون من قبيل البغى
والباغى لايطلق إلا على من خرج عن الطاعة المفروضة ؛ وأما قولكم : بأن
الله نصركم عليهم لبغيهم ، فهذا أيضا ليس بدليل ، من وجوه ، منها : أن
الله سبحانه وتعالى ، تارة يبلى المؤمنين ليضاعف لهم الأجر . ومنها : أن
يكون ذلك لسوء تدبير منهم ومخالفة ذوى الآراء ، والدليل فى ذلك ،
قتلى « أحد » (٢) — وكان من الحاضرين فى ذلك الوقت ، الشيخ . . . (٣)
٤٨ قاضى // عسكره ، فقال : هذا كله بتقدير الله قلت :

---

(١) بالأصل : ملجيه .

(٢) أى « غزوة أحد » . ويقصد المؤلف أن الله عاقب المسلمين فى هذه الغزوة بهزيمتهم من قريش لما خالف فرسانهم أمر النبى بعدم ترك الثغرة التى كانوا يحفظونها إلا بأمر منه ، فتركوها — عن غير أمره — لما وجدوا أن المسلمين انتصروا على قريش فى أول القتال ، وأخذ كثير منهم يجمعون الغنائم ، فظن فرسان المسلمين أن المعركة انتهت بانتصارهم ، فتركوا مكانهم وأخذوا يجمعون الغنائم بدورهم ، فجاءت فرسان قريش من خلفهم وأعملوا السيف فى المسلمين فتحول الانتصار إلى هزيمة .

(٣) بياض بالأصل ، وبالنسخ كلها .

نعم ، ولكن سوء التدبير كان سببا لذلك ، لأن العبد له الاختيار
الجزئى (١) ولو ذلك لما استحق العقاب .

فقال [سوار] : دع عنك هذا كله ، والله وتربة جدى ووالدى ، لو تأخر
أخذ القلعة خمسة أيام لكنت نصبت خيامى فى مقابلة خيامكم ، ورأيتم
قتالى معكم . فتبسمت عند ذلك .

فقال لى : مِمَّ تبتسم ؟

فقلت : خيراً .

فقال : تكلم .

فقلت : أتأذن لى فى الكلام ؟

فقال : نعم .

فقلت له : ذكرت أنك كنت تريد الحضور والقتال لولا أخذ القلعة ،
فأنت إذاً حضرت ، كنت تقاتل القلعة أو الغريم ؟

فقال : بل الغريم .

قلت : الغريم حاضر ، ولالك مانع من ذلك ، فاسبب تقاعدك؟ فسكت
فلم يجب ، وعلم أنى أفحمته . فقلت : يامولانا الأمير ، إنك طلبت شخصاً
٤٩ يستمع مقصود الأمراء ، وهو يستمع مقصودك ، فأما مقصود الأمراء ، إن
كان لك رغبة فى الدخول فى الطاعة (٢) // الشريفة ويحصل لك ماترومه من
المال والإقطاع ؟

---

(١) بالأصل : الجزوى .

(٢) بالأصل : للطاعة .

قال : نعم .

قلت : لا يكمل ذلك ولا يحصل إلا بتسليم قلعة « درندة » و « سيس » .

فقال : إن هذين البلدين ـ يعنى « سيس » و « درندة » ـ لابد أن السلطان ـ نصره الله ـ يثبت فيهما شخصين ، ومن المعلوم أنهما لا يقومان(١) فى المهمات الشريفة بأكثر من مائة نفس ، وأنا أقوم فى كل منهما بخمسة آلاف نفر ، ويسلطنى السلطان على أى عدو شاء وأراد .

فقلت له : هذا لا يمكن على هذا الوجه ، لكن إن الملوك المجاورة للمملكة السلطانية يظنوا العجز إذا صار ذلك ، وقصد مولانا السلطان ـ خلد الله ملكه ـ عدم ذلك ، وإلا لا يتحصل للخزائن الشريفة(٢) من الجهتين شىء ، والعذر فى ذلك ظاهر ؛ وأما مولانا [فلا] يحصل له من هاتين(٣) الجهتين [شىء] .

فقال : والله لا يحصل لى غير التعب .

فقلت له : إذا ظهر أن فى عدم تسليم القلعتين المذكورتين نقص للحرمة الشريفة ، ولا نفع لمولانا فيهما ؛ وإذا سلمها لنواب السلطنة // حصلت الحرمة التى يرومها المقام الشريف ، والنفع لمولانا واقع محقق ، فما وجه الامتناع ؟ وكلما أتى بحجة رددتها عليه فى كلام يطول ؛ ولما يئست من إصلاحه(٤) وعلمت أنه لا ينقاد إلى الصواب ، قلت فى خاطرى :

٥٠

---

(١) بالأصل : لايقوما

(٢) اللفظ صعب القراءة (والقراءة ترجيحية)

(٣) بالأصل : هذه

(٤) بالأصل : فلاحه .

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادى

فقلت [له] : « قد بلّغتك مراد الأمراء ، وجل قصدهم أنهم يعدلون من أنفسهم ، ويقولون : نحن كنا غالب السبب فى هذه الأمور التى وقعت بسبب المرحوم « برد بك » نائب الشام ولا نريد إلا صداقته(١) ، ولا يسرنا أن يكون أجنبيا فى(٢) خدمة الأبواب الشريفة ، وعداوته أحب إلينا من صداقة الغير « لأنه منا وإلينا من وجوه شتى » ، وأمّلته من المقر الأشرف أمير دوادار بكل خير ، ووعدته بكل جميل منه ، وأنه يضمن المقام الشريف كل ما يرومه وزيادة ؛ وحصل بينى وبينه محاورات كثيرة(٣) وانجلى الحال إلى أنه قال : // إن كان ولابد من تسليم القلاع لنواب السلطنة الشريفة ، فيُخفِر لكل قلعه نائبا ويتسلمها ، بشرط أن رجالى يحفظوا القلعة إلى حين رجوع الخبر من السلطان ، والأمراء هم إخوتى يسألوا صدقات مولانا السلطان فى استقرارى بالقلاع نائبا ويشفعوا لى [فى] ذلك .

٥١

فأردت أن أقول : ما الفرق بين عدم تسليم القلعتين وبين هذه الصورة ؟ فحبست نفسى عن ذلك لما تحققت من عدم رجوعه عن ضلاله ، وتذكرت قول القائل : « أوضحتم الرشد فمن يهتدى ، وقلتم الحق فمن يسمع ؟ » فقلت له : قد بلغتك غرض الأمراء ، ومابقى الآن إلا تبليغهم غرضك ، وبالله المستعان .

فقال : فهل أجهز معك أحداً ، أو فيك الكفاية ؟

قلت : بل الواجب أن تجهز من تختار ليسمع جوابهم . وما قلت ذلك إلا لما ظهر لى أنه علم أنه ما أعجبنى هذا الكلام ، فأردت الخلاص منه وفارقته على هذا الحكم .

---

(١) أى صداقة سوار .

(٢) بالأصل : من .

(٣) بالأصل : كسرة .

٥٢ فلما رجعت إلى المكان // الذى نزلت به ، جهز إلىّ الأمير رستم — عمه — يلاطفنى ويحاشنى فأجبت بجميع ما قال ، وبايعت الله سبحانه وتعالى ، ونزعت ثوب الخوف من قلبى ، وقلت له فى الآخر : ياهذا ، إنى ماجيت إلاّ بطلب منكم ، وماضمنت أنا للمقر الأشرف أمير دوادار والكفلاء بأنى أقضى لكم هذا الشغل ، وأخلص لكم القلاع ، ولاهم بعثونى متدخلا عليكم [1] فإن أردتم نتاج الأمر فقد فصلته لكم ، وإن قصدتم غير ذلك فأنتم المخيرون .

فقال لى : قصدنا أنك تجتهد فى صلاح الأمر على هذا الوجه . فما وسعنى إلا أن قلت : أبذل فى ذلك جهدى وطاقتى . فحضروا بالسماط من عنده ومدّ ذلك ثم أعقب ذلك بخلعة حرير نخ مذهب مغربة [2] مموراً وطاستين صغار فضة وعشرين أشرفيا ، وجهز معى القاصد الذى حضر أولا وهو محمد ابن الحرق [3] ليسمع كلام المقر الأشرف أمير دوادار [4] والكفلاء وما ٥٣ يكون من جوابهم ، فأركب جميع من معه من عسكره // كاملين العدة ، ورتبهم فى طريق ، وبعضهم محتفين [5] بى ، وكذلك أمراءه وأعيان جماعته ، ومعهم عمهم رستم ، إلى أن وصلوا إلى أسفل الجبل ، وفى كل وقت أسألهم فى الرجوع [وهم يمتنعوا من ذلك إكراما منهم ، ثم أقسمت عليهم بالرجوع] [6] فرجعوا .

---

(١) متدخلا عليكم ؛ أى راجيا إياكم .

(٢) بالأصل : مغرمه .

(٣) سبق فى (ص ٨٦) أن ورد هذا الاسم : محمد بن الحقرق ، وقد تعذر ضبط الإسم .

(٤) أمير دوادار : بالأصل . لعردوادله .

(٥) بالأصل : محتفين .

(٦) مابين الحاصرتين إضافة من (نسخة تيمور) .

وتوجهت ، ومعى القاصد المذكور ، فلما وصلت إلى المخيم الكريم ، وأخبرته بما سبق — وزيادات اختصرتها الآن — وأعلمته بما هو [1] فيه من عدم الصلاح والانقياد ، فطلب المقر الأشرف قاصده وكتب معه يقول: إنك قلت جهز لنا من نثق بكلامه ، وسألت أن تدخل فى الطاعة الشريفة ، فأرسلنا إليك ، والدخول فى الطاعة [2] الشريفة لا يمكن إلا بتسليم القلاع وإعادتها للحوزة الشريفة ، فإن كان لك غرض تام فى الدخول ، فتسلم القلاع لنواب السلطنة الشريفة ، وإن كان غير ذلك ، فلاحاجة فى إرسالك القصاد ٥٤ والمكاتبات ، فلا تجهز بعدها مكاتبة ولا قاصدا ، وكن أنت // مجتهداً فيما أنت بصدده ، ونحن كذلك إن شاء الله تعالى ، وهذا آخر الكلام والسلام .

فتوجه القاصد بهذه [3] المكاتبة ؛ وبعد توجهه حضر من عنده نفران متسحبان [4] منه ، وأخبرا : أنه لما أصبح نهار الخميس ، رحل من مكانه وتوجه إلى جهة « بحيرة النصارى » [5] و « فم الأسد » ؛ ثم أعقب ذلك شخص آخر وأخبر : أنه جهز عسكرا إلى جهة بلاد « إعزاز » [6] و « العمق » [7] لينهب من وجد بها من الرعية . وكان قبل ذلك بلغ المقر

---

(١) أى بما عليه سوار .

(٢) والدخول فى الطاعة : بالأصل : والدخول للطاعة .

(٣) بالأصل : بهد .

(٤) بالأصل : متسحبين .

(٥) بحيرة النصارى . لم نجد لها تعريف فى المصادر ، ولكن ذكر ياقوت (معجم البلدان) ، « بحيرة أنطاكيا »، وقال : إنها بحيرة عذبة الماء بينها وبين إنطاكيا ثلاثة أميال فى موضع يعرف بالعمق .

(٦) إعزاز : فى ياقوت (معجم البلدان) ، « عزاز » (بفتح أوله وتكرار الزاى — وربما قيلت بالألف فى أولها) ، وهى بايدة فيها قلعة ولها رستاق (الرستاق قرية صغيرة) وتقع شمالى حلب ، بينهما مسيرة يوم .

(٧) العمق : كورة بنواحى حلب بالشام الآن (فى عصر ياقوت) . (ياقوت : معجم البلدان) . والكورة ، كلمة فارسية ، معناها قرية أو مدينة (المعجم فى اللغة الفارسية) .

الأشرف أمير دوادار — أعز الله أنصاره — هذا القصد ، وأعلم أهل تلك
النواحي وأنذرهم ، وجهز الأمير عمر بن كندغو مع جماعة ليقيم بـ « العمق » ،
ويحذر الرعية ويجمعهم فى مكان حصين ، وجهز الأمير حمزة بن إينال ، بأنه
يحتفظ على قلعة « الراوندان » (١) ويكثر من المقيمين بها ، ويدعهم ينذروا
من وراءهم من البلاد ، فإن هذه القلعة متوسطة بين طريق « العمق » وبلاد
« اعزاز » و « كلز » (٢) ، ولا يقطعوا الخبر عن المخيم الكريم أولا بأول .
فانظر إلى هذا التدبير والتمهيد ، مد الله سبحانه وتعالى فى بقائه وحرسه
بملائكته وأنبيائه ، فحصل — ولله الحمد — بهذا التدبير نفع كبير ، فإن
كشافة المخذول (٣) ما كانت تنقطع عن البلاد ، وتشاهد ذلك الاحتراز
فتتقاعد (٤) خوفا من أمر يطرأ (٥) على جماعته — كما سبق — .

٥٥

وفى نهار الجمعة ، حضر الأمير حمزة بن إينال ، وأخبر بأن سواراً المخذول
نزل بعسكره بالقرب من قلعة « الراوندان » ، وأن بعض الجماعة من أهل
القلعة نزلوا ليلا ، واغتالوا (٦) منهم ستة أنفار وقطعوا رأس واحد منهم وقبضوا
الخمسة وصعدوا بهم إلى القلعة ، فنادى فى العسكر المنصور ، بأنهم يركبوا
بكرة نهار السبت بأجمعهم ، ليصلوا معه إلى قرية « برج الرصاص » (٧)

---

(١) الراوندان : قلعة حصينة ، وكورة طيبة معشبة مشجرة من نواحى حلب . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) كلز : (بكسر أوله وثانيه وآخره زاى) قرية من نواحى عزاز بين حلب وأنطاكية . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) المقصود به سوار .

(٤) فتتقاعد : بالأصل : فتتاقعد (والقراءة من نسخة تيمور)

(٥) يطرأ : بالأصل : يطرى .

(٦) اغتالوا : لعله يريد : فاجأوا كما يفهم من السياق .

(٧) برج الرصاص : قلعة ولها رساتيق (قرى) ، وهى من أعمال حلب قرب أنطاكيا (ياقوت : معجم البلدان) .

٥٦

ويرجعوا ، وكان قصده بذلك إرهاب العدو ، فإنه كان يتحقق أن العدو
المخذول له كشافة يخبروه بما يقع أولا بأول ، فركبت العساكر المنصورة
بعد صلاة الصبح كاملين العدة ، فتوجهت إلى خدمته قبل أن يركب .
وكان [قد] عينى قاصداً للأمير حسن باك صاحب العراقين (١) ومامع
ذلك ، وجهز معى أرمغانا يليق به ، فقبلت يده وودعته ، وحملني مشافهة
أبديها للأمير حسن باك فى أمور تتعلق بالمماسكة الإسلامية ، وتوجه فى
حرز الأمن والسلامة مغربا والقلوب معه .
وتوجهت إلى جهة تبريز مشرقا — مصحوبا بالأمن والسلامة إن شاء
الله تعالى — .
وبت تلك الليلة بقرية « أوديل » — بين « عينتاب » و « ألبيرة » ،
ومعى الشيخ علاء الدين (٢) الحصنى متوجهاً إلى السلطان محمد بن عثمان (٣)
وصحبته أيضاً من الأرمغان ما يليق به ، والسيد أمير جان [متوجها] لولده
السلطان بايزيد (٤) بالشرح (٥) .
ورحلنا من « أوديل » ووصلنا إلى « ألبيرة » وقت الضحى ، وكان مع

---

(١) العراقين : هما العراق العربى والعراق العجمى ، فأما العراق العربى فهو الجزء الأدنى من وادى الرافدين (بين نهر دجلة والفرات) ، أما العراق العجمى فهو إقليم الجبل القديم ، وهو عبارة عن المنطقة الجبلية الواقعة شمال نهر دجلة إلى قرب بحر قزوين حيث توجد طبرستان وبلاد الجبل والديلم .

(٢) علاء الدين : بالأصل : علاى الدين .

(٣) هو السلطان العثمانى .

(٤) بالأصل : أبو يزيد .

(٥) هكذا بالأصل ، والمقصود من هذا اللفظ غامض . غير أننا نعلم — كما سبق أن ذكرنا — أن السلطان العثمانى كان يساعد آل دلغادر ضد سلاطين مصر ، فلعل سلطان مصر قايتباى — الذى تجرى هذه الأحداث فى عصره — أرسل رسوله إلى السلطان العثمانى وابنه للتفاوض فى توقف السلطنة العثمانية من تأييد شاه سوار .

الشيخ علاء الدين فرسان (١) تقدمة (٢) ؛ أحدهما حجر (٣) لم يوجد فى بلاد
الإسلام مثلها ، فاتت يوم خروجنا من « عينتاب » من مغص حصل لها .

٥٧ وكان [الشيخ علاء الدين] جهز // شرف الدين – ابن أخيه – لإعلام الأمير
فى قرية « أوريل » بذلك ، فحضر إلينا يوم الاثنين [فى] « ألبيرة » ، وأخبر
أن الأمير [يشبك] – نصره الله – لما ركب نهار السبت ووصل إلى القرب
من « برج الرصاص » ، كانت كشافة (٤) المخذول سوار حاضرة ، فشاهدوا
ذلك (٥) ، وظنوا أن المقر الأشرف ركب لنهب بيوت سوار النازلين بين
« بحيرة النصارى » و « فم الأسد » ، فجاؤا إليه وأخبروه — وهو نازل
بالقرب من « الراوندان » ، وقصده الإغارة — وأخبروه بأن العساكر
المنصورة توجهت لنهب بيوته وأهله ، فركب فى الحال وتوجه إلى جهة بيوته ،
ورحل من مكانه وتوجه إلى جهة «مرعش» (٦) خوفا أن تدركه العساكر
المنصورة ، فانظر إلى هذا (٧) الاتفاق الغريب ، ولاشك أن كل هذا بعناية
الله تعالى ودليل سعادته ، أيده الله بملائكته ؛ وأن الأمير حمزة بن إينال

---

(١) بالأصل : فرسين .

(٢) تقدمة : يعنى هديه .

(٣) بالأصل : حجره . والحجر : الأنثى من الخيل . (الإفصاح فى فقه اللغة) ٣٢٢ .

(٤) بالأصل : كافه ، والقراءة من (نسخة تيمور) .

(٥) المقصود : أن الكشافة رأت الأمير بالقرب من برج الرصاص .

(٦) مرعش : (بالفتح ثم السكون ، والعين مهملة مفتوحة وشين معجمة) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم، ولها سوران وخندق ، وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى ، بناه الخليفة مروان بن محمد [الأموى] المعروف بمروان الحمار . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٧) بالأصل : هذه .

أحضر المقبوضين (١) عليهم من جماعته ، وعرضهم على المقر الأشرف ، فأمر
بهم فرفعوا إلى السجن .

٥٨ ثم رحلت يوم الإثنين // بعد الظهر ، وودعت صاحبي ، فإنهما توجها إلى
جهة الروم (٢) ، ونزلت فى عشية ذلك اليوم بقرية تسمى بواجق .

ثم رحلت منها ووصلت إلى « الرها » ظهر يوم الثلاثاء .

ورحلت منها ظهر يوم الخميس ، ونزلت بـ « رأس عين الجلاب » (٤) ،

ثم منها إلى ..... (٥) .

٥٩ ومنها إلى « الجبل الأسود » ، ومنها إلى « آمد » وأقمت بها الإثنين
والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) جهة الروم : المقصود بها بلاد تركيا .

(٣) الرها : (بضم أوله والمد والقصر) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان) . وفى « الحروب الصليبية – لباركر – ترجمة العرينى) ص ٥٦ : أنها شديدة القرب من الطريق التجارى الكبير الذى يمتد على الفرات إلى الرقة ، ومنها يتفرع إلى طريقين ، أحدهما يسير إلى أنطاكيا والآخر يتجه إلى دمشق .

(٤) بالأصل : الحلاب . أما رأس عين ، ففى (ياقوت : معجم البلدان) أن العامة تقول «رأس العين» . وهى مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا ، وقريبا من ذلك بينها و بين حران – وهى إلى دنيسر أقرب – بينهما نحو عشرة فراسخ ؛ وفى رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور .

(٥) مكان النقط بياض بالأصل بمقدار كلمة وهى اسم المكان الذى وصل إليه .

ورحلت منها ، بعد أن صليت بجامعها المشهور بالاتقان (١) والتمهيد [فى] بنائه (٢) ، وهو يشبه الجامع الأموى فى تـكوينه ، ولـكن درس غالب معالمه ، وكذلك العمائر التى كان بناها بها « الأراتقة »(٣) تشهد لهم بتسيد مملـكتهم وعمارتها حين ولايتهم لها ، فإذا تأمل الناظر فى تلك المعالم والآثار ، وتحقق سمو هممهم وعلو مراتبهم ، تذكر قول الشاعر :

جرت الرياح على محل ديارهم

فـكأنهم كانوا على ميعاد

ونزلت على عين ماء بالقرب من قرية الحاج سليمان ، وصليت بها الصبح يوم السبت

٥٩

ورحلت ، ووصلت إلى مدينة «حين» //ــ وهى ذات أشجار وكروم ، وعيون تنبع من أسفل قلعتها ، ولمدينتها سور خراب وأثره [باق] وغالب أهلها نصارى ، ورأيت جوامع ومآذن (٤) قد سقط بعضها ، ومساجدها قد خربت بل دثرت ، وكذلك منازل أكابرها الساكنين بها ؛ وهى بلدة طيبة الهواء ، عذبة الماء فى غاية الحلاوة والبرودة ، فأعجبتنى نزاهتها وحسنها ، مع كونها خرابة ؛ وكان قصدى الرحيل منها فى تلك الليلة ، فأقمت بها إلى ظهر يوم الأحد اغتناما ، وسألت أهلها عن اسمها ، فمنهم من قال اسمها

---

(١) بالأصل : بالإتقاق . (والقراءة ترجيحية) .

(٢) بالأصل :« والتمهيد وبنائها ؛ وهى تشبه الجامع الأموى فى تكوينها ، ولكن درس غالب معالمها » . والقلق واضح فى الوصف بالأصل . وما أثبتناه أوضح للوصف .

(٣) الأراتقة : هم بنو أرتق أمراء ماردين وآمد وحصن كيفا فى إقليم الجزيرة وهم من التركمان ، وقد قامت إمارة بنى أرتق فى حصن كيفا وآمد فى سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) ؛ وفى ماردين سنة ٥٠٠ هـ(١١٠٦ م) . (زامباور: معجم الأنساب) ٣٤٤ .

(٤) بالأصل : ومواذن .

« حين » ، ومنهم من قال « عين » — وهو الأقرب ـ ، ومنهم من قال « هين » ، ولا شك أن هذا تصحيف « حين » أو « عين » ، فإن التركمان يصحفون « العين » و « الحاء » ، « هاء » والله أعلم أى ذلك [أصح] .

ورحلنا أودية (١) وجبالا شاهقة ، وبها من أنواع الأشجار ، إلى قرب المغرب ، ونزلنا بواد به(٢) بعض بيوت أكراد .

ثم رحلنا نصف الليل ، ونحن بين جبال وأودية إلى قرب المغرب من يوم الإثنين//ونزلنا بالقرب من قلعة «حباحور»(٣) ، وهى قلعة صغيرة ، وهى برأس واد كبير ، وبها قرى أكراد ، وأنهر جارية من كل جانب ، وهى مكان بلا سكان .

٦٠

ورحلنا منها يوم الثلاثاء وعدينا الفرات (٤) ، وهى(٥) مقدار ربع « ماهى » ك « ألبيرة » ، فان غالب المياه تخالط الفرات بعد انحدارها من ذلك المكان .

ونزلنا تلك الليلة فى واد بين أشجار وجبال ، لا ساكن [فيه] ولا متحرك .

ثم رحلنا منه (٦) ، ونزلنا عشية يوم الأربعاء إلى مكان واسع ، وبه (٧)

---

(١) ورحلنا أودية : هكذا بالأصل . وواضح أن هناك سقطا .

(٢) به : بالأصل : بها .

(٣) بالأصل : حاحور . والقراءة من (نسخة تيمور) وقد تعذر ضبط الإسم من المصادر لعدم ورودها فيها .

(٤) بالأصل : الفراه . (ويتكرر اللفظ بهذا الرسم فى النص) .

(٥) يلاحظ هنا سقوط اسم القرية أو المدينة تى يقارنها بمدينة « البيرة » ، وهذا السقط فى النسخ كلها .

(٦) بالأصل : منها .

(٧) بالأصل : وبها .

أكراد كالوحوش لايشبهون الإنس إلا بالصور ، فسألناهم عن اسم المكان ، فأخبروا : أن هذا المكان يسمى ملش كرد ، فصعدنا جبلا عاليا ، وبتنا ببيوت أكراد ، واجتمعنا بالشيخ الكردى . [وقد] ذكر أنه من ذرية سيدنا العباس — رضى الله عنه — .

ثم رحلنا يوم الخميس ، وبتنا بواد على نهر جار خال عن السكان ، وباتت خيولنا تلك الليلة بلا عليق ، وفقدنا زادنا ، وقاسينا من التعب والنصب مالا يمكن شرحه // غير أن المياه الباردة كانت كثيرة ، والثلوج برؤس الجبال كذلك ، وأما البرد ففى الأربعينيات [١] بحاب لم نشاهد مثله ، والحال أن سفرنا كان فى [شهر] آب [٢] ، وضعف غالب جماعتنا من شدة البرد ، وحصل [عندى] تشويش من ظهر يوم الجمعة إلى نصف الليل من ليلة السبت ، ثم خف عنى ذلك ولله الحمد .

ثم رحلنا وقت السحر ، ونزلنا بمكان بالقرب من « الملاحة البيضاء » وأيضاً لا ساكن ولا أنيس ، وباتت [٣] خيولنا بلا عليق ، وكان من عناية الله وفضله كثرة العشب والمرعى ، ولولا ذلك لهلكنا ، لأن الدواب كانت تقف ونحن لاطاقة لنا بالمشى ، والمفازة بعيدة .

ورحلنا منها فى آخر الليل ، فعاودنى الضعف تلك الليلة ، ووصلنا بكرة نهار الأحد إلى جسر ملذكرد [٤] ، فوجدناها [٥] قد خربت .

---

(١) بالأصل : الأربعينات ، وهى موسم البرد فى بلاد الشام.

(٢) يقابله شهر أغسطس .

(٣) بالأصل : بات .

(٤) هكذا بالأصل : ويكتبها المؤرخون والجغرافيون القدامى أيضاً « منزيكرت » (ابن الأثير : الكامل : ١٠٩/٨) و« منازكرد » (الاصطخرى : المسالك والممالك) ص ١١١ .

( ) يعنى أنه وجد المدينة .

وذكروا لنا : أن الأصل الكبير الذى تجتمع [فيه] المياه — ويسمى الفرات — هو هذا الماء ، وأوله من أرزن [١] الروم . وهذه رابع مرة عديناه من حين // عديناه من « ألبيرة » . وازداد ما بى فى ذلك اليوم من الضعف وأيقنت الهلاك ، وكتبت وصية بأمور ، وأقمت ذلك اليوم بها .

ورحلنا فى الثلث الأول [من الليل] وأصبحنا بزاوية [٢] « بابا طشقون » ، وهم أناس يزرعون تلك الأراضى ، ويطعمون من [٣] يمر عليهم من المسافرين والفقراء ويضيفونهم على حسب طاقتهم ؛ ونزلنا بمكان كثير العشب والمياه ، وأقمنا إلى قرب الظهر من يوم الإثنين .

ورحلنا منها ، ونزلنا من جبل سيحان [٤] — وهو جبل عال والثلوج لاتفارقه [٥] صيفا ولا شتاء ، وزاد ما كنت أجده من الضعف ، فأقمت يوم الثلاثاء ، فحضر إلى الشيخ قرط ، وذكر أنه مقيم بجبل سيحان ، وأن بالجبل فقراء ومشايخ مقيمون به [٦] ، وتحضر إليهم النذور ، ووصف به [٧] أشياء غريبة ؛ وهذا الجبل يرى من مكان بعيد من سائر الجهات ،

---

(١) بالأصل : آرزم . وأرزن الروم بلدة من بلاد أرمينية وأهلها أرمن . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) بالأصل : مراويه .

(٣) بالأصل : لمن .

(٤) بالأصل : سبحان . ولم يذكر ياقوت (معجم البلدان) جبل سيحان ، وإنما ذكر « نهر سيحان » ، فقال : نهر كبير بالثغر من نواحى المصيصة ، وهو نهر « أذنة » بين أنطاكية والروم ، يمر بأذنة ثم ينفصل عنها نحو ستة أميال فيصب فى بحر الروم .

(٥) بالأصل : لاتفارقها .

(٦) بالأصل : بها .

(٧) بالأصل : بها .

وما رأيت فى [ما] شاهدت من الجبال أعلى منه مع كثرة الجبال بذلك الإقليم ، وتبركت به // وتشرفت بدعائه . ٦٣

وصبيحة نهار الأحد رحلنا ، ووصلنا إلى مدينة «أرجيش» [(١)] ونزلنا بزاوية السلطان المرحوم قرا يوسف بن محمد باك صاحب تبريز وبغداد والعراقين كان [(٢)] ، وبها قبره وهو [(٣)] فى غاية الإتقان - . وأقمت متضعفا خمسة أيام .

ورحلت يوم الأحد - بعد أن استعملت محفة للركوب لعدم طاقتى على ركوب الخيل - ونزلت بقرية « باباحيدر » .

ورحلت منها صبيحة يوم الإثنين ، ونزلت بجانب بحيرة «بندماهى» .

ثم رحلت منها ، وتركت المحفة وجعلتها حطبا ، ورضيت بركوب الخيل ، وسرنا بين جبال شاهقة وأودية نازلة ، ونزلنا بالقرب . . . [(٤)] .

ثم رحلنا منها إلى أن مررنا على وادى [(٥)] السواد ، إلى أن نزلنا إلى مرج سكمان وبتنابه .

---

(١) بالأصل : أرجش . وأرجيش ، مدينة قديمة من نواحى أرمينية الكبرى قرب خلاط ، وأكثر أهلها أرمن نصارى (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) يلاحظ أن المؤلف وضع الفعل الماضى «كان» بعد اسم السلطان على عادة بعض المؤرخين القدامى ، ويعنى المؤلف أن قرا يوسف الذى كان سلطانا على تبريز وبغداد والعراقين . وقد حكم السلطان قرا يوسف بين سنتى ٧٩٠ و ٨١٠ هـ (١٣٨٨ - ١٤٠٧ م) . (زامباور : معجم الأنساب) .

(٣) بالأصل : وهى .

(٤) بياض بالأصل ، وفى النسخ كلها .

(٥) بالأصل : واد .

ورحلنا فى آخر الليل ، ووصلنا إلى مدينة « خوى » [(١)] ، وهى كثيرة الأشجار والمياه فى جميع جوانبها ، وبها من العمائر // ماتدل على عظمتها قديما . ٦٤

ورحلنا منها صبيحة يوم الجمعة ، ونزلنا بالقرب من قرية «تاسوا» وبتنا بها ، وأقمنا يوم السبت .

ثم رحلنا [منها] يوم الأحد ، ونزلنا بالقرب من قرية «سوران قولى» .

ثم [رحلنا] منها يوم الإثنين ، ودخلنا [(٢)] مدينة « تبريز » ، وهى مدينة عظيمة ، كثيرة الأشجار والمياه ، وبها من العمائر ما تضرب بها الأمثال ، وخصوصا تربة محمود قازان خان - من ذرية هولاكو [(٣)] - وهو مشهور بين أهل التاريخ . وأما تربته الآن بتبريز والجامع بجانب البرية ، فما رأيت - فيما شاهدت - مثلهما وحسن ترتيبهما ، وهذا يدل على عظم الملك وسعة مملكته . وأما الجامع والعمارة التى أنشأتهما زوجة جهان شاه ابن قرا يوسف بالمدينة [فإنهما] فى غاية الإتقان والحسن ، وحقيقتهما لا تعلم إلا بمشاهدتهما .

ولما رحلنا من المكان المذكور - أعنى القريب من « سوران قولى » لاقانا [(٤)] المهمندار الأمير رستم بجماعة ، وقد // أظهروا زينتهم وقالوا : إن البادشاه بلغه وصولكم وقد جهزنا إليكم ، وجهز سماطا لكم ، فشكرنا فضله ، ووصلنا إلى البرية [(٥)] ونزلنا بها ، وكنت تلك الليلة قاسيت من ٦٥

---

(١) خوى : بالأصل : حوى . وخوى ، بلد مشهور من أعمال أذربيجان ، حصن كثير الخير والفواكه ينسب إليها الثياب الخوية . (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) بالأصل : دخلنا . (بدون حرف الواو)

(٣) بالأصل : هولاكوا .

(٤) لاقانا : اللفظ صعب القراءة بالأصل والقراءة ترجيحية

(٥) البرية : اللفظ صعب القراءة بالأصل . والقراءة من (نسخة تيمور) وقد يقرأ اللفظ : التربة .

الحمى ما لزم الاحتماء ، فأكل الرفقة ما هيىء من السماط ، وتوجهنا إلى أن دخلنا مدينة « تبريز » ومن لاقانا من الأمراء والأجناد ، إلى أن نزلنا بمكان وبتنا به .

فلما أصبحنا يوم الثلاثاء ، دخل الأمير حسن بهادر مدينة « تبريز » ونزل بالدار المعد للامارة ، فقدم إليه بعض الفقراء طبقين فيهما عسلا وخبزا ، فجهزهما لنا مع ساعيه ، وجهز يقول : بأنه كان [قد] قصد الإقامة مدة فى المصيف ، وما حضر إلا لما بلغه حضورنا ، فشكرنا فضله .

ثم نقلنا إلى مكان أفسح وأحسن — وهو أحد عمائر المرحومة خاتون ، وقاضى القضاة علاء الدين[1] ساكن بجوارنا فى المكان — وبعض الخدم حضر وغلق الأبواب علينا من العصر وراح ، فبقينا مسجونين وظنينا[2] أنه يعود // المغرب ، فلم يحضر ، فانتظرناه إلى العشاء فلم يحضر ، وبتنا تلك الليلة فى أحصر حال ، خصوصا لم تنظر مكانا للتبرز ، فلما أصبحنا استغثنا إلى القاضى مما حوصرنا تلك الليلة ، فكتبت إليه رقعة أقول فيها — بعد الحمدلة — : « تقبل الأرض ، وتنهى أنه سجن من غير أمر موجب ، لا لغريم تشكى منه ولا لدين طولب ، ورضى بذلك ، لكنه منع من الوصول إلى محل التبرز ، وما علم المراد من عظم هذا التحرز ، والمملوك يلتجىء لمولانا قاضى القضاة فى إزالة هذه النازلة ، والمصيبة الهائلة ، وفتح الباب للذهاب والإياب ، ويقسم بالله ثم بالطلاق ، أنه بعد هذا الاطلاق لا يعود — إن شاء الله — إلى يوم التلاق ، والله سبحانه وتعالى يصبح مولانا قاضى القضاة بما يسره » . فلما وصلت الرقعة إليه قرأها وتبسم ، ورسم بفتح الأبواب ، ولا يخفى على أهل الأدب ما فى قولى الالتجاء والتصبيح من التهكم[3] .

٦٦

---

(١) بالأصل : علاى الدين .

(٢) وظنينا : هكذا بالأصل .

(٣) يلاحظ ، رغبة المؤلف فى الإشارة بنفسه .

٦٧

ولما كان // ضحوة نهار الأربعاء ، طلبنى السلطان حسن للحضور بين يديه ، فاعتذرت لسخونة عرضت لى ، فجهز من يسأل عنى ويسلم على منه ، وجهز شيئاً من العسل والفاكهة وغير ذلك غير المرتب .

ولما كان يوم الخميس ، جاءنى[1] المهمندار وقال لى : إن البادشاه يرسم لك بالحضور بعد الظهر إلى محل خلوته ، فصليت الظهر وتوجهت معه ، فلما وصلنا إلى قصره أدخلنا مكانا وجلسنا فيه إلى العصر ، ثم طلبنا ، فدخلت عليه وعنده جماعة من أهل العلم والتجار الواردين عليه من سائر الأقاليم ، فلما قربت منه قام من مكانه وأجلسنى بجانبه ، فأول ما بدأ ، أن سألنى عن مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى — خلد الله ملكه — ثم عن المقر الأشرف الأمير يشبك الدوادار ونظام الملك وباش العساكر الإسلامية — أعز الله أنصاره — .

فقلت : بخير ، ويسلمان على البادشاه .

٦٨

فأثنى بكل خير // وقال : والله أنا أحبهما ، ولا أعلم إلا مملكتى ومملكتهما واحد ، وهذه عساكرى حاضرة مهما اخترت منهم خذ ، وقد سألت السلطان بذلك مراراً فلم يرد على جواب وما علمت المراد[2] .

فقلت : بسعادة مولانا البادشاه ، الأمر مايحتاج إلى هذا ، و « سوار » أقل وأخس من أن يجتمع عليه عسكر مولانا السلطان — خلد الله ملكه — وعسكر البادشاه ، وهذا[3] من بعض تركمان المماسكة الحلبية ، وماسبق من الأمور فسببه ظاهر لا يحتاج إلى التفصيل ، لأن مجلس البادشاه

---

(١) بالأصل : جانى

(٢) يعنى . لا يعلم سبب رفض السلطان قايتباى الاستعانة به

(٣) وهذا : المقصود به شاه سوار .

لا يحتمل قط ذلك ، ومولانا البادشاه يعلم حقيقة الحال (١) ، وإلا من قديم الزمان وإلى الآن لم يزل كافل المملكة الحلبية [قادر] على طرد الدالغادرة(٢) وشتت شملهم ويخرجهم من البلاد ، والآن بسعادة البادشاه قد أخذت «عينتاب» فى سبعة أيام ، وحصل الملاقاة مع بعض عسكره(٣) بنفر قليل

٦٩

من المماليك السلطانية ، فانكسروا // وقتل باشهم ، وأخذ سنجقه ، وقتل من أعيانهم نحواً من أربعين نفراً ، ولولا أنهم التجأوا إلى الجبل ، لما نجا منهم أحد ، وكل أمور عساكر الإسلام على أتم نظام ، كل ذلك بحسن تدبير الأمير نظام الملك الشريف ، والرخاء متزايد بالعساكر الإسلامية ، وقد تضعضع الغريم وولى من مكانه هاربا .

ثم سألنى عن أمر العساكر الإسلامية (٤) وما هم فيه ، فأخبرته بكثرتهم وقوتهم واتفاقهم وانقيادهم لنظام الملك ـ أعز الله أنصاره ـ ، وأن كلا من الكفلاء والأمراء يطلب رضاه ، وأخبرته(٥) بما هم فيه من الاهتمام . وكثرة(٦) آلات الحصار والزردخاناة والصناع ، وإلى غير ذلك ، فظهر له من وجه الكراهة لما سمع قوة العساكر المنصورة(٧) .

ثم التفت إلى القاضى حسن ، وقال : اقرأ كتابه(٨) . فقرأه وفهم ما فيه

---

(١) يريد المؤلف أن يقول لحسن باك ، أن السبب هو منافسة السلطان مصر (انظر ما سبق ، ص٦) .

(٢) بالأصل : الدالغار .

(٣) أى عسكر شاه سوار .

(٤) المقصود بهم جيش مصر والشام .

(٥) بالأصل : وأخبرتهم .

(٦) بالأصل : كثرت .

(٧) من الطبيعى أن يكره حسن باك قوة مصر لأنها تشكل خطراً عليه وتمنعه من التوسع على حسابها ، وسوف يحدثنا المؤلف بعد قليل عن تشابك حدود مصر وحدود حسن باك .

(٨) يعنى الكتاب الذى أحضره معه من الأمير يشبك ، وإن كان المؤلف =

ثم قال لفقيه حاضر بالمجلس : إقرأ ـ بعد أن ترجم له بعضه القاضى حسن ـ لنا شيئاً من الحديث النبوى // وذكر لى : أن عادته فى كل ليلة جمعة يجتمع

٧٠

عنده علماء توريز(١) ، ويقرأ عنده شىء من البخارى ، يفعل ذلك للتبرك والفائدة ، فبدأ القارئ فى حديث الغار ، وهو [عن] الثلاثة الذين أووا(٢) إلى غار ـ من المطر ـ من بنى إسرائيل ، والحديث مشهور . فذكر فى الإسناد «نافعا» عن ابن عمر . فقلت للجماعة : من هو هذا «نافع» الذى روى عن ابن عمر ؟(٣) وما أردت إلا فتح الكلام ، وإلا فهو أشهر من «قفا نبك»(٤) ، فوالله جميع من كان بالمجلس لم يعرفه ، منهم من قال : لا يلزم معرفته ، والفطن منهم ، قال : هذا يعلم من أسماء الرجال ، ثم فرغ القارئ من الحديث ، فترجم شيخ منهم الحديث للبادشاه بغير ترتيب ، ثم نقل من تفسير القاضى (٥) ، بأنه قال : إن أصحاب الكهف الذى ورد القرآن فى حقهم هم هؤلاء الثلاثة .

فقلت له : هذا كلام منقوض .

فقال : وما النقض فيه ؟

= لم يذكر من قبل ـ عندما ذكر خبر سفارته ـ أنه يحمل كتابا لحسن باك ، ولكن هذا يفهم من السياق .

(١) توريز وتبريز بمعنى واحد .

(٢) الذين أووا : بالأصل : التى ين اوو .

(٣) وهذه مناسبة أخرى ينتهزها المؤلف ليدل بعلمه على العلماء العجم .

(٤) قفا نبك : مطلع أول بيت من قصيدة الشاعر الجاهلى امرىء القيس (من المعلقات السبع) :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٥) لعله القاضى أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى صاحب «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» فى التفسير .

٧١ فقلت : لأن الله سبحانه وتعالى // أنزل فى حق أهل الكهف قرآنا وبين أحوالهم مفصلا ، والنبى ﷺ ذكر أهل الغار بصيغة التنكير ، وبين أنهم من بنى إسرائيل وذكر عددهم ، والله سبحانه وتعالى ذكر اختلاف الناس (١) فى ذلك ، ثم أسند علم حقيقة عددهم إليه ، والنبى ﷺ بين عددم وأفعالهم من الخير ، ولم يذكر فى عددهم اختلافا ، ولا ذكر أنه صحبهم كلب ، وكذلك حين استيقظوا من منامهم واختلفوا فى مدة لبثهم فى الكهف ، وتجهيز أحدهم لشراء طعام للأكل ، وحاصل الكلام ليس بين القصتين مناسبة بوجه من الوجوه ؛ فشرع يصيح ويستغيث بأن النقل موجود فى تفسير القاضى ؛ فقلت له : إنى أعرضت (٢) الذى نقلته فأجب . فسكت .

ثم حضر الطعام فأكلوا ، وكنت متوعكا ، ومد السماط للحاضرين ،

٧٢ وأمام (٣) البادشاه مائدة صغيرة فيها خمسة أو ستة // صحون ، فطلبنى إلى مائدته المختصة (٤) به ، فرأى (٥) اشتغالى بأكل الخبز عن الطعام واللحم ، فسألنى عن ذلك ، فقلت : إن لى مدة ثمانية عشر يوما محتم عنهما ، فطلب رب حصرم ، وأحضر ذلك فى صحن من دهبج (٦) ، وأشار إلى بالأكل من ذلك ، فأكلت منه قليلا لأجل خاطره ، ثم قمت على عادتنا ، فتعجب من قيامى وقال : لِمَ لم تصبر حتى يرفع السماط ؟ فاعتذرت إليه بأن الطبع والعادة أغلب ،

---

(١) أى فى أصحاب الكهف .

(٢) يقصد المؤلف أنه عرض الذى قاله . وبعد اللفظ « أعرضت » حرف « عن » وهو حشو .

(٣) أمام : بالأصل ، فى أمام . والحرف « فى » حشو.

(٤) بالأصل : المختص .

(٥) بالأصل : فرا .

(٦) أى أن الصحن مصنوع من « دهبج » . والدهبج (بفتح الهاء) جوهر كالزمرد . (مختار الصحاح) .

وقد سبقانى إلى ذلك من غير اختيارى - وكان الأمر كذلك - .

فقال القاضى حسن : والله إن عادة إقليمكم فى غاية الوحاشة ؟

قلت : ولم ذلك ؟

قال : لأن أحدهم يأكل وغيره يقف وينتظر قيامه ليجلس مكانه ، كيف يستريح الآكل مع القائم أو القائم مع الآكل ؟

فقلت : قد ورد [فى] (١) السنة النبوية ، بأن النبى ﷺ كان يوضع بين

٧٣ يديه المائدة ، فيأكل الناس إلى أن يشبعوا ثم يقوموا فيجلس غيرهم // ثم كذلك ، وقد وقع مثل هذا كثير ، بل كان هذا من عادة (٢) العرب ، وبعث ﷺ وهم على ذلك فأقرهم ، ووقع له ذلك ﷺ لقلة الطعام وكثرة الناس ، فأكلوا فوجاً فوجاً وطائفة بعد طائفة ، وشبع الجميع من الطعام القليل (٣) ، وعد ذلك من معجزاته ﷺ ؛ ومن ذلك : قصة جابر — رضى الله عنه — يوم « الخندق » (٣) وأبى هريرة — رضى الله [عنه] . حين أثر فيه الجوع ، وطلب النبى ﷺ أهل الصفة وأشبعهم من القدح الواحد وعدد أهل الصفة مشهور .

فلما رفع السماط أذن لنا ، فتفرق المجلس وتأخر البعض ، وكان ممن

---

(١) بالأصل : عادت .

(٢) إذن كانت هناك ضرورة تستدعى الجلوس للطعام على دفعات ، وأما مناسبة المؤلف ، فهى مائدة خاصة وليست مائدة عامة ، وهكذا لم يوفق المؤلف فى تبرير تصرفه .

(٣) يوم الخندق ، أى غزوة الخندق وتعرف أيضاً بغزوة الأحزاب . وهى الغزوة التى تحزبت فيها قريش واليهود وبعض القبائل العربية لغزو المدينة فى السنة الخامسة الهجرية .

تأخر الخواجا[١] على الآمدى — وهو من الخصيصين به — فأخبرنى أنه[٢] لام القاضى حسن ، وقال : ما كان فيكم أحد يلزمه ويجيبه[٣] ؟ والله لقد صعب ذلك علىّ ؛ فاوسعه إلا أنه قال : بأن علماء العجم يشتغلون بالمعقول[٤] وعلماء العرب ليس لهم // دأب إلا الحديث والتفسير والفقه ، وقد ظهر لى أن القاصد[٥] يستحضر[٦] شيئاً كثيراً من ذلك .

٧٤

ثم طلبنى يوم الأحد فى محل خلوة ، وأحضر سماطاً ، فتمنعت من الأكل لما سبق من الضرورة ، فلما رفع الطعام ، قال لى : إن فى مطالعتك[٧] ، أن الأمير الدوادار حمل معك مشافهة فهاتها .

فقلت : نعم ؛ أما الأولى : فإنه يطلب الأمير[٨] أصلان بن ملك أصلان ابن دلغادر[٩] .

فقال : قد رسمت بذلك إن أراد أن يتوجه بنفسه ، أو يجهز قاصده معك . ثم ما[١٠] ؟

---

(١) الخواجا : لقب يطلق على التاجر الكبير والكاتب والمعلم . (المقريزى: السلوك) ١/٤٢٠ حاشية ٥

(٢) اللائم هو حسن باك .

(٣) أى يجيب للمؤلف .

(٤) أى العلوم العقلية : كالطب ، والفلسفة ، والرياضيات وغيرها .

(٥) أى للمؤلف .

(٦) بالأصل : مستحضر .

(٧) المقصود بالمطالعة ، الرسالة التى جاء بها من الأمير يشبك .

(٨) بالأصل : أمير .

(٩) عن الأمير أصلان انظر ماسبق ، ص ٣٨ حاشية ٢

(١٠) ثم ما ؟ هكذا بالأصل : وتعنى : ثم ماذا ؟

فقلت : الثانية : أن بنى ربيعة قد تحصنوا ببلاد « الرها » ، وفى كل وقت يقطعوا الطريق ببلاد حلب وينهبوا مايجدوه — وكان موسى كبير بنى ربيعة حاضراً — فطلبه ، وأنكر عليه إنكاراً بالغاً ، ومن جملة ما قال له : « والله ، وتربة جدى مايبلغنى صحة هذا ، وإلا سلخت جلد الأبعد[١] ، وأخرجت جميع بنى ربيعة[٢]، كم مرة أوصيكم بالرعية خصوصاً رعية الشام » فشرع // يعتذر ويحلف أن هذا الأمر ماوقع من طائفته ، وإنما هم عرب غيرهم يتسمون باسمهم .

٧٥

فقال : ما أعرف .

ثم قال لى : « إذا حصل من هؤلاء شىء ما أو من غيرهم ممن يتعلق بى ، فصححوا[٣] ذلك ، ثم أعلمونى » . وبلغنى ممن أثق به ، أنه طلب موسى المذكور [مرة أخرى][٤] وهدده ، وحلف أنه إن صح هذا الأمر عنهم ، لم يبق منهم أحداً .

ثم قال [لى][٥] : إيش غير هذا ؟

---

(١) تأدب لطيف من المؤلف ، حيث أنه لم يشأ أن يواجه القارىء بتهديد حسن باك لكبير بنى ربيعة . فالمفروض أن حسن باك هدد هذا الكبير بقوله « وإلا سلخت جلدك » .

(٢) هذا التهديد من حسن باك لكبير بنى ربيعة ، يعنى أن مدينة الرها تابعة لحسن باك (وسيؤكد المؤلف هذا بعد قليل) ، بينما مدينة سروج — التى تقع فى نفس المنطقة — تحت حكم مصر ، أى أن المنطقة مشتركة بين حسن باك ومصر ، ولذلك تكثر القلاقل والاضطرابات فيها .

(٣) لعله يقصد أن يتحققوا من ذلك ، أو أن يمنعوهم بالقوة .

(٤) الإضافة ضرورية لبيان أن تهديد حسن باك لكبير بنى ربيعة حدث مرتين ، المرة الأولى كانت بحضور المؤلف ، والمرة الثانية كانت فى غير حضوره .

(٥) بالأصل : فقال إيش . وما أضفناه للتوضيح .

قلت : إن جماعة حضروا وذكروا أن البادشاه أنعم عليهم بقرايا(١) بلاد(٢) « سروج »(٣) ، وهى متعلقة بـ « ألبيرة »(٤) والقرى(٥) التى بها هى إقطاع للبحرية(٦) بـ « ألبيرة » .

فقال : والله ، ليس لى علم بذلك ، ثم رسم بكتابة مرسومه إلى نائب الرها بالوصية بأطراف بلاد الشام ، وأنه لا يدع أحداً ولا يمكنه من التعرض للقرى التى فى حد الشام ، وأكد عليه فى ذلك ، وكذلك بفحص عن الكردى الذى يشوش على القرى التى من جهة الفرات المتعلقة بقلعة المسلمين ، ويقابله أشد مقابلة — وكنت ذكرت له ذلك // أيضاً .

٧٦

ولما كان يوم الخميس ، طلبنى أيضاً ، فتوجهت إلى قصره ، فرأيته فى جمع كبير من علماء « تبريز » وكان حاضراً عنده ابن(٧) السيد الشريف ، شارح الكشاف من « شيراز » ، وجماعة من علماء « بغداد » و « سمرقند »(٨) ، فقام وأجلسنى بجانبه ، فلما تكامل المجلس ، أمر بقراءة البخارى على عادته فى ليلة الجمعة ، فقرأ القارىء حديث « سبعة يظلهم الله » ،

---

(١) قرايا : أراد بها المؤلف جمع . قرية . وجمع القرية : قرى .

(٢) بالأصل : بيلا .

(٣) بالأصل : سروح .

(٤) متعلقة بالبيرة : يعنى تابعة لألبيرة (والبيرة تحت الحكم المصرى) .

(٥) بالأصل : القرا . (ويتكرر اللفظ بهذا الرسم فى النص) .

(٦) بالأصل : للحريه والقراءة من (نسخة تيمور) والبحرية : هم المماليك البحرية .

(٧) بالأصل : بن ، وقد ذكر حاجى خليفة (كشف الظنون : ٢/١٤٧) أن ممن وضع حاشية على كتاب « الكشاف عن حقائق التنزيل » للزمخشرى ، « العلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجانى » المتوفى سنة ٨١٦ هـ فلعله هو الذى يعنيه المؤلف .

(٨) سمرقند : (بفتح أوله وثانيه) ، ويقال لها بالعربية « سمران » ، بلد =

الحديث . فلما فرغ من قراءة الحديث ، شرع يترجم للبادشاه بالتركى ويفسره له .

فقلت : هل يحفظون لهذا السابع ثامناً ؟(١)

فكان جواب القارىء على : أن كتاب البخارى كتاب جليل ، وليس — بعد كتاب الله — كتاب أصح منه ، وما ذكر فيه غير سبعة .

فقلت : صحة البخارى ما فيه كلام وما ثم نزاع فى ذلك ، ماخلا جماعة من المغاربة ، فإنهم ذكروا أن كتاب « مسلم »(٢) أصح منه وأعلى رتبة وفضلوه على البخارى .

فقال : حاش لله .

٧٧

قلت : إن الذى قلته ذكره « النووى » فى شرح // « مسلم » ، وذكره القاضى عياض وغيره ، وإذا كان لهذا ثامن وتاسع(٣) يلزم منه الطعن فى البخارى ، ثم أنشدت البيت المشهور :

سارت مشرقة وسرت مغربا ... شتان بين مشرق ومغرب

قال شخص من الحاضرين : إذا فرضنا أن هذا السابع له ثامن ما ثم [فى] الحديث أية حصر(٤) .

= معروف مشهور بما وراء النهر ، وهو قصبة بلاد الصغد ، مبنية على جنوبى وادى الصغد مرتفعة عليه ، وينقل « ياقوت » عن « الأزهرى » : بناها « شمر أبوكرب » ، فسميت « شمركنت » فأعربت (فعربت ؟) فقيل : سمرقند ؛ هكذا تلفظ به العرب فى كلامها وأشعارها (ياقوت : معجم البلدان) .

(١) هذه مناسبة أخرى ينتهزها المؤلف ليدل بعلمه على العلماء العجم .

(٢) أى « صحيح مسلم » .

(٣) بالأصل : ثامناً وتاسعاً .

(٤) أنه حصر : اللفظان غامضان بالأصل لصعوبة قراءتهما (اله حصر) وقراءتنا ترجيحية .

فقلت : سبحان الله ، وهل السؤال [إلا] عن هذا ؟ وشرع كل منهم يتكلم من جهة ويرفع صوته ، فسكت .

فقالوا : إن كنت تحفظ شيئاً أكثر من السبعة ، فقل لنا ، وما أجبتهم بشيء .

فقال البادشاه : إن كنت تحفظ شيئاً فقل لهم .

فقلت : يامولانا البادشاه ، هذا المقام مقام امتحان ، وإذا حضروا لمجلس الإفادة أفدتهم وأوصلتهم إلى أربعة عشر ، كما أفادنى شيخى وأستاذى حافظ المشرق والمغرب الشيخ شهاب الدين بن حجر - تغمده [الله] برحمته - .

فقال : ولا أنا ؟

فقلت : أما مولانا البادشاه إذا رسم ، نكتب له ذلك إن شاء الله تعالى .

٧٨ ثم رسم بقراءة شىء // من مكان آخر ، وصار كلام كثير[١] ؛ من ذلك : حديث « معاذ بن جبل » - رضى الله عنه - وهو قوله ﷺ : « أفتان أنت يامعاذ ، » فسأل البادشاه منهم ماسبب ذلك ؟ فلم يجبه أحد منهم بشىء ، والحال أنه قرئ قبل حديث « أنس بن مالك » - رضى الله عنه - وهو قوله : ماصليت خلف أحد أتم ولا أخف من صلاة رسول الله ﷺ ، فرأيته يلتفت إلىّ حين تحقق عجزهم عن الجواب .

فقلت : يا مولانا البادشاه ، إن معاذ بن جبل من أفقه الصحابة ، وكان قارئاً حافظاً أنصارياً ، وكان يصلى صلاة العشاء خلف رسول الله ﷺ .

---

(١) بالأصل : وصار كلاما كثيرا

فقال : ما معنى الأنصارى ؟

فقلت : كانوا طائفة يسكنون المدينة ، وكانوا فى كل سنة يحضروا موسم الحج فى الجاهلية ، فحضروا [فى] سنة من السنين قبل الهجرة ، وسمعوا بالنبى ﷺ وطلب منهم النصرة فبايعوه ، وهما بيعتان[١] ، يقال لهما : بيعة العقبة الأولى والثانية ، وبايعوا // النبى ﷺ أنه [إذا] حضر[٢] إليهم ٧٩ يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأموالهم ، ولما هاجر إليهم النبى عليه الصلاة والسلام نصروه وقاتلوا أعداءه ، فسموا بذلك أنصار ، والمجلس لا يحتمل ، فإن القصة طويلة ، وهم طائفتان[٣] : « أوس » و « خزرج » ، و« معاذ » منهم . وكان « معاذ » إذا فرغ من الصلاة خلف النبى ﷺ يذهب إلى قومه فيصلى بهم العشاء ويطول بهم القراءة ، فشكوا[٤] ذلك للنبى ﷺ فنهاه عن التطويل ، وقوله ﷺ - : « أفتان أنت ؟ » ، ذكر بعض العلماء أنه تهديد لمعاذ - رضى الله عنه - ، حتى قال بعض الصحابة : إنه ما رأيت رسول الله ﷺ غضب مثل غضبه حين بلغه تطويل الصلاة ، وقال بعضهم : إن رجلا من بنى سلمة يقال له « سليم » ، أتى رسول الله ﷺ فقال : إنا نظل فى أعمالنا فلا نأتى حتى نمسى ، فيأتى معاذ بن جبل فينادى بالصلاة فنأتيه ، فيطول علينا . فقال له // النبى[٥] ﷺ - : « لا تكن - أو - ٨٠ لا تكونن فتانا ، إما أن تصلى معى ، وإما أن تخفف عن قومك » . واستدل الشافعى رضى الله عنه بالحديث الأول على جواز المفترض خلف المتنفل ، فيقول السادة الحنفية رضى الله عنهم : إن النية أمر باطنى لا يطلع

---

(١) بالأصل : وهى بيعتين .
(٢) بالأصل : أنه أحضر .
(٣) بالأصل : طائفتين .
(٤) بالأصل : فشكو .
(٥) الخطاب موجه لمعاذ بن جبل .

عليها إلا بإخبار الناوى ، لجاز أن يكون النفل ، فإذا لم يخبر بشىء من ذلك ، فلا يظن بمعاذ أنه يصلى إماماً بالنافلة لقوم يؤدون فروضهم ، لأن الفرض أصل والنافلة فرع ، ولم يرد عن معاذ - رضى الله عنه - شىء ؛ فيجيبوا الشافعية عن ذلك ، ويقولوا : إن معاذ بن جبل لا يظن به أنه يترك فضيلة فرض صلاته خلف النبى ﷺ ، فيقول السادة الحنفية رضى الله عنهم : إن فضيلة صلاته خلف رسول الله ﷺ لا تفوته على الحالتين ، لكنه إذا صلى ٨١ متنفلا أفسد(١) صلاة من خلفه // وفى هذا من المحظور مالا يخفى ؛ واستكل من الطائفتين حجج يضيق مجلس مولانا البادشاه عن إيرادها ، فأعجبه هذا إلى الغاية ؛ لحضر السماط ومدوا وأكل .

وكان جماعة « تبريز » قد استحضروا مسائل(٢) من سائر العلوم ، فلم يحصل لأحد منهم نوبة للكلام لما سبق ، وكان ذلك من فضل الله وعونه .

ومن غريب ما اتفق ، أن القاضى حسن - وهو قاضى عسكره ، وفى تلك البلاد ، يكون [مقامه] مقام كاتب السر فى المملكة المصرية - اجتمعت به فى وقت لأمر من الأمور ، فتجارينا فى الكلام - وكان بينى وبين والده المرحوم الشيخ شرفان(٣) يعقوب مودة أكيدة ، وشركه فى طلب العلم الشريف ، وكان يقرأ على شيخنا المرحوم الشيخ شهاب الدين أحمد المرعشى - تغمده الله برحمته - وسمعت بقراءته جزءين(٤) من « الكشاف »

---

(١) بالأصل : فسد .

(٢) بالأصل : مسائلا .

(٣) بالأصل : سرول ، والقراءة من (نسخة تيمور) وأرجح أن اللفظ يعنى اللقب « شرف الدين » .

(٤) بالأصل : وبن ، وفى (نسخة تيمور) الدهروين ، وقراءتنا اجتهادية اعتماداً على عادة المؤلف فى كتابة اللفظ « جزءين » فانه يكتبه «جزوين» فسقط الحرفان « الجيم » و « الزاى » .

٨٢ وغيره ، ورافقته وصحبته بمصر أيضاً مدة ، ونعم الصاحب كان - رحمه الله - // فسألنى(١) عن ترجمة المقر الأشرف الأمير يشبك الدوادار وباش العساكر المنصورة - أعز الله أنصاره وأيده بملائكته الكرام - فذكرت فضله ، وعقله ، ورأيه السديد ، وتأمله فى الأمور مع تأنى عالم لاخائف ، وتلقيه الوقائع بقلب قوى من غير توان فيما يأتى ، وأما سخاؤه فعام ، يعطى الجزيل ولا يمن ولا يذكر ولا يفتخر ، حتى أنى منذ صحبته ، لم أسمع يوماً منه أنه قال : أعطيت فلاناً كذا ، أو صنعت مع فلان كذا ، وأما مروءته ، فلا يمكن وصفها ، واطلاعه على الحوادث وإيراده الحجج فى الكلام مع الخصم إلى النهاية ، وأما شجاعته وعلمه بالفروسيات ، فيشهد له بذلك الصديق والعدو أما علمه بدقائق السياسة(٢) ، فلا يجاريه فيها(٣) إلا من رسخ فى العلوم ، فبقى يتعجب من ذلك ، وربما ظهر لى منه أنى أطنبت فى مدحه لمحبتى له ، ٨٣ وأنا أريك شيئا يشهد ببعض ما قلته // لك ، وتعلم أنى قصرت فى مدحه وما طولت ، وتذكرت فى ذلك الوقت أنه - أدام الله أيامه - كان كتب جوابا للمخذول سوار لكلام بلغه الأمير هابيل بن طقتمر - وكان المذكور ممسوكا عنده فأطلقه وحمله كلاما ، أجاب عنه(٤) ، وكانت المحوودة عندى - وصحبتها معى ، فطلبتها(٥) فى الحال وأوقفته عليها ، فبقى كلما يقرأ فصلا يتعجب ،

---

(١) السائل هنا القاضى حسن ، كما يتبين ذلك من نهاية وصف المؤلف للأمير يشبك .

(٢) بالأصل : الفروسية ، والراجح أن المؤلف يقصد ما أثبتناه ، حيث أنه سبق ووصف علمه بالفروسية .

(٣) بالأصل : فيه .

(٤) بالأصل : عنها .

(٥) يفهم أنه طلبها من أحد رفقائه الذى كان يحمل له متاعه .

ويقول : والله ماأطنبت فى وصفه ، من يتكلم بمثل(١) هذا الدر هو فوق ماوصفت . ولما توجه إلى عند البادشاه ، ذكر له المجلس بتمامه ، فطلب البادشاه رستم المهمندار ، وقال [له] : توجه إلى القاضى الذى حضر قاصداً من الشام ، ودعه يحضر ومعه الكتاب الذى جهزه الأمير الدوادار لسوار ليقرأه علينا وننظر فيه ، فحضر إلى المذكور فتوجهت معه ، فلما دخلت عليه ٨٤ قام من مجلسه وأكرمنى غاية الإكرام ، فجلست فى مكانى على العادة // فقال : أحضرت معك [الكتاب] ؟

فقلت : نعم ، وهل نخالف(٢) مرسوم البادشاه .

قال : فاقرأه وفسره حتى نعلم مافيه . فقرأته حرفا حرفا ، وكلما فرغت من فصل ترجمته له ، وهو يقول فيما يعجبه من الكلام : « اخربت بيت القحبة زان »(٣) ويهز رأسه ، فلما فرغت من الكتاب ، قال : والله ما كنت أظن أنه يوجد فى المماليك مثل هذا ! وكان فى الكتاب من الاستشهادات : من القرآن ، والحديث ، وأشعار العرب والترك ما يناسب الحال من كل فصل . فقال البادشاه للقاضى حسن : أكتب نسخة هذا الكتاب عندك ، فإن فيه حكم ونصائح لمن يفهم . فأخذ القاضى الكتاب منى وكتبه ثم رد المسودة إلىّ .

وفى يوم الأربعاء ، سابع عشر ربيع الآخر ، حضر إلى المهمندار ، ومعه خلعة مغربة وشقا(٤) (ووجهه وملعل على النحيل)(٥) وألف سكاه(٦) وفرس

---

(١) بالأصل : مثل .

(٢) بالأصل : مخالف .

(٣) هكذا بالأصل ، وقد تعذر الوقوف على معنى هذا « المثل » .

(٤) هكذا بالأصل ، ولعل اللفظ « شقا » جمع « شقة » . (انظر كشاف المصطلحات)

(٥) مابين الهلالين هو نص ما بالأصل ، وبالنسخ الأخرى وقد تعذر ضبطه .

(٦) هكذا بالأصل ، وقد تعذر ضبطه أيضاً .

٨٥ وبغل وعشرين قطعة من القماش الملون // من القطنى(١) وغيره ، وكتب الجواب لى ، ورسم بأن اجتمع بالأمير(٢) أصلان بن ملك أصلان ابن دلغادر(٣) واتفق معه على أنه يحضر أول الربيع بعد الشتاء وأطيب خاطره ، وكتب له كتاباً معى يأمره بذلك وطلب فى كتابه من المقر الأشرف باش العساكر الإسلامية أعز الله أنصاره — جماعة من الأكراد المتسحبين من عنده إلى المملكة الإسلامية(٤) ، فلم يجبه إلى ذلك .

فأقمت بتبريز ، الخميس والجمعة ، وفى يوم السبت المبارك — وهو العشرين من شهر ربيع الآخر — رحلنا من مدينة « تبريز » ، ونزلنا بقرية « سوران قلى »(٥) ، وكان من الاتفاق الغريب [أنه] من حين حصل لى الضعف — كما سبق — ومدة الإقامة بتبريز عشرين يوماً لم تفارقنى الحمى ، وخرجت وأنا موقن بالهلاك ، فأدركنى الله بلطفه الخفى ، [ذلك] أنى لما فارقت فناء(٦) تبريز ، رزقنى الله العافية ، وكأن الضعف لم يكن ، وبت // تلك الليلة بالمكان ٨٦ المذكور بخير ليلة ، وأصبحت وقد تزايدت(٧) العافية ولله الحمد .

ونزلنا يوم الأحد بقرية « تاسو » ، ثم [رحلنا] منها إلى مدينة

---

(١) بالأصل : العطنى ، وفى (نسخة تيمور) العطى ، وقراءتنا اجتهادية

(٢) بالأصل : بالأميرامير ، وقد حذفنا اللقب « امير » لأنه حشو .

(٣) كان الأمير أصلان فى جيش حسن باك الذى كان يحاصر « خلاط » كما يذكر المؤلف بعد ذلك .

(٤) المقصود بالمملكة الإسلامية ، مصر ، واحتماء الأمير أصلان — عدو سلطان مصر — بحسن باك ، واحتماء بعض الأكراد الخاضعين لحسن باك بسلطان مصر ، يبين سوء العلاقة بين الحكام المسلمين المتجاورين فى ذلك الوقت.

(٥) أنظر ماسبق ، ص ١٠٣ .

(٦) بالأصل : فنا .

(٧) بالأصل : تزايد .

« خوى » ؛ [ثم رحلنا] منها وبتنا بمفازة ؛ ثم [رحلنا] منها وبتنا
بوادى(١) الظلمات ؛ ثم [رحلنا] منه(٢) و نزلنا بقرية « بندماهى » –
ومعناه بالعربى « سكر السمك »(٣) .

ومنها [رحلنا] إلى مدينة « أرجيش » ، وأقمت بها يومين ، وحصل
لى بعض تشويش ، ثم رزقنى الله العافية .

ومنها نزلنا بقرية نصارى ، فأمطرت علينا تلك الليلة إلى الصباح
من الثلوج ما لايعبر عنه ، وقاسى جماعتنا من الريح والبرد مالا يعبر عنه ،
وبت أنا وحدى فى اصطبل البقر ، وأصبح الثلج والهواء مترادف لاينقطع ،
وقاسينا إلى أن حملنا [من] الأحمال أشد مقاساة .

ورحلنا منها فى أسوأ حال ، ومررنا على مدينة « هدا الحور »(٤) ،
وهى مدينة ذات سور وقلعة شاهقة ، وبها من الأنهار والبساتين شىء كثير
وهى بجانب البحيرة ، وماء البحيرة تضرب أمواجها سورها ، فا نزلنا بها //

---

(١) بالأصل : بواد .

(٢) بالأصل : منها .

(٣) بندماهى : تسمية فارسية من لفظين : الأول « بند » وله أكثر من
معنى ، منه — ما يوافق المناسبة — : رباط وسلسلة ، وأما اللفظ « ماهى »
فمعناه : السمك . (المعجم فى اللغة الفارسية) فالمعنى الإجمالى للتسمية هو « حاجز
السمك » أو « سد السمك » ، وأما اللفظ « سكر » الذى ذكره المؤلف ، فهو
لفظ معروف فى العربية بمعنى « حاجز » أيضاً أو سد ، ففى مختار الصحاح (مادة :
س ك ر) : « وسكر النهر : سدالنهر » وأهل الشام لايزالون يقولون إلى اليوم :
(سكر الباب) بمعنى : اقفل الباب .

(٤) هدا الحور : هكذا بالأصل ، ولم يتيسر لنا تحديد المكان
ووصفه .

87

ومررنا على ظهر ، إلى أن نزلنا بقرية . . . (١) ووجدنا بها الشيخ يوسف ،
فا نزلنا عنده ، وبتنا تلك الليلة ، والثلج والهواء متصلان من غير انقطاع .

ورحلنا منها نهار الثلاثاء سلخ شهر ربيع الآخر ، ونزلنا بمدينة أخلاط(٢)
فرأيتها مدينة ذات قلعة حصينه ، وبالقلعة جماعة صاحب بدليس(٣) محاصرون
والقتال متصل بينهم وبين جماعة البادشاه وأحد الأمراء الأمير أصلان
ابن الملك(٤) أصلان بن دلغادر(٥) ، وكان معى كتابا من البادشاه إليه ،
ليجهز شخصاً ممن يثق به من جماعته ليتوجه معى ، وينظر كلام نظام الملك(٦)
وفى أول الربيع يتوجه هو بنفسه [إلى الأمير يشبك] إن سمع مايرضيه ؛
فلما بلغه وصولى ، جهز من لاقانى ، ونصب لى خاما(٧) ، وأنزلنى فى أحسن
منزل ، وأجرى الضيافة على العادة ، ثم حضر إلىّ ، فناولته الكتاب فقرأه
واستبشر بحضورى ، وقال : أنت والدى ، ومهما رأيت من المصلحة فأنا

88

ما أخالفك // فى كل ماتشير به .

---

(١) اسم القرية ساقط بالأصل وبالنسخ الأخرى .

(٢) أخلاط : وتكتب أيضاً « خلاط » (بدون حرف الألف) وهو الأعم .
وقد ذكرها ياقوت (معجم البلدان) « خلاط » فقال : (بكسر أوله وآخره
طاء مهمله) . البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة . وهى
قصبة أرمينية الوسطى . وقد أطال ياقوت فى وصفها .

(٣) بدليس : بلدة من نواحى أرمينيا قرب خلاط ذات بساتين كثيرة ،
وتفاحها يضرب به المثل فى الجودة والكثرة والرخص (ياقوت : معجم البلدان)

(٤) بالأصل : ملك .

(٥) فى عبارة المؤلف اضطراب ، والمفهوم من السياق ، أن الأمير أصلان
كان أحد الأمراء المحاصرين للقلعة مع جيش حسن باك .

(٦) يعنى الأمير يشبك .

(٧) خاما : لفظ فارسى ، وله معانى كثيرة ، منها : خيمة . (المعجم فى
اللغة الفارسية) .

قلت [له] : المصلحة اغتنام الفرصة ، لأن نظام الملك — نصره الله —
له عناية بكم حيلة تجهز سعى دواداره خضر الدلغادرى ، فسافرنا من أخلاط
يوم الأربعاء مستهل شهر جمادى الأولى ، والثلوج تنزل . ولا زلنا سائرين
إلى [ما] بعد العشاء ، ولا ننظر سوى الجبال والأرض لا نرى (١) من الثلج
ولا أثر الطريق ، فنزلنا فى غاية ، وانقطع منا جماعة من شدة البرد والثلج ،
وما اجتمع آخرهم إلى قرب نصف الليل ، وكان من عناية الله أن صادفنا حطبا
كثيراً ، فأوقدنا منها جانباً إلى أن ردت إلينا أرواحنا ، وحصل بذلك رفق .

ثم رحلنا وسلكنا بين جبال وأودية وثلوج ، إلى أن وصلنا إلى « موش »(٢)
والحال كما سبق .

ثم رحلنا منه ، ومررنا بجانب الفرات فى مفازة ؛ ثم رحلنا] منها
إلى « وادى ملش كرد » ، ومرينا(٣) على ظهر ، ونزلنا بمفازة ووجدنا بها
أيضا حطبا كثيرا ، وأوقدنا على العادة .

٨٩ ورحلنا منها بعد صلاة(٤) // الصبح إلى أن وصلنا إلى « حيق حور »
ومن ذلك فارقنا الثلوج ، فكان جملة مسيرنا فى الثلوج على الصفة المذكورة
ستة أيام .

ثم [رحلنا] منها إلى مدينة « حين » . ثم [رحلنا] منها إلى قرية من
قرى « آمد » . ومنها إلى مدينة « آمد » نهار الأربعاء وأقمنا بها إلى نهار
الخميس ؛ ورحلنا منها بعد الظهر .

وفى ظهر يوم الأحد ثانى عشر شهر جمادى الأولى(٥) ، وصلنا إلى مدينة
« الرها » ، وأقمنا إلى صبيحة نهار الثلاثاء .

---

(١) بالأصل : نرى .
(٢) موش : بلدة من ناحية خلاط بأرمينية . (ياقوت : معجم البلدان) .
(٣) ومرينا : هكذا بالأصل .
(٤) بالأصل : صلوة .
(٥) بالأصل : جماد الأول .

ورحلنا منها ووصلنا إلى مدينة « ألبيرة » ، ولاقانا نائبها الأمير أردبش
وأنزلنا بالقلعة وأكرمنا إكراما بالغا ، فالله يجازيه عنا كل خير .

ثم رحلنا منها إلى جهة « حلب » المحروسة ؛ وفى صبيحة نهار السبت
تاسع عشرة ، دخلنا إلى « حلب » المحروسة .

ثم رحلنا منها يوم الخميس مستهل شهر جمادى الآخرة(١) ، ووصلنا إلى
٩٠ العسكر المنصور يوم الإثنين خامسه بمكان يسمى ...(٢) بالقرص(٣) من أعمال
« حقراوة » ؛ وقبل وصولنا شاهدنا مكان الحرب الذى وقع بين المقر
الأشرف الأمير يشبك الدوادار وباش العساكر الإسلامية — أعز الله أنصاره —
وبين المخذول شاه سوار ؛ هذا ما كان من أمرى .

وأما [ما كان من] أمر العساكر الإسلامية ، فأخبرنى من أثق بكلامه
أنه لما انتهت عمارة قلعة « عينتاب » ، عين لنيابتها الجناب العالى السيفى
بهادر — دوادار السلطان بالشام — إلى أن تبرز المراسيم الشريفة لمن يستقر
بها ، فلم يوافق بهادر على ذلك ، فاعتقله المقر الأشرف بالقلعة ثلاثة أيام ، فحضر
جميع الأمراء والكفلاء وترامو على مراحم باش العساكر المنصورة
فعفا(٤) عنه ، واستقر به نائبا بها ، وأضاف إليه فرح بن مقبل — أمير كبير
صفد — وأقباى الحطى الحاجب بطرابلس ، ومن جند الحلقة ، إلى أن
كمل مائتى(٥) نفر ، وأودع فيها زردخانه وقمحا وشعيراً ودقيقا وباروداً

---

(١) بالأصل : جماد الآخر .
(٢) مكان النقط اسم المكان وهو صعب القراءة .
(٣) القرص : (بفتح القاف وسكون الراء والصاد المهملة) مدينة ارمينية
من نواحى تفليس ، يجلب منها الابريسم ، وبينها وبين تفليس يومان . (ياقوت :
معجم البلدان) .
(٤) بالأصل : فعفى .
(٥) بالأصل : مائتين .

٩٢ وجميع مايحتاج إليه ، فلما // كمل ذلك توجه الركاب الكريم العالى إلى جهة « العمق » وكان توجهه فى يوم السبت رابع عشر ربيع الأول .

وفى يوم الخميس تاسع عشرة ، نزل على القناطر بـ « العمق » ورحل منها ونزل على أنطاكية .

وفى يوم الجمعة سابع عشرين شهر تاريخه ، تسحب الأمير موسى بن قراجا[1] ، فأكرمه المقر الأشرف غاية الإكرام ، وأنعم عليه بألف دينار ، وألبسه كاملية مغربة سمورا طرشا و [أعطاه] قوسا بكبنوش وبسرج ذهب ، وأوعده عن الصدقات الشريفة بكل خير ، وأحضر معه رعيته ومن يلوذ به ، وقيل : إنه فرق الألف عليهم ـ كل أحد على قدر مرتبته ـ والتزم بدخول أهل « الأبلستين » و « مرعش » الطاعة الشريفة .

وفى ثانى عشرين شهر ربيع الآخر ، رحل المقر الأشرف باش العساكر المنصورة بمن معه من العساكر ، وعدى عقبة « بغراس » [2] ، وكان يوما شديداً على الجمال ، ثم [رحل] منها وعدى [3] « باب الملك » // ثم منها إلى ٩٣ مدينة « أياس » [4] ، وفرق بها عليق شهر جمادى الأولى .

وفى مستهله ، حضر الأمير سلمان بن دلغادر ـ أخو شاه سوار المخذول ـ فأقبل عليه المقر الأشرف باش العساكر المنصورة ، وألبسه كاملية مغربة

---

(١) موسى بن قراجا ، هو من أبناء أمرة دلغادر .

(٢) بالأصل : بغراص . ويكتبها المؤرخون والجغرافيون العرب القدامى « بغراس » (بالسين) ، ويعرفها ياقوت فى (معجم البلدان) بأنها مدينة فى لحف جبل اللكام ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس .

(٣) بالأصل : عدا .

(٤) ثغر بأرمينية الصغرى على شاطىء البحر المتوسط . (المقريزى : السلوك : ١ / ٦١٨ ، حاشية ٢) .

سمورا طرشا ، و [أعطاه] مركوبا خاصا [1] بقماش ذهب ؛ وأنعم عليه بخمسمائة دينار .

وفى يوم الخميس ، بلغ المسامع الكريمة ، أن المشاة قصدهم أن يتسحبوا ، [2] فجهز جماعة من مماليكه لربط الطرقات ، فتوجهوا تلك الليلة وربطوا لهم الطرقات ، فحصلوا منهم جماعة كبيرة وأحضروهم فى يوم الجمعة ثالث عشر تاريخه ، فخرج منهم عدة اثنين وثلاثين نفرا ، ولولا [أنه] فعل ذلك ، لتسحب جميع المشاة ، وتعطل أمر المهم الشريف .

وفيه : حضروا الكواخى بحلب ، فأودعهم المقر الأشرف ـ أعز الله أنصاره ـ الحديد ، وضرب بعضهم بالمقارع ، وكتب عليهم إلتزاما وأطلقهم .

وفى يوم الثلاثاء : حضر حدادار ـ أخو سوار المخذول ـ فألبسه كاملية // ٩٣ مغربة ممورا طرشا ، و [أعطاه] مركوبا خاصا بقماش ذهب ، وأنعم عليه بمائتى دينار .

وفى يوم الخميس : رحل الركاب العالى بمن معه من العساكر ، ونزل بتل حمدون [3] ، وأقام به يوم الجمعة عاشره ؛ وفى آخر النهار أجهر النداء لجميع العسكر المنصور بالركوب إلى باكر النهار يوم السبت ، فركبوا فى اليوم المذكور ، ورتب كافل المماسكة الشامية فى الميمنة ، وأضاف إليه الأمير خاير باك

---

(١) بالأصل : ومركوب خاص ، وهذا خطأ نحوى وقع فيه المؤلف ، وقد أضفنا اللفظ « وأعطاه » للتصحيح النحوى ولتقويم العبادة .

(٢) المقصود بالمشاة ، هم مشاة الأمير يشبك .

(٣) تل حمدون : لم نعثر على تعريف لهذا التل وموقعه ، غير أنه ورد فى (المقريزى : السلوك ص ١/٧١٦ ، أخبار سنة ٦٨١ هـ) مايفيد أن التل يقع قرب « اسكندرونة » ، حيث يذكر المقريزى ، أن المسلمين « اقتتلوا مع الأرمن عند باب اسكندرونة وهزموهم إلى تل حمدون » .

ومضافاته (١) ، ونائب طرابلس وحماة وصفد ، وجعلهم ستة (٢) صفوف ؛
وفى الميسرة كافل المملكة الحلبية ، وأضاف إليه الأمير برسباى ومضافاته ،
وجميع التركمان والأكراد ، وركب المقر الأشرف باش العساكر الإسلامية فى
وسط العسكر ، وصحبته الأمير تمراز الشمس ومشاة جبل نابلس (٣) ،
وأولاد بشاره ، وترك المخيم الكريم فى « تل حمدون » ، واستمر سائرا
إلى أن وصل إلى نهر جيحان (٤) ، كل هذا إرهابا للعدو المخذول ، فلم يجد
٩٤
به أحداً ، فعاد // فلحقه جماعة من العسكر وهو فى أثناء الطريق قبل وصوله
إلى المخيم ، وأخبروا : أن جماعة من السوارية (٥) حضروا إلى نهر جيحان
بالمكان الذى وصل إليه الركاب الكريم ، فرجع فى الحال إلى أن وصل إلى
المكان المذكور ، فلم يجد به أحداً ، فما أمكنه العود بعد ذلك ، فرسم
بإحضار المخيم الكريم ، ونصب (٦) على نهر جيحان ، وأوقع الترسيم (٧)
على الأمير برس (٨) - أمير كبير طرابلس - بسبب انقطاعه عن المهم الشريف ،

---

(١) يعنى رجاله وأعوانه .

(٢) بالأصل : ست .

(٣) نابلس : (بضم الباء الموحدة واللام والسين المهملة) مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين ، بينها وبين بيت المقدس ستة فراسخ (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) بالأصل : نهر جيحون ، وهذا النهر فى إقليم ما وراء النهر . وأما نهر جيحان فهو فى الشام ، يذكر ياقوت فى « معجم البلدان » : وهو « نهر بالمصيصة بالثغر الشامى ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف : « كفربيا » بازاء المصيصة » .

(٥) يعنى من رجال شاه سوار .

(٦) بالأصل : ونصبت .

(٧) الترسيم : يعنى الاعتقال .

(٨) هكذا بالأصل . وفى (نسخة تيمور) بيرس . وقد تعذر ضبط الإسم لعدم وروده فى المصادر التى رجعنا إليها ، ولعل الاسم : بيبرس .

بتراى الكفلاء والأمراء على مراحم المقر الأشرف باش العساكر المنصورة ،
عفا (١) عنه وأطلقه .

وفى ليلة يسفر صباحها عن خامس عشر جمادى الأولى (٢) ، عين المقر
الأشرف باش العساكر الإسلامية ، الأمير إينال الأشقر - رأس نوبة النوب -
إلى قلعة أدنة (٣) ، وجهز صحبته جميع ما يحتاج إليه من الزردخاناه
لمحاصرة القلعة .

وفيه : جهز نائب « حلب » المحروسة ، جماعة من مماليكه والتركمان
٩٥
كشافة (٤) ، فوقعوا فى جماعة من السوارية وقطعوا // منهم خمسة رؤس .

وفيه : حضر عادل فقيه وأقاربه ومعهم مفتاحان (٥) لقلعتين ، فألبسهم
كوامل وسلاريات (٦) ، وأنعم عليهم بنفقات .

وفيه : ضرب [الأمير يشبك] جماعة من التركمان وأجهرهم (٧) بواسطة (٨)
تعديتهم إلى ذلك البحر ، فإنه كان أجهر النداء : أن أحداً لا يعدى ؛ خوفا
عليهم ألا يقع بهم أحد (٩) من جماعة المخذول سوار ، فيحصل نقص
للحرمة الشريفة .

---

(١) بالأصل : فعفى .

(٢) بالأصل : جماد الأول .

(٣) أدنة : بلد من الثغور قرب المصيصة مشهور . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) بالأصل : كافه .

(٥) بالأصل : مفتاحين .

(٦) سلاريات : هى أقبية (جمع قباء = نوع من الملبوس) منسوبة لأمير يقال له « سلار » ، فيقال القباء السلارى ، أو السلارى فقط (الخطط التوفيقية) ١ / ٥٢ .

(٧) أجهرهم : شهرهم أو جرسهم .

(٨) بواسطة : بسبب .

(٩) بالأصل : احدا .

وفى اليوم العشرين من شهر جمادى الأولى (١) ، حضر الأمير .... (٢) ـ أخو المخذول سوار ـ فألبسه كاملية سمورا طرشا و [أعطاه] مركوبا بقماش ذهب ، وأنعم عليه بنفقة ـ مائتى (٣) دينار ـ .

وفى الثالث والعشرين (٤) من شهر تاريخه ، عين المقر الأشرف باش العساكر المنصورة ـ أعز الله أنصاره وأيده ـ جماعة من المماليك السلطانية ٩٦ وجماعة من مماليكه ، وجعل باشا عليهم : الجناب السيفى قانباى // ـ رأس نوبة ـ وأعطاه شطفة وطبلا وزمرا، وتوجهوا إلى «قلعة أدنة» عونة (٥) لمن بها ، وإرهابا (٦) للعدو المخذول .

وورد من الجناب العالى السيفى اينال ـ رأس نوبة النوب ـ يذكر : أنه ركب المكحلة (٧) على قلعة أدنة ورمى بها ، وأخرب البرج ، واحتاج إلى بارود وزردخاناه ، ففى الحال عين الجناب العالى : جانم الزردكاش وصحبته الزردخاناه التى طلبها .

وفى خامس عشرينه وسادس عشرينه : استمرت الأمطار ليلا ونهارا .

وفى سابع عشرينه : حضر شاه سوار المخذول إلى نهر جيحان (٨) ومعه عسكر عظيم ، فركب المقر الأشرف باش العساكر المنصورة ، وتوجه إليه ،

(١) بالأصل : جماد الأول .
(٢) اسم ساقط بالأصل وبالنسخ الأخرى.
(٣) بالأصل : مائتين .
(٤) بالأصل : الثالث عشرين .
(٥) هكذا بالأصل .
(٦) بالأصل : ارهابا بدون حرف الواو.
(٧) بالأصل : الملحله .
(٨) بالأصل : جيحون . (أنظر ما سبق ص ١٢٦ حاشية ٤) .

فلما وصل إلى شاطىء النهر ، وجد العساكر المنصورة مفرقة على غير الهيئة (١) التى رتبها ، فحصل عنده تغير خوفا عليهم ، فأجهر النداء بالعود ، وعاد إلى مخيمه الكريم ونزل به ، وكان ذلك مكيدة للعدو المخذول حتى طمع ، وحضر الجميع إلى النهر // فلما عاين ذلك ، ركب من وقته فى عصر ٩٧ ذلك اليوم ، وتلاقى (٢) الفريقان ، فحصلت النصرة على العدو المخذول من وقته وساعته وولوا (٣) مدبرين هو وجميع عسكره ، وقتل منه خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، ولولا [أن] حال الليل بين الفريقين لما كان نجا منهم أحد ؛ وعاد المقر الأشرف أمير الدوادار ونظام الملك الشريف وباش العساكر المنصورة إلى مخيمه الكريم بعد أذان العشاء بعشرين درجة ، مؤيداً (٤) منصوراً مسروراً بما منحه الله من النصر العظيم والفتح المبين ؛ وأجهر النداء لجميع العساكر المنصورة : بأن من كان معه رأس أو أسير يحضر به ، فأحضروا الرؤس فاستعبرت (٥) ، فكان عدتها (٦) ـ خارجاً عما ترك بالأودية والجبال ـ ثلاثمائة وعشرين رأساً ، ورسم بتجهزها إلى القلاع وإلى « حلب » و « الشام » وإلى « قلعة أدنة » ، واستعبرت الأسرى (٧) // فكان عدتهم مائة نفر ونفرين . ٩٨

وفى يوم الثلاثاء المبارك ـ بعد الفجر ـ : ركب المقر الأشرف باش

(١) بالأصل : الهيه .
(٢) بالأصل : وتلاقا .
(٣) بالأصل : وولو .
(٤) بالأصل : مؤيد .
(٥) بالأصل : فاسعبرت . واستعبرت ، اى قدرت .
(٦) بالأصل : عدتها .
(٧) بالأصل : الاسرا . (ويتكرر اللفظ بهذا الرسم فى النص) .

العساكر المنصورة بمن معه ، وتتبع آثار العدو ، وترك الأمير تمراز الشمسى [1] ـ أحد المقدمين ـ بالمخيم .

وفيه : حضرت بشارة « أدنة » ودخولها فى الحوزة الشريفة .

وفى يوم الأربعاء : استمر فى أثره إلى أن وصل إلى قلعة .... [2] ، فأدخلها الحوزة الشريفة ، ونهبت العساكر ما كان بها من الغلال ، والدقيق ، والزبيب ، والمشمش ، والنحاس [3] ، فحملوا ما أمكن حمله وحرقوا الباقى ، وصعد إليها المقر الأشرف باش العساكر المنصورة ومن معه من الأمراء ، وأذّن فيها ، وأقيمت [4] الصلاة وشعائر الإسلام ، وعاد فى يوم الخميس المبارك مستهل شهر جمادى الآخرة [5] ، ونزل بجبل القرص ، وبات هناك هو وجميع العساكر .

وجهز الأمير موسى بن قراجا [6] إلى جهة مرعش [7] ، وكل من وجده من الأسرى فلاحا أطلقه// . ٩٩

وفى يوم الجمعة : انتقل الركاب الكريم بمن معه من العساكر المنصورة ، ونزل على نهر صورون .

وفيه : حضر إليه الجم الغفير من الكواخى والأمراء وسألوا فى

---

(١) بالأصل : السمسى . والقراءة من ابن إياس « بدائع الزهور » ٢/١٣١ .

(٢) بياض بالأصل وبالنسخ الأخرى .

(٣) هكذا بالأصل . ولعل اللفظ « النحاس » بالعامية ، و « الأنحاس » بالفصحى . وهو الكمثرى .

(٤) بالأصل : وأقيم .

(٥) بالأصل : جماد الآخرة .

(٦) بالأصل : موسى بن قرايا . (انظر ما سبق ص١٢٤) .

(٧) بالأصل : المرعش .

الأمان ، فأجابهم وأخلع عليهم خاما ، ورسم لبعضهم بنفقات تليق بهم ، ورسم لكل طائفة أن تجتمع [1] وتنزل [2] بالأماكن الجارى لهم بها عادة ، ففعلوا ذلك وتزايدت أدعيتهم فى الصحائف الشريفة .

وفى أثناء ذلك حضر خازندار [3] سوار وسأل فى الأمان ، فأجابه وأمنه ، وأخلع عليه ورسم له بنفقة ، وبعده حضر أمير آخوره [4] وصحبته دشار [5] المخذول سوار وعدته مائة وستين فرساً .

وفى يوم الأحد : جهز إلى « قلعة سيس » الجناب العالى السيفى سودون العلائى وجماعة من الخاصكية ، وخازندار سوار المخذول ، ويعرض عليهم الدخول فى الطاعة [6] الشريفة ، ويحذرهم [7] من [8] السطوات // الشريفة ، ١٠٠ فعاد من غير طائل .

ثم جهز المقر المشار إليه ، كافل المملكة الحلبية بعسكر حلب ، وكافل المملكة الشامية ، وكافل المملكة الحموية مع عسكرها ، ليحاصروا القلعة وينظروا فى أمرها ، فجهز يوم الخميس ثامن شهر جمادى الآخرة [9] ،

---

(١) بالأصل : يجمع .

(٢) بالأصل : نزل .

(٣) بالأصل : مارندار .

(٤) أى أمير آخور سوار .

(٥) هكذا بالأصل . ولعل اللفظ « جشار » وإن كان معناه : مرعى الخيل فاستعمله المؤلف على الخيل نفسها .

(٦) فى الطاعة : بالأصل : للطاعه .

(٧) بالأصل : ويحذرهم .

(٨) بالأصل : عن .

(٩) جماد الآخر .

المجلس (١) الناصرى محمد — دوادار كافل المملكة الحلبية — مبشراً بأن دولات باى — مملوك سوار المخذول النائب بقلعة سيس — أذعن لتسليم القلعة وَسَلَّمَها ، ولابد من حضور الركاب الكريم — ووصلت إلى خدمته الكريمة من عند حسن باك صاحب العراقين فى يوم الإثنين خامس شهر تاريخه — فركب عصر يوم الخميس وتوجه إلى جهة « سيس » ، ونزل بها بعد العشاء ليلة الجمعة .

ثم أصبح يوم الجمعة وصعد القلعة ، وطلب دولات باى المذكور ، وألبسه خلعة وأعطاه نفقة جليلة ولبقية الأمراء بـ « سيس » ، وصعدت معه إلى القلعة وشاهدتها ، فإذا هى من أعظم القلاع ، وفى وسطها // قلعة أخرى تسمى « القلة » ، ورأيتها قلعة حصينة ، لو كان فيها رجال يحفظوها ما أمكن أخذها بالحصار لصعوبتها وعلوها ؛ ومن الاتفاق الغريب ، أن « سيس » كان أخذها المرحوم عشيقتمر (٢) كافل المملكة الحلبية فى أيام الملك الأشرف شعبان سنة ست وسبعين وسبعمائة من الأرمن ، وبقيت فى الحوزة الشريفة ، ثم استولى عليها سوار المخذول مرتين ، وأخذها منه المقر الأشرف المشار إليه فى سنة ست وسبعين وثمانمائة . ١٠١

ثم عزم المقر الأشرف نظام الملك الشريف — أعز الله أنصاره — بأن يتوجه بأناس قلائل ليكشف مدينة « أدنة » وقلعتها التى بناها سوار المخذول عند استيلائه عليها ، ثم منها إلى قلعة « أياس » ، ورسم للأمير

---

(١) المجلس : لفظ « المجلس » هنا يعنى : لقب . وهو يطلق على أرباب السيوف (العسكريين) للتفخيم (انظر كشاف المصطلحات)

(٢) بالأصل : عاشق تمر . والقراءة من (زامباور : معجم الأنساب) وفى « النجوم الزاهرة » ١١/١٣٠ « ا شقتمر » .

تمراز الأشرفى أن يقيم بالمخيم الكريم إلى أن يعود ، فتوجه وصحبته كافل الشام والأمير برسباى قرا وبعض أمراء ، الجميع على جرائد الخيل // .

ورسم لى بأن أتوجه إلى حلب واشترى له الميرة بها ، وأختار له مكانا للنزول ، وعزم أن يشتى بها . ١٠٢

وجهز الأمير قانباى صلق إلى الأبواب الشريفة بالأخبار مفصلا .

ورحلنا عصر يوم الجمعة من « سيس » ، وتوجه [الأمير يشبك] إلى جهة « أدنة » ، وتوجهت إلى « حلب » .

ووصلت إلى « حلب » المحروسة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة ، ووقع اختيارى على بيت قاضى القضاة الشافعى ابن الشحنة ، لحسن تكوينها وكثرة منافعها .

وفى رابع عشرينه : وصل الركاب الكريم العالى إلى « حلب » المحروسة وكان لدخوله موقع عظيم ودعاء كثير من الرعية ، لما كان حصل لهم من القهر للانكسار لمن سبق من العساكر المتوجهين لسوار ، وأقام بحلب وهو مؤيد منصور ، ومسرور بما منَّ الله عليه من قهر العدو المخذول وتشتيت شمله وتفريق جموعه ، وأخذه القلاع وعودها للحوزة الشريفة فى هذه المدة اليسيرة // واتفق له من السعد وانقياد الأمور له كما يحب ويريد ، وكل ذلك بحسن نيته وطويته وقصده العز للرعية (١) ، وخلاص حق المظلوم من الظالم ، خصوصا من المماليك السلطانية الذين (٢) جرت العادة على أنهم يفعلوا الأمور المشهورة عنهم ، من أخذ أموال الناس وهتك حريمهم (٣) ؛ ومن بعض ١٠٣

---

(١) بالأصل : العر الرعية .

(٢) بالأصل : الذى .

(٣) بالأصل : حريمها

مما كاته : أن جماعة من المماليك السلطانية كبسوا مكانا فيه أمرد[١] وفعلوا فيه الفعل القبيح ثم أطلقوه ، فجاء إليه وتشكا[٢] وتظلم ، فطلبهم فى الحال ، فغيبوا منه ، وظفر بشخص من أهل حلب كان معهم — وربماهو الذى كان دلهم عليه — فضربه أولا بالعصى من رأسه إلى قدمه ، ثم ضربه بالمقارع ، وأشهره فى المدينة ثم حبسه ، وبقى يتطلب المماليك وهم يدوروا على الأمراء ويطلبوا الترامى على مراحمه ، فكل من يشفع فيه لا يجيبه إلا أن يقول له : لو فرضنا أن هذا الصبى لو كان ابنك أو [من] قرابتك كان يهون عليك ؟ إلى أن تعب الأمراء فى الصفح عنهم // فلم يسمع لأحد منهم شفاعة ، بل كلما ١٠٤ تكلم أحد بسببهم زجرهم وأسمعهم ما يكره وقطع رواتبهم وجوامكهم من الديوان السلطانى .

وأما اجتهاده فى خلاص حقوق المسلمين ، فشىء لا يمكن وصفه ، فالله سبحانه وتعالى يجازيه عن المسلمين كل خير ، فإنه أيد الدين الحنيفى[٣] ، وفرح المسلمون بطلعته السعيدة ، وتيمنوا بقدومه[٤] المبارك عليهم ، خصوصا أهل « حلب » فإنهم كانوا يظنوا أن العساكر إذا قامت[٥] عندهم تغلو[٦] الأسعار كما جرت العادة قديما فى إقامة العساكر ، فكان من الاتفاق الغريب ، أنه من حين دخل « حلب » لم تزل الأسعار تتراخى وتنزل يوما فيوما ، وجميع الأشياء موجودة وكثيرة ، وهذا لم يتفق لأحد ممن سبقه ، ولله الحمد على ذلك .

---

(١) بالأصل : امردا .

(٢) بالأصل : وتشكى

(٣) بالأصل : الحنيفيه .

(٤) بالأصل : قدومه .

(٥) هكذا بالأصل .

(٦) بالأصل : تغلى .

ولم يزل مقيما بحلب يأمر وينهى ، ويعطى الكثير لمن يقصده من القصاد والوراد[١] والتركمان وغيرهم عطاء من لا يخاف الفقر ، وأعرف شخصا واحداً // وهب له فى مدة يسيرة ألفى دينارا[٢] ، وأما المائة والمائتان[٣] ١٠٥ ومادونهما فشىء لا يحصر ، ورأيت بعينى يوم وصول الأمير موسى بن قراجا ، أخلع عليه وعلى الجماعة الذين حضروا معه من أكابر الدلغادرية أربعا وتسعين[٤] خلعة فى ساعة واحدة ؛ وكنت أرى عطاياه الجزيلة وكثرتها ، حتى أنى ما كنت أشك أن رزقه — نصره الله — مبروك فيه لكثرته ، وفرق ليلة النصف [من شهر شعبان] [٥] على الفقراء من أهل العلم وخصهم على غيرهم من الفقراء — لما يعلم أنهم يقدموا على غيرهم من الفقراء — فى يوم واحد خمسمائة أشرفيا ، منها ثلاثمائة على يدَىَّ ، فالله يجزل ثوابه ويجعل لنا منه حظا ونصيبا . وكان سبب ذلك[٦] ، أنى تذاكرت معه ليلة الرابع عشر[٧] من شعبان ، فى فضائل ليلة النصف ، وقلت : إن بعض المفسرين ذكر فى تفسير قوله تعالى : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)[٧] أنها ليلة النصف من شعبان ، وأن الله يقسم فيها // الأرزاق والأعمار ، ولا بأس أن يتصدقوا ١٠٦ بشىء فى هذه الليلة الشريفة ، فرسم إذ ذاك بخمسمائة دينار ، فانظر إلى حسن تلقيه واعتقاده وانقياده لفعل الخيرات ؛ وما علمت مدة إقامتى فى خدمته ، أن مظلوما تظلم له ولم يخلص [له] حقه ، اللهم إلا أن يكون لذلك ضرورة

---

(١) بالأصل : الوارد .

(٢) بالأصل : ألفين دينارا .

(٣) بالأصل : والماتين .

(٤) بالأصل : أربعة وتسعون .

(٥) الإضافة استرشاداً بالأصل كما سيجىء بالمتن .

(٦) يعنى سبب تصدق الأمير يشبك فى ليلة النصف من شهر شعبان .

(٧) بالأصل : الرابع عشرين .

(٨) سورة الدخان : ٤ .

يحتاج لتأخيرها لوقت آخر ، ومن ذلك أن شخصا من أهل حماة ، اشتكا[1] على استادار نائب حماة ، فإنه قتل ولده ، وأنه يريد مكاتبة للنائب بجمع القضاة وإثبات حقه ، ومقابلته بما يثبت[2] عليه شرعا ، فتوجه الشاكى ورجع بغير طائل ، وأنهى أن نائب حماة لم يخلص [له] حقه ، وكان طلب نائب حماه التوجه إلى المهم الشريف ، فالتزم [الأمير يشبك] الأيمان الشرعية ، أنه لا يمكن الاجتماع به ولا يرى وجهه إلا أن يرضى الشاكى بأى وجه كان ، فانظر إلى هذا التجلد فى خلاص الحق ، حرسه الله بملائكته الكرام .

١٠٢ وأما تفاصيل مكارم أخلاقه وبشاشته // وعقله وتدبيره ، فشىء أعجز عن وصفه .

وأقام بحلب إلى أن مضى الشتاء وحكم الربيع ، وخرج منها يوم الأحد سادس عشرين شهر شوال فى أحسن أهبة وهيبة ، وقد ألبس مماليكه بعدة كاملة ، والخوذ على رؤوسهم تلمع كالبرق ، ورماحهم بأيديهم ، وألزمهم بحمل رماحهم بأيديهم ، ونادى : بأن غلاما حمل رمح أستاذه قطعت يده ، فحصل بذلك الرفق للغلمان وزيادة هيبة للعساكر المنصورة ، فمن حينئذ اقتدى به جميع الكفلاء ، ونزل بـ « الأنصارى » .

وتوجه يوم الإثنين إلى جهة « العمق » ، ورسم لى بالإقامة بـ « حلب » لأمور تتعلق به ؛ ثم بعد أيام جهز لى كتابا يذكر فيه : أنه وجد مكانا بالقرب من بغراس [ويحصل به مشقة عظيمة للمسافرين من الصخور التى][3]

---

(١) بالأصل : اشتكى . « واشتكا على فلان » بمعنى شكاه .

(٢) بالأصل : يثب .

(٣) الإضافة من (نسخة تيمور)

تلك[1] [الصخور] فجهزت إليه جماعة على الطريق ، وطلب حجارين لقطع من المعلمين ، وأزالت[2] [الصخور] عن الطريق ، وحصل للمسلمين بذلك رفق // عظيم ولله الحمد ، وأصرف على ذلك جملة [من المال] . ١٠٨

ثم رحل من « العمق » إلى جهة « يغرى »[3] وأقام بها أياما ، ووصل إليه الأمير علاء الدين على بن ططر من [عند] شاه سوار ، ومعه مكاتبه منه : أنه سلم قلعة « دندرة » لابن صاروخان ، وكان توجه لذلك ، وأنه يترامى على الصدقات النظامية[4] ليدخل فى الطاعة الشريفة ، ويكون مملوكه ومملوك الأبواب الشريفة ، ويعفو[5] عما صدر منه ، وكان رسم له أنه إذا حضر وداس البساط الشريف يلبسه تشريفا شريفا ، وحلف المقر الأشرف النظامى له بعدم التشويش عليه بوجه من الوجوه ، فأجاب عن ذلك ، بأنه يعرف ما وقع منه من الأمور ، وأن وجهه بذلك أسود ، ويخشى[6] أنه إذا حضر بأمان يحصل عليه نكد ، فقبل عذره فى الظاهر ، وجهز ابن ططر المذكور إلى الأبواب الشريفة يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر ذى القعدة[7] .

١٠٩ ثم رحل من « يغرى » ونزل بمكان يسمى ....[8] ، // ثم منها إلى مكان بالقرب من « فم الأسد » .

---

(١) بالأصل : ذلك .

(٢) بالأصل : زالت .

(٣) بالأصل : بغره ، والصحيح من « الكامل فى التاريخ » : ٩ / ٢٢ .

(٤) الصدقات : يعنى « الأعتاب » و « النظامية » ، نسبة إلى لقبه « نظام الملك » .

(٥) بالأصل : ويعفى .

(٦) بالأصل : يخنشى .

(٧) بالأصل : ذى قعدة . (ويتكرر الاسم بهذا الرسم فى النص) .

(٨) مكان النقط . بياض بالأصل .

وأقت بـ «حلب» إلى سادس عشرين شهر ذى القعدة ، ورحلت منها يوم الثلاثاء ، وأدركته يوم الجمعة وهو نازل على مكان يسمى « داغ دكرمان » .

ثم رحل منها يوم السبت سلخ شهر تاريخه ونزل بـ « كينوك » فرأيت الهلال على وجهه الكريم — أيده الله بملائكته — وأنشدته بيتين للصولى[1] حين رأى[2] الهلال ، وهو واقف عند المتوكل[3] من بنى العباس وقضيته مشهورة بين أهل التاريخ ، وهو قوله :

رَدَّ قَوْلِى وَصَدَّقَ الأَقْوَالاَ ... وَأَطَاعَ الوُشَاةَ وَالعُذَّالاَ
أَتُرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صُدُودٍ ... وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الهِلاَلاَ

وأخبرته بالحكاية من أولها إلى آخرها ، فأعجبه [ذلك] .

ثم رحل من « كينوك » نهار الأحد ، وصعد الجبل المشهور بقسكولى[4] ، ولقى العساكر به مشقة عظيمة من كثرة الأحجار وصعوبة المسلك خصوصا الجمال [المحملة] ، ونزل على النهر الأزرق[5] ، وانقطع غالب الجمال// المحملة وباتوا فى الطريق . ١١٠

---

(١) الصولى : هو الأديب أبو بكر محمد بن يحيى البغدادى . توفى سنة ٣٣٥هـ (ترجمته فى : شذرات الذهب : ٢ / ٣٣٩) .

(٢) بالأصل : را .

(٣) المتوكل : هو الخليفة العباسى أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن الخليفة المعتصم بالله . ولى الخلافة فى ٢٠ ذى الحجة سنة ٢٣٢ ، وتوفى سنة ٢٤٧هـ (زامباور : معجم الأنساب) ص ٣ .

(٤) هكذا بالأصل . وأغلب الظن أن الاسم مصحف ، وقد تعذر ضبطه لتحديد مكانه .

(٥) النهر الأزرق : نهر بالثغر بين بهسنا وحصن منصور فى طرف بلاد الروم من جهة حلب (ياقوت : معجم البلدان) .

وأقام يوم الإثنين ينتظر المنقطعين إلى أن يكملوا ، ووقع من الاتفاق الغريب ، أنه لم ينكسر بها جمل واحد من فضل الله تعالى ، وسعده ، فالله يعطيه من الخيرات ما يؤمله .

ثم رحل منه[1] رحلة واحدة إلى « أبلستين » ونزل بها ، وكان سبقه نائب الشام بعسكره ، والأمير برسباى قرا بمن معه من المضافين إليه من المماليك السلطانية ، فلما نزل بها ، رسم لنائب الشام والأمير برسباى بالرحيل إلى جهة « خرمان » ، وأقام هو إلى ظهر يوم الأربعاء ، ورحل منها إلى أن وصل « قلعة خرمان » أذان المغرب فإذا هى قلعة حصينة .

فلما أصبح المقر الأشرف نظام الملك الشريف — نصره الله — جهز إليهم شخصا يذكر لهم[2] أنهم يسلموا القلعة وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ، فلم يرضوا ، وربما كلموه كلاما قبيحا ، ثم أرسل إليهم الأمير « أردوانة »[3] فأجابوه مثل ذلك ، ورموا عليه سهاما ، فرجع بغير طائل ، فلما شاهد المقر الأشرف ذلك منهم // ما وسعه إلا أن ركب بنفسه وتولى حصار القلعة . ٩١١

ولم يزل يوم الخميس القتال يعمل بين الفريقين إلى المغرب ، وجرح جماعة منهما ، وبات المقر الأشرف تلك الليلة — وهى ليلة الجمعة — فى مكان بالقرب من السور ، وصنع[4] شيئا غريب الشكل — يدخله أربعة أنفار — من الخشب ، ولا زال به إلى أن التصق [بسور القلعة] ودخل فيه النقابون ونقبوا من أسفل السور إلى أن قربوا إلى داخله ، واستمر العمل إلى ظهر يوم الجمعة ، وتحقق أهل القلعة أنهم مأخوذون ، فما أمكنهم إلا أنهم أذعنوا

---

(١) بالأصل : منها . (والرحيل كان من النهر الأزرق) .

(٢) أى يذكر لحامية القلعة .

(٣) أردوانة : هو شقيق شاه سوار ، كما ينص المؤلف على ذلك فى ص ١٤٣ .

(٤) بالأصل : صنف .

الصلح وطلبوا الأمان ، فلم يجبهم[١] المقر الأشرف المشار إليه ، وقال : أنا عرضت عليهم الأمان أولا فلم يرضوا ، والآن حين أيقنوا بالبوار يطلبون الأمان ! لحضرت الأمراء ولا زالوا يترامون على مراحمه ، ويسألوه العفو والصفح عنهم ، إلى أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم ، وما كان من اللبوس ١١٣ والقماش // وآلات القلعة وذخائر سوار المخذول فهو للخزائن الشريفة ، فرضوا بذلك ، وبرز المرسوم الكريم للأمير خايرباك الأشرفى — أحد المقدمين بالقاهرة — للصعود إلى القلعة والإقامة بها ، وتسليم مابها من اللبوس والغلال وغيرها ، وجهز معه السنجق السلطانى ، ودقت البشائر بالقلعة ، ودخلت فى الحوزة الشريفة ، ووجد بالقلعة من الغلال واللبوس وبعض القماش الذى نهب ممن[٢] تقدم من العساكر المصرية مع المقر الأتابكى أزبك الظاهرى ؛ فأنعم بالغلال على الأمير خايرباك ، وما كان من السلاح فسلم للأمير جانم الزردكاش ، ووجد بها أيضاً مكحلتين ، فجهزهما المقر الأشرف إلى « قلعة زمنطوا » ، وهذا شىء لاينهض به أحد ، لأن طريق « خرمان » إلى « زمنطوا » فى غاية الوعر والصعوبة ، وكل هذا لسعادته وحسن طويته ونيته ، فالله يجازيه عن المسلمين خيراً .

١١٣ وأقام — أيده الله — بقلعة « خرمان » // إلى يوم الأحد تاسع شهر ذى الحجة .

ورحل منها ونزل بـ « خان السلطان » ، فهى ذات مروج ومياه .

ورحل منها يوم الإثنين ، فنزل بمكان يسمى بياض...[٣]

ثم رحل منها ، ونزل بـ « رأس العين » ، وإذا هى مكان ذات مروج وأزهار وأنهار ، ولقد شاهدت « رأس العين هذه[٤] » ، وهى[٥] فى غاية

---

(١) بالأصل : يجبه .
(٢) بالأصل : لمن .
(٣) مكان النقط بياض بالأصل والنسخ الأخرى .
(٤) بالأصل : هذا .
(٥) بالأصل : وهو .

الأعجوبة يتدفق[١] الماء من أسفل كالزلال ، وبجوانبها أشجار ، وفى الوادى بالقرب من العين الكبير عيون صغار ، ويجتمع[٢] الكل ويصير نهرا كبيرا ، وهو أصل [نهر] مرلحا أرمق الواصل إلى « أذنة » . وأقام بها الثلاثاء والأربعاء .

ورحل بكرة نهار الخميس ثالث عشرة ، ونزل على قلعة « زمنطوا » وأقام بها ليلة .

وفى صبيحة نهار الجمعة انتقل إلى مكان بالقرب من سور القلعة بجانب الزاوية المشهورة والتربة ، وكان المقر الأشرف المشار إليه لم[٣] يزل يذكر ويسأل عن آلة أخشاب برسم الستاير للحصار ، ويقال له : إن الآلة مفقودة ١١٤ بـ « زمنطوا » // وليس بقربها شىء ، فلما وصل إلى القلعة ، شاهد غوطة بالقرب منها ، فسأل عنها ، فقيل : إن هذه[٤] من وقف المشايخ ولا يتعرض لها[٥] أحد ، فتوكل على الله وطلب النجارين والنشارين ، وقطع منها أشجاراً كثيرة ، وكل ذلك وهو واقف على قدمه يباشر الأمور بنفسه ، ومماليكه ومحبيه ومن يلوذ به والأمراء والنواب يترددون إلى خدمته ، وبات بها تلك الليلة والصناع يسهرون فى العمل ، فانظر إلى هذه الهمة العالية والغيرة على أهل الإسلام ! لأن الأذى الذى حصل من سوار للرعية والبلاد لم يحصل من تمرلنك ، وهو أن تمرلنك كانت إقامته مدة يسيرة ، وهذا تطاول أذاه

---

(١) بالأصل : مدفق .
(٢) بالأصل : ويجتمع .
(٣) ابتداء من اللفظ « لم » حتى « زمنطوا » الكلام ظاهر الاضطراب ، ويظهر الاضطراب بجلاء ، ما يجىء بعده من الكلام .
(٤) بالأصل : هذا .
(٥) بالأصل : له .

وتكتفي [illegible] حتى [illegible] وأما حريم [illegible]
[illegible] التوابع ، وكان السلطان [illegible]
الأمير [illegible]
[illegible]

وفي يوم الجمعة رابع عشرة وصل قاصد من عند || السلطان [illegible]
[illegible] (١) [illegible]
[illegible]
[illegible] الأخبار [illegible]
[illegible] (٢)

وفي يوم السبت خامس عشرة بدأ || الأمير [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] أهل القلعة [illegible] (٣) [illegible]
[illegible]
في [illegible]

[illegible] سابع عشرة [illegible] من القلعة [illegible]
[illegible] السلطان [illegible]
[illegible] الأشرف [illegible]
[illegible]
[illegible] أهل القلعة [illegible]
[illegible] سوار [illegible]

---

(١) هو السلطان محمد الفاتح [illegible]
[illegible]
[illegible]
(٢) [illegible] السلطان [illegible]
[illegible]
[illegible]
(٣) [illegible]

[illegible] والأطفال [illegible]
القلعة [illegible] الأعيان [illegible]
[illegible] (١) [illegible]
[illegible] القلعة [illegible]
[illegible] الفرح والسرور [illegible]
[illegible] على الأمير « [illegible] » [illegible] سوار [illegible]
[illegible] « [illegible] » ثم انتقل إلى « [illegible] » [illegible]
[illegible] التي [illegible]
[illegible] القلعة [illegible]
[illegible]
[illegible] القلعة [illegible] سوار [illegible]
[illegible] (٢) [illegible]
[illegible] كل [illegible]
[illegible] (٣) || [illegible]

---

(١) لا أصل [illegible]
(٢) بياض بالأصل .
(٣) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

١١٨

كنت ما سمعت إذ ذاك ، فاسمع الآن حيث تحققت أنى نصحتك .

وحصل كلام كثير بينه وبين الأمير تمراز ، وآخر الحال تقرر الأمر على أنه يتحول إلى المخيم الكريم ، بشرط أن يأخذ رهائنا عنده ، ثم صعدت إليه ثانيا بأنه يحلف بدخوله فى الطاعة[1] الشريفة ، وأنه يكون عدواً لعدو مولانا السلطان وصديقا لصديقه ، ويحضر متى طلب للخدمة الشريفة والمهمات الشريفة وإلى غير ذلك من الشروط اللازمة ، خلف على الشروط المذكور ، وقال : شرطى أن الرهائن يكون الأمير خاير باك والأمير إينال الأشقر ، وكافل المملكة الحلبية ، وأخيه أردوانه[2] ، يقيموا بالقلعة إلى أن يعود من المخيم الكريم لابساً خلعة الاستمرار ببلاده ، فلما عرضت ذلك على المسامع الكريمة النظامية توقف ولم يرض[3] وبقى الحال بين « نعم » و « لا » إلى ظهر يوم الأربعاء ، فجدد القتال والحصار وشدد

١١٩

الأمر ، والمكاحل ترمى من الجانبين ، والحرس متصل // ليلا ونهاراً خوفاً من أن ينسحب [سوار] من القلعة ويغير صورته .

= زمنطوا ، وصحبة القاضى شمس الدين بن أجا الحلبى قاضى العسكر — وهو والد القاضى كاتب السر الآن — فلما طلع الأمير تمراز إلى سوار واجتمع به ، تطلل سوار بانه يلبس خلعة السلطان ويبوس الأرض ولا يقابل الأمير يشبك ، فما وافقه الأمير تمراز على ذلك . فقال له سوار : أنا قتلت من العسكر جماعة كثيرة ، وأخشى إذا نزلت إليهم يقتلونى . فقال الأمير تمراز : ضمانك على فما يصيبك شىء ، فما وافق سوار على نزوله من القلعة ، فقام الأمير تمراز والقاضى شمس الدين بن أجا من عنده والمجلس مانع ، فلما عاد الأمير تمراز بالجواب على الأمير يشبك لم يوافق على ذلك ، وحاصر سوار وضيق عليه .. » وما ذكره ابن إياس بعد ذلك هو ملخص مضغوط لما فى المخطوط بعد النقص .

(١) بالأصل : بدخوله الطاعة .

(٢) يعنى أخ سوار .

(٣) بالأصل : ولم يرضى .

وفى يوم الخميس العشرين من شهر ذى الحجة ، توجه الهجان إلى الأبواب الشريفة[1] بخبر حصول سوار فى القلعة وحصاره .

ولما كان ليلة الإثنين الثالث والعشرين من شهر ذى الحجة : جهز سوار طلب الأمان ، وطلب الأمير تمراز الأشرفى بأنه يصعد إلى القلعة ، وأن الأمير دوادار — نصره الله — ينصب خيمته بالقرب من القلعة حسبما تقدم ، فتوقف فى ذلك المشار إليه ، فجهز خلفى[2] كافل المملكة الشامية ، وقال : بلغنى أن الأمير دوادار — نصره الله — توقف فيما سأله سوار على لسان الأمير تمراز ، والرأى عندى أنه يسمع ذلك الكلام ولا يعرض عنه . وكان قصد المقر الأشراف أمير دوادار أخذ قلعة زمنطوا وقبض سوار عنوة لا عن طلب أمان وصلح ، فإن مروءته لا تطاوعه أن يعطى أمانا ثم يقبض عليه ، فبقى متحيرا ، ولا زالوا به إلى أن رضى بما سأله الأمير تمراز // وهو أثقل

١٢٠

عليه من الجبال الرواسى ، والله لقد شاهدت ذلك فى وجهه مراراً ورأيته يكره ذلك كراهة تحريم ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، فحين رضى بما سألوه ، تعين قبضه امتثالا للمراسيم الشريفة لأنها كانت وردت بذلك[3] .

ولما كان نهار الثلاثاء ، حضر قاصد سوار يطلب إنجاز[4] ما وعد به الأمير — نصره الله — من نصب خيمته فى المكان المذكور [فجهز جماعة الفراشين ونصبوا خيمته فى المكان المذكور][5] وصعد إلى القلعة وفى

---

(١) أى إلى السلطان فى مصر .

(٢) فجهز خلفى : يعنى أن كافل الشام أرسل إليه من يقول له .

(٣) بالأصل : ردت .

(٤) بالأصل : بجاز .

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من (نسخة تيمور) .

صحبته من الأمراء المقدمين : الأمير برسباى قرا ، ومن الأمراء العشروات جماعة وكاتبه[1] . ولما وصل إلى الخيمة نزل بها وتبعه جماعة من الخاصكية فردهم ؛ وكان من جملة ما شرط سوار : على أن لا يكون مع الأمير الدوادار أعز الله أنصاره — سوى عشرة أو عشرين نفرا ، فلما رأى كثرة المتوجهين صحبة الركاب العالى ، جهز من القلعة نائبه جراق ، يقول : إن الاتفاق كان على عشرة // أو عشرين نفراً ، وسأل الصدقات الكريمة فى صرف غير العدد المذكور ، فرسم المشار إليه للحاضرين بأنهم ينزلوا لوطاقهم ، فنزل ناس وبقى آخرون ، وتكرر سؤال سوار فى ذلك ، فأخذ المقر الأشرف بيده قوسا ورمى بعض الناس به وتفرق بعضهم يمنة ويسرة ، فجاءه[2] قاصد ثان وثالث بأن المقيمين عنده كثير ، فتغير خاطره الكريم لذلك ، وطلب جواده وركب مغضبا ، ولحقه الأمير تمراز وترامى عليه إلى أن رده ، فكان غيظه — نصره الله — موافقا لسعده ، لأن سوار تحقق أنه لا يصيبه منه شىء ، لأن لو كان له غرض ثان[3] ، لصبر إلى أن يصل إلى مقصوده ، فلما رجع بتدخل[4] الأمير تمراز وجاس فى خيمته ؛ نزل سوار ومعه مقدار ثلاثين نفرا من أعيان جماعته ، وقد لبسوا دروعهم فرسم لى أن ألاقيه لظاهر الخيمة فلاقيته ، فلما وصل إلى المقر المشار إليه ، دخل تحت ذيله[5] وقبل قدمه المبارك // ثلاث مرار أو مرتين ، فطيب خاطره ، وبش فى وجهه وكلمه بكلام أسكن روعه ، ثم طلب إفطاراً أعده لذلك المجلس فأحضره ؛ وأكل معه وبقى يحادثه ؛ ثم ذكر له أشياء صدرت منه على سبيل العتاب ، ثم

١٢١ — ١٢٢

---

(١) وكاتبه : يعنى المؤلف نفسه .

(٢) بالأصل : فجاه .

(٣) بالأصل : تام . وما أثبتناه أصح فى المعنى .

(٤) بالأصل : بدخول

(٥) دخل تحت ذيله : يعنى احتمى به .

طلب المشروب فأسقاه ، ثم رسم باحضار الخلعة المعدة[1] له ، فألبس ؛ ورسم بمركوب خاص بسرج ذهب وقماش فأحضر فأركبه ، وقال : الواجب أنك تنزل وتسلم على كافل المملكة الشامية فركب هو أيضاً ، ودقت البشائر وكان وقتا عظيما ، ونزل وهو فى خدمته إلى أن وصل إلى خيمته وسلم عليه ، ثم توجه لوطاق نائب الشام ومعه : الأمير تمراز ، وكاتبه[2] ، وجماعة من الأمراء العشروات إلى أن وصلنا لخيمة كافل المملكة الشامية ونزلنا ، فقام الكافل ولاقى[3] سواراً وأجلسه عن شماله والأمير تمراز عن يمينه ، ثم التفت إلىّ وقال : إن الأمير دوادار هو باش العساكر // وأنا تابعه مدة سنة وشهرين ، وفى هذا اليوم واجب عليه أن يتبعنى فيما أشير به ، وقد ورد لى مرسوم شريف بذلك ، ثم قال لسوار : ما أنا فى عينك بشر ؟ تحالفتم وحدكم ، وأكلتم وشربتم وحدكم ، ياسبحان الله كذا يكون ؟

١٢٣

ثم قال له الأمير تمراز : خل هذا الكلام ، وهات ماعندك من الطعام والشراب .

فقال : بسم الله ؛ ثم نادى بأعلى صوته وهو يضحك : هاتوا الزنجير[4] فظننت أنه يمزح ، ثم قلعوا عنه خلعته وقبضوا عليه[5] وعلى جماعته الذين نزلوا معه ، بعد أن قتل منهم أربعة أنفار امتنعوا عن القبض ، ولما رسم بالقبض قام الأمير تمراز من مكانه وأراد المنع من الوصول إليه ، فمنع هو من الوصول ، وربما ناله من بعض المماليك بماحصل من البهدلة ، ولم يلتفت إلى كلامه .

---

(١) بالأصل : المعد .

(٢) يعنى المؤلف نفسه .

(٣) بالأصل : لاقا .

(٤) بالأصل : الزنجر .

(٥) أى قبضوا على سوار .

وفى ثانى يوم قبض عليه — وهو يوم الأربعاء — : أصعد (١) السنجق السلطانى ونصب على قلعة زمنطوا .

١٢٤

وفيه : توجه الأمير قانباى صلق مبشراً // لمولانا السلطان — خلد الله ملكه — ودقت البشائر ، وألبس الأمير شاه بداق بن سليمان بن دلغادر — أخا سوار — إمرة الدلغادرية على جارى عادة من تقدمه من أسلافه . وتسلم القلعة ، وأنزل حريم سوار من القلعة وجواريه (٢) وما له من القماش ، ولم يمكن أحداً من التعرض لشىء من ذلك ، وسفرهن (٣) الأمير تمراز مع جماعته إلى بلاد الروم ؛ وكان ذلك خطا (٤) عظيما .

وفى يوم الخميس : رحلت العساكر المنصورة من قلعة « زمنطوا » ونزلوا بجانب « فرلجا ارمق » (٥) ، وأقام بها الخميس والجمعة .

وفى يوم السبت : توجهت إلى الأمير بداق ، وحلفته الأيمان الشرعية على العادة .

وفى يوم الأحد سلخ سنة ست [وسبعين وثمانمائة] رحل ونزل على مكان يسمى « صاروز » بالقرب من جبل « أودكلى » .

ثم رحل منها ونزل على « عين ارتلوا لسكار » . (٦)

---

(١) بالأصل صعد .

(٢) بالأصل : وجواره .

(٣) بالأصل : وسفرهم .

(٤) خطا : هكذا بالأصل . ولعل اللفظ « حظا » كما فى (نسخة تيمور) .

(٥) هكذا بالأصل ، ويعرف ياقوت فى (معجم البلدان) بمدينة «سيواس» فيقول :إنها بلد بآسيا الصغرى ، يمر بواديها « نهر قول إرمك » ولعل اسم النهر الذى ذكره المؤلف هو تصحيف لاسم هذا النهر .

(٦) هكذا بالأصل . وقد تعذر ضبط الاسم لعدم وروده فى المصادر .

ثم رحلنا منها ، وأصبحنا على قلعة « خرمان » ، ومررنا عليها من غير نزول إلى الظهر ، فنزل (١) المقر الأشرف بجانب النهر الواصل إلى « جيهان » (٢) وركب // منه وقت العصر جريدة ، ومعه بعض أمراء وبعض مماليك لكشف قلعة « درندة » والنظر فى أحوالها ، وركبت معه .

١٢٥

ونزل بعد العشاء على عين بجانب مزرعة خالية من السكان .

ورحل منها فى الثلث الأخير ووصلنا إلى مدينة « درندة » قبل الظهر ، فرأيناها قلعة شاهقة ، وليس لها سور (٣) إلا فى بعض أماكن قليلة جداً ، ولها باب وبرج فقط ، ولكنها فى غاية المنعة ، ويجرى بأسفل منها نهر عظيم فى غاية البرودة والحلاوة . و « درندة » بلدة صغيرة ، وبها بساتين وكروم ، وهى كثيرة الفواكه والخيرات ؛ وهى فى وادى ، وتحفها (٤) جبال من كل الجهات ؛ وأقمنا بها إلى قريب العصر .

ورحلنا منها ، ووصلنا إلى « أبلستين » فى الثلث الأول من ليلة الخميس رابع شهر الله المحرم [سنة سبع وسبعين وثمانمائة] ورأينا الوطاق رحلوا ، فأقمنا إلى الصباح .

ثم رحلنا منها ، ونزلنا على « النهر الأزرق » .

---

(١) بالأصل : نزل .

(٢) بالأصل : جهان . و « جيهان » (بالفتح ثم السكون وهاء وألف ونون) اسم وادى خراسان هروز على شاطئه مدينة تسمى « جيهان » فنسبه الناس إليها ، فقالوا : « جيحون » على عادتهم فى قلب الألفاظ . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) بالأصل : سور .

(٤) بالأصل : نحوها .

ثم منه ، نزلنا برأس جبل قسكلى بلى .[١]

ثم نزلنا يوم الأحد على مدينة « كينوك » .

١٢٦ ثم منها // على عين ماء بالقرب من بلدة خالية عن السكان .

ثم سلكنا جبالا وأودية إلى أن نزلنا على « عين دلوك »[٢] بالقرب من « عينتاب » ، ثم نزلنا « عينتاب » بكرة النهار .

ورحلنا منها بعد العصر ، ونزلنا بقرية « نصعرغين »[٣] فبلغ المقر الأشرف ، أن المقر الكريم قانصوه اليحياوى[٤] كافل المملكة الحلبية تخلف بـ «أبلستين» وما قصده الاجتماع بالعساكر بـ «حلب» لأمر خاف منه وتخيله - وكان قبل ذلك جهز [له الأمير يشبك] كتابا يحثه فى سرعة الحضور فزاد خياله - فرأى المصلحة فى إطابة خاطره وإزالة خياله ، وجهزنى إليه وحملنى مشافهة أبديها له وأخوفه من عواقب الأمور ، وأن المصلحة فى سرعة حضوره وإلى غير ذلك ، فكان ذلك من لطف الله ، فتوجهت إليه من زغرغين[٥] ووصلت إليه بـ «ابلستين» ، فلما بلغه حضورى ، جهز إلى جماعة المهمندارية ولاقونى ، فلما قربت من « ابلستين » ركب وبقية العسكر الحلبى ولاقونى ، وتوجهت معه إلى مخيمه ، وتكلمت معه فيما فيه صلاح حاله .
١٢٧ وصرحت [له] بأنه[٦] لابد // من حضوره واجتماعه بالعساكر المنصورة ولازلت به

---

(١) انظر ماسبق ص ١٣٨ .
(٢) دلوك : (بضم أوله وآخره كاف) بليدة من نواحى حلب . (ياقوت : معجم البلدان) .
(٣) هكذا بالأصل وقد تعذر ضبطها .
(٤) بالأصل : اليحماوى .
(٥) بالأصل : زعرعين
(٦) بالأصل : امانه .

أكرر معه الكلام إلى أن رضى بالتوجه معى إلى « حلب » وبات جميع العسكر تلك الليلة فى أسر حال ، فإنهم كانوا قطعوا إياسهم منه ، وربما كان قصد منهم جماعة للتسحب واللحوق بالعساكر المنصورة ، وكان ذلك بهدلة عظيمة لعسكر الإسلام بعد هذا الفتح المبين ، فالله ستر الإسلام برجوعه عما قصده من خوفه ، ولله الحمد . ونصب تلك الليلة صيوانا وأنزلنى أحسن منزل ، وبعث الأسمطة وجهز لى بغلة بيضاء كان يحبها فى الغاية .

ثم رحل من «أبلستين» - وأنا فى خدمته - إلى أن وصلنا إلى « كينوك » ففارقته بعد أن ألبسنى كاملية مغربة سمورا طرشا ، ووصلت إلى حلب نهار الجمعة خامس عشرين شهر الله المحرم سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، ودخل كافل المملكة الحلبية نهار الإثنين ثامن عشرينه ، فلاقاه المقر الأشرف أمير دوادار - أعز الله أنصاره - بشاش وقماش // ونزل بالميدان الأخضر ١٢٨
- وكان نائب الشام نازلا به - .

وكان حضر مقدم الهجانة من الأبواب الشريفة ، ومعه مراسيم شريفة بتولية الأمير دولات باى الخازندار نيابة[١] « ملطية » ، والأمير جانم الخازندار - المشهور بخازندار نائب جدة - فى نيابة « عينتاب » ، والأمير يلبغا فى نيابة « إياس » ، والأمير إينال الحكيم فى الإمرة[٢] الكبرى بـ « طرابلس » والأمير دولات باى النجمى فى الإمرة[٣] الكبرى بـ « حلب » فقرىء المرسوم الشريف ، وأخلع على الجميع .

ثم توجه المقر الأشرف باش العساكر المنصورة - والجميع فى خدمته -

---

(١) بالأصل : ململ .
(٢) بالأصل : امره .
(٣) بالأصل امره .

وركب نائب «الشام» ونائب «حلب» ودخلوا مدينة[١]«حلب» وأوصلوا كافلها لدار العدل بها ، فكان يوما مشهوداً .

وفى يوم الأربعاء : أمر باش العساكر المنصورة ، بإجهار النداء : بأنهم يحضروا لقبض جوامكهم ؛ وأذن للمقر الكريم برسباى قرا ، بأن يتوجه مع مضافيه أولا على عادته، فرحل يوم الخميس ثانى شهر صفر الخير بمن معه، ١٢٩ ثم رحل الأمير خاير باك // يوم الجمعة بعد الصلاة ؛ ورحل الأمير تمراز يوم السبت .

وبكرة نهار الإثنين : رحل كافل المماكة الشامية فى أهبة عظيمة ، وأنزل شاه سوار من القلعة وتسلمه على بابها وتوجه ؛ وكان يوما مشهوداً .

وفى بكرة نهار الثلاثاء : رحل المقر الأشرف أمير دوادار — حرسه الله ونصره — ونزل بـ « العين المباركة » وأقام [بها] .

ورحل يوم الأربعاء ، ووصل إلى « حماة » بكرة نهار الجمعة ، وأقام بها السبت ، وخلع على نائبها و [على] الأمير الكبير[٢] بها ؛ وعلى الأمير محمود بن سقلسيز[٣] نائب « شيزر »[٤] وأخيه ، وعلى نائب «طرابلس» و[على] الأمير الكبير[٥] بها إينال الحكيم .

ثم رحل بكرة نهار الأحد ونزل بـ « الرستن » .

ثم [رحل] منها إلى « حمص » بكرة نهار الإثنين خامس عشر شهر تاريخه .

---

(١) بالأصل لمدينه .

(٢) بالأصل والأمير كبير .

(٣) بالأصل سعلسر

(٤) شيزر : قلعة حصينة تشتمل على كورة بالشام قرب معرة النعمان ، وبينها وبين حماة يوم (ياقوت : معجم البلدان)

(٥) بالأصل : وامير كبير .

ثم [رحل] منها يوم الثلاثاء وضحى بـ « خان منجك » ، وبات بمدينة « قارة » ، ثم صلى الصبح بها ، ورحل ونزل بـ « النبك » .

وفيه : وصل الأمير خشكلدى الظاهرى المقدمى — أحد المقدمين الالوف كان بالقاهرة — .

١٣٠ ثم رحل [الأمير يشبك] منها[١] وقت العشاء ، ونزل بـ « القطيفة » صبيحة نهار الخميس .

وفيه : وصل الأمير شاد [بك] الجلبانى[٢] — أمير كبير الشام — ، والقاضى ناظر الجيش ابن المزلق[٣] ، وأقام [الأمير] بها إلى العصر .

ورحل منها[٤] : فلاقاه كافل المملكة الشامية — وكان قد سبق حمله ، وصحبته أولاده — والقاضى قطب الدين الخيضرى ؛ ونزل بمصطبة السلطان خارج دمشق المحروسة — بالقرب من « القابون »[٥] بعد العشاء ، وأصبح يوم الجمعة مقيما بها ، فهرع أهل دمشق للسلام عليه .

وفى نهار السبت ثامن عشر [شهر] تاريخه : ألبس كافل المملكة الشامية

---

(١) أى من النبك .

(٢) بالأصل : شادمل الحلمانى والقراءة من (بدائع الزهور — صفحات لم تنشر) ص ١٢٥ ، قياسا على ماجاء به اسم (شادبك الجلبانى الصغير » .

(٣) هو القاضى بدر الدين حسن بن المزلق (ابن إياس : بدائع الزهور — صفحات لم تنشر) ص ٦١ .

(٤) أى رحل من القطيفة .

(٥) القابون موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد إلى العراق فى وسط البساتين . (ياقوت : معجم البلدان) .

مماليكه وبالغ فى ذلك ، إلى أن ظن أن طُلبه لا يشبهه شىء — وكان [الأمير يشبك] نصره الله عين [1] تلك الليلة طُلبا ماشوهد مثله من مثله وترتيبا عجيبا [2] ، فلما مر طلب كافل المملكة الشامية ، مشى طلب المشار إليه ، فلما شاهد كافل المملكة الشامية ذلك ، ظهر أثر الخجل فى وجهه ، ودخل دمشق وكافل المملكة الشامية عن يمينه ، والأمير إينال الأشقر عن يساره ، وبقية الأمراء والقضاة [عن] يمنة ويسرة ، وتغالى الناس // فى كرى أماكن الفرجة ، ١٣١ وبنوا مصاطب وأمكنة صرف عليها جملة [من المال] ، كل ذلك رغبة لرؤية سوار فى تلك الحالة . فلما وصل الموكب لتجاه القلعة ، حضر نائب القلعة ومن معه من نقيب [3] القلعة والبحرية [4] ، فتسلموا سوارا [5] وإخوته الأربعة ، وأولاد قرا ، وخليل بن بوزجا ، وثلاثة عشر نفرا من أعيان جماعة سوار .

ثم رجع المقر الأشرف باش العساكر المنصورة إلى مخيمه الكريم بالميدان الأخضر ونزل بالقصر ، ومد له كافل المملكة الشامية سماطا عظيما ، وأقام بدمشق إلى نهار الإثنين ، وعمل [6] كافل المملكة الشامية ضيافة عظيمة ، وعزم على جميع المقدمين ، وهم : المقر الأشرف أمير دوادار ، والأمير إينال الأشقر — رأس نوبة النوب — ، والأمير تمراز الأشرفى ، والأمير برسباى قرا ، والأمير جانم الزردكاش ، وبعض أمراء من العشروات ، وكان مجلسا

---

(١) هكذا بالأصل . ويقصد : عبأ .
(٢) هكذا بالأصل . وفى الأسلوب ركاكة .
(٣) بالأصل : نقب .
(٤) بالأصل : والبحريه .
(٥) بالأصل : سوار .
(٦) بالأصل : عمل .

حافلا ؛ وخلع على المقر الأشرف أمير دوادار — أعز الله أنصاره — كاملية بسماح بفرو سمور // وطراز زنته ألف مثقال ، وعلى [1] بقية المقدمين ١٣٢ بكوامل طرش سمور ، وعلى الامير جانم الزردكاش بكاملية ، « ولى » [2] بكاملية ؛ وجهز لكل من المذكورين تقدمة تليق به ، وقام فى إكرام العسكر المنصور أتم قيام ، ويكفيك من وصفه ، أنه لم يسبق أحد بمثله .

وفيه [3] : وصل الأمير جانم الداودار لخدمة [4] المقر الأشرف باش العساكر المنصورة ، والقاضى شرف الدين بن عريب — استادار الديوان الشريف — ، ومعهما [5] بطيخ صيفى وسكر وحلاوة وعشرة أجمال من ماء النيل ، ففرق جميع ذلك على العساكر المنصورة ، وعلى كافل المملكة الشامية وأمرائها ومباشريها ، حتى لم يدع لنفسه من ذلك [البطيخ] البطيخة الواحدة مع كثرة ذلك ؛ فانظر إلى هذا الكرم النفسى الذى أعطاه الله تعالى .

فرحل يوم الثلاثاء الأمير برسباى قرا ، ثم رحل الأمير خيرباك يوم الأربعاء ، والأمير تمراز يوم الخميس ، والأمير إينال الأشقر بكرة نهار الجمعة ، والمقر الأشرف باش العساكر المنصورة رحل يوم الجمعة // واستمر ١٣٣ يرحل وينزل من منزلة [إلى منزلة] إلى أن وصل إلى « الصالحية » نهار الأربعاء ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثمانمائة .

---

(١) بالأصل : وعليه .
(٢) يعنى للمؤلف نفسه .
(٣) أى فى يوم الإثنين .
(٤) بالأصل : لخدمه .
(٥) بالأصل : ومهما .

وفيها : وصل الأمير قانباى صلق ومعه فرس بقماش ذهب من المقام الشريف — خلد الله ملكه — .

ورحل [الأمير يشبك] منها ، ونزل بـ « الخطارة » ، ودخل المقر الأشرف الوطاق وهو راكب الفرس بالقماش الذهب .

ثم رحل منها ، ونزل بمدينة « بلبيس » .

وفيها : وصل ـ لملاقاة المقر الأشرف باش العساكر المنصورة ـ أركان الدولة : كالقاضى كاتم الأسرار[١]، والداوادار الثانى، والقاضى ناظر الجيوش المنصورة ؛ ولم يتخلف أحد سوى المقدمين الألوف .

ثم رحل منها ، ونزل بـ « خانقاه سرياقوس » . وبها وصل القضاة الأربعة[٢] وغيرهم من الأعيان .

ثم رحل منها صبيحة نهار الأحد سابع عشر شهر تاريخه . ونزل بـ « الريدانية » وتلقاه المقدمون [٣] إلى « المطرية » ، وأقام بها // إلى صبيحة نهار الإثنين ثامن عشرة ، فدخل [٤] المقر الأشرف باش العساكر المنصورة ونظام الملك الشريف ـ والعسكر فى خدمته — من باب النصر ـ كما توجه منه مسروراً ـ بما منحه الله من النصر المظيم والظفر بالعدو . ١٣٤

فأول الأطلاب : كان طلب الأمير برسباى قرا — أحد المقدمين الألوف ، ويتلوه طلب الأمير تمراز الشمسى العزيزى الأشرفى ؛ ثم يتلوه طلب الأمير

---

(١) المعروف فى الاصطلاح : كاتم السر (انظر كشاف المصطلحات)

(٢) بالأصل : القضاة الأربع .

(٣) بالأصل : المقدمين .

(٤) بالأصل : دخل .

إينال الأشقر — رأس نوبة[١] النوب — ، ثم طلب المقر الأشرف باش العساكر الإسلامية ، ثم المقر الأشرف ، وبقية الأمراء والمقدمين المسافرين ، وعلى رأسه الشطفة السلطانى ، وأمامه « سوار » المخذول وبقية إخوته وأمرائه ، واصطفت الرجال والنساء والولدان من مخيمه بـ « الريدانية » إلى القلعة ، وتكاثرت الخلائق فى الطرقات وازدحمت ، والمدينة زينت ، والألسن بالدعاء قد انطلقت ؛ وعلى // المقر الأشرف باش العساكر المنصورة الخلعة التى خلعها عليه كافل المملكة الشامية والمقدمين كذلك — ما خلا الأمير تمراز الشمسى ، فإنه لم يلبس الخلعة — وكان يوما مشهودا ، وعلى سوار المخذول قباء مخمل أحمر مدثر[٢] ومـذهب، ومر على داره[٣] من مدرسة الجاى اليوسفى[٤] . ١٣٥

وقد احتفل السلطان بالموكب فى القصر الأبلق بقلعة الجبل ، وعمل الموكب صفين من باب البيمارستان العتيق [٥] الذى تحت «الصوة» إلى القصر المذكور ، فدخل المقر الأشرف باش العساكر المنصوره إلى القصر ، وفى خدمته الأمراء ، وقبلوا الأرض بين يدى المقر الشريف — خلد الله ملكه

---

(١) بالأصل : النوبة .

(٢) بالأصل : مدنر .

(٣) المقصود به الأمير يشبك .

(٤) بنى هذه المدرسة الأمير سيف الدين الجاى فى سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) وجعل بها خزانة كتب وأقام بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة « وهى من المدارس المعتبرة الجليلة » وتقع المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل (للقريزى : الخطط) ٤ / ٢٩٤ .

(٥) البيمارستان ـ أو ـ المارستان ـ تسمية فارسية للمستشفى بالعربية . والبيمارستان العتيق ، هو البيمارستان الذى بناه صلاح الدين الأيوبى . (الخطط التوفيقية) ٨١/٢ .

وعزه ونصره — فرحب بهم وأكرمهم ودعالهم (١) ، وشاوروه على « سوار » فلم يأذن له بالدخول ، ثم خلعوا الخلع التى عليهم ليلبسوا خلع السلطان .

١٣٦ ثم انتقل مولانا السلطان — خلد الله ملكه — // إلى الإيوان الناصرى (٢) الذى كان أشرف على الدثور والخراب ، بل صار معداً لرمى التراب ، جدده وزهره (٣) مولانا السلطان — خلد الله ملكه — فصار فى غاية ما يكون من الحسن والنضارة ، فجلس على رأس السلالم من الإيوان المذكور ، وقد نصبت على رأسه سحابة من الذهب الابريز فى غاية الابتهاج والتعزيز ، وفرش تحت السلالم زوج بسط ، ووقف الأتابكى أزبك من الجانب الأيمن ، ثم بقية الأمراء على العادة ، ثم حضر الأمراء المسافرون (٤) ، فقبلوا الأرض وعليهم الخلع السلطانية ، ولما تكامل هذا الأمر ، حضر شاه سوار المخذول ، فلما قرب منه رسم أن يتوجهوا به إلى الحوش السلطانى ، فجلس مولانا السلطان — خلد الله ملكه — على الدكة تحت المقعد السلطانى ، ووقف الأمراء أيضاً فى مراتبهم ، فحضروا [الأمراء] المسافرون (٥) ، ولم يقبلوا // الأرض ١٣٧ وأحضر سوار المخذول وإخوته وجماعته وبقية الممسوكين وكذا أخويه المسجونين بالبرج ؛ فلما قبل سوار الأرض ، قال له السلطان — خلد الله ملكه — : أهلا ومرحبا ، وكلمه كلمات ثم أخروه .

---

(١) بالأصل . رعى .

(٢) الإيوان الناصرى : بناه سلطان الناصر محمد بن قلاون بالقلعة . ويقول عنه ابن شاهين « ليس له نظير وهو مكان بمفرده بظاهر القصر (يعنى القصر الأبلق) يعلوه قبة خضراء عالية جداً حسنة المنظر ، وبه مرتبة الملك وعمد كثيرة ، وهو مكان عجيب » . (ابن شاهين : زبدة كشف الممالك) ص ٢٦ .

(٣) بالأصل : ودهره .

(٤) بالأصل : المسافرين .

(٥) بالأصل : المسافرين .

ونزل المقر الأشرف باش العساكر المنصورة — والأمراء فى خدمته ، ما خلا الأمير تمراز الشمسى أحد المقدمين ، فإنه لم يركب فى خدمته لما تقدم — .

فلما نزل الأمراء من القلعة ، رسم مولانا السلطان — خلد الله ملكه — أن يشنكل « سوار » وإخوته الثلاثة بـ « باب زويلة » ، والثلاثة بـ « باب النصر » ، ويوسطوا جماعته هناك ، فركبوا جمالا فسمروا جميعا ، ما خلا سوار ، فإنه ركب هجينا وفى رقبته فى أعلا الجنزير حديدة طويلة وفيها جرس فلما وصلوا إلى باب // زويلة ، فبطح سوار أولا وشنكل ثم كاور يحيى ، ١٣٨ ثم أردوانة ، ثم خداداد (١) ؛ ووقعت الشفاعة فى الثلاثة من إخوته ، وهم : عيسى ، ويونس ، وسالم الذين (٢) كان رسم بشنقهم فى باب النصر ، فأنزلوا من الجمال ، فوسطوا الباقى ، وهم إثنى عشر نفرا ، واستمر سوار المخذول وإخوته المشنكلون (٣) معه معلقين ، والخلائق يزدحمون للتفرج عليهم وهم يستغيثون فلا يغاثون ، ما خلا شاه سوار ، فإنه ساكت ساكن ، ومات سوار فى آخر يومه .

فلما كان يوم الثلاثاء تاسع عشرة ، صعد المقر الأشرف الأمير دوادار إلى القلعة واجتمع بمولانا السلطان ، ثم نزل وجاز من بين « باب زويلة » ليعود المقر الأشرف السيفى تمر المحمدى — أمير حاجب الحجاب — لضعف كان عرض له بعد أن تكلم مع مولانا السلطان فى إطلاق أردوانة الأحدب // ١٣٩ — أخى سوار — فلما وصل إلى « باب زويلة » وجد سوار ميتا ، ثم إن أردوانة شكا (٤) له وتضرع ، فرسم للوالى بإطلاقه فأطلق فى الحال ، وتوجهوا

---

(١) هكذا الأصل ، ولعله « حدادار » (أخو شاه سوار) .

(٢) بالأصل : الذى .

(٣) بالأصل : المشنكلين .

(٤) بالأصل : شكى .

به إلى بيت صاحب الشرطة فسقاه وأطعمه ، وطلب له المزينين ليصلحوا حاله بالعلاج ، فمات فى ليلته .

وفى يوم الأربعاء : أنزلوهم وغسلوهم وكفنوهم ، وصلوا[١] عليهم ، ودفنوهم بمقابر المسلمين ، فأراح الله البلاد والعباد منهم بفضله ومنه .

والحمد لله وحده ، والصلاة[٢] والسلام على من[٣] لا نبى بعده ، محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل .

« استنسخت هذه الرحلة السياسية بطريق الفتوغرافية لنفسى من الكتاب نمرة ٢٦٨ المحفوظ بالمكتبة السلطانية بسراى طوب قبو بالقسطنطينية فى يوم ٢٥ رمضان سنة ١٣٢٧ و ١٩ أكتوبر سنة ١٩٠٩ » .

أحمد زكى

سكرتير ثانى مجلس النظار المصرى

---

(١) بالأصل : وصلى .

(٢) بالأصل الصلوه .

(٣) بالأصل : ما .

الفهارس

وكشاف شرح أسماء الوظائف والرتب . . . الخ

كشاف

شرح أهم أسماء الوظائف والرتب والألقاب العسكرية والمدنية وغيرها .

أتابك : لقب تركى مركب من مقطعين : « آتا » أو « آطا » ومعناه : أب و « بك » ومعناه : أمير [١] . وقد أطلق السلاطين السلاجقة هذا اللقب على من يقوم بتربية أبنائهم الصغار ، ثم أطلق فيما بعد على القائد العام للجيش ، فيقال له أتابك العساكر .

الأجناد البحرية : هم الطبقة الثالثة من الجند فى الجيش المصرى ، وهم يبيتون بالقلعة حول دهاليز السلطان فى السفر كالحرس ، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم ، السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد [٢] .

الاستادار : رسمه القلقشندى فى (صبح الأعشى : ٥ / ٤٥٧) هكذا : « استدَّار » ، وقال : إنه لفظ مركب من لفظتين فارسيتين إحداهما : « استد » ومعناها : « الأخذ » ، والثانية ، « دار » ومعناها : « الممسك » ، فمعنى اللفظ « المتولى للأخذ » ، سمى بذلك ، لأنه يتولى قبض المال .

استادار الصحبة : لقب يطلق على متولى أمر مطبخ السلطان ، وكأنه لقب بذلك لملازمته السلطان سفراً وحضراً ، ومن وظيفته أيضا المشى أمام السلطان والوقوف على السماط [٣] .

الأستادارية : وظيفة موضوعها التحدث فى أمر بيوت السلطان كلها من : المطابخ ، والشراب خاناة ، والحاشية ، والغلمان [٤] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٦ / ٥ ، ٣٥ .

(٢) نفسه : ٤٠ / ١٦ .

(٣) نفسه : ٤ / ٢١ ؛ ٥ / ٤٥٧ .

(٤) نفسه : ٤ / ٢٠ .

الأشرف : لقب من ألقاب التشريف يطلق على من يلقب بـ « المقام » و « المقر » [1] . (وهو من أفعل التفضيل من « الشرف » ، بمعنى العلو) [2].

الأطلاب : أنظر الطلب .

الإقطاع : هو أن يعطى الحاكم أحداً من الناس قطعة أرض زراعية أو غيرها لاستغلالها بشروط حددها الفقهاء المسلمون . وقد بدأ الاقطاع فى الاسلام ، منذ عصر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وذلك عندما أقطع بعض الصحابة أراضى يهود المدينة بعد أن جلواعنها. وفى كتب « الأحكام السلطانية » تفاصيل واسعة عن الإقطاع فى الإسلام وشروطه وأنواعه .

الأمراء الأوجاقية : أنظر ، الأوجاق .

الأمراء البوذقية : (لم نجدلهم تعريفا فيما لدينا من المصادر) .

أمراء العشروات : أنظر ، أمير عشرة .

إمرة عشرة : أنظر ، أمير عشرة .

أمير آخور : لقب مركب من مقطعين ، أحدهما عربى ، وهو « أمير » ، والثانى فارسى ، وهو « آخور » ، ومعناه « المعلف » ، فمعنى اللقب « أمير المعلف » ، وهو المتولى لأمر الدواب (اصطبل السلطان) . و« إمرة الآخورية » (وهى اسم الوظيفة) لها أمراء عدة تختلف مراتبهم [3] .

أمير عشرة : رتبة عسكرية ، يحملها الأميرالذى يرأس عشرة من الفرسان

---

(١) عن معنى هذين اللقبين ، انظر ما يلى من الكشاف (حرف الميم)

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٦ / ٧ .

(٣) نفسه : ١٩/٤ ؛ ٤٦١/٥ .

أو المماليك . (والجمع : أمراء العشروات) ومن هؤلاء الأمراءيكون صغار الولاة وأرباب الوظائف . [1]

إمرية سلاح : وظيفة يتولى صاحبها أمر سلاح السلطان أو الأمير . ويقال لصاحب الوظيفة « أمير سلاح » [2] .

الأوجاق : لقب يطلق على الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة [3] . (ولعل الأوجاق ، هو « السايس » الذى يخرج بالخيل لتتريض) .

أمير مائة : ويقال له أيضا « مقدم ألف » . وعدته مائة فارس ، وربما زاد العشرة والعشرين . وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء. وطبقة المائين مقدمو الألوف ، هم أعلامراتب الأمراء على تقارب درجاتهم ، ومنهم من يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب . هكذا فى « صبح الأعشى [4] » . أما فى « زبدة كشف الممالك » ، فإنه سمى « أمير مائة » ، لأنه يخدمه مائة مملوك وأرباب وظائف ، وهو مقدم على ألف جندى حلقة ، فلذلك سمى « أمير مائة مقدما على ألف » ، وتدق على بابه ثمانية أحمال طبلخاناه . . . [5]

البادشاه : لقب فارسى مركب من كلمتين : « باد » بمعنى « تخت » أو « عرش » ، و « شاه » بمعنى « صاحب » أو « سيد » ، أى صاحب

---

(١) القلقشندى:صبح الأعشى : ١٥/٤ . وأنظر أيضاً : ابن شاهين : «زبدة كشف الممالك » ص ١١٣ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٤٥٦/٥ .

(٣) نفسه : ٤٥٤/٥ .

(٤) نفسه : ١٤/٤ .

(٥) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١١٣ .

العرش . وهو الملك [١] .

البجمقدار : فى « صبح الأعشى : د/١٥٩ » : « البشمقدار » ، وهو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ، واللقب مركب من لفظين : أحدهما من اللغة التركية وهو « بشمق » ومعناه « النعل » ، والثانى من اللغة الفارسية ، وهو « دار » ، ومعناه « ممسك » ، ويكون المعنى « ممسك النعل » . ويذكر القلقشندى ، أن مؤلف كتاب « الأنوار الضوية فى إظهار غلط الدرة المضية فى اللغة التركية » ، قد ذكر ، « أن الصواب فى النعل « بصمق » (بالصاد المهملة بدل الشين المعجمة) وحينئذ فيكون صوابه على ماذكر « بصمقدار » . يقول القلقشندى : « والمعروف فى ألسنة الترك بالديار المصرية ماتقدم » . أى « بشمقدار » . ومؤلف « تاريخ الأمير يشبك » يذكر التسمية « بجمق » (بالجيم المعجمة) .

البرك : المتاع الخاص من ثياب وقماش [٢] .

بركستوان : غاشية الحصان المزركشة ، وتكون لغير الخيول أيضا كالفيلة . (الجمع : بركستوانات) .

التجريدة : (الجمع : تجاريد) ويقال لها أيضا «جريدة» (والجمع : جرائد)، وهى الفرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها. (محيط المحيط). وفى «زبدة كشف الممالك» ، أن التجاريد تنقسم على نوعين : نوع إلى الغزوات ، ونوع إلى المحاربين البغاة ، وأن التجريدة تتكون من الخيالة والرجالة المشاة [٣] .

---

(١) هنداوى : المعجم فى اللغة الفارسية ، ص ٦٩ .
(٢) المقريزى السلوك ١ /١٣٤ حاشية ٦ .
(٣) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١٣٦ .

التخفيفة : هى العمامة . ففى « بدائع الزهور » ، أنه لما أسر الأمير يشبك الظاهرى وقتل ، حملت رأسه إلى بلاد العجم ، فطافوا بها على رأس رمح ، وألبسوا رأسه « تخفيفته الكبيرة » [١] .

الترسيم : (الجمع : تراسيم) ؛ والترسيم هو الأمر الذى يصدر من الجهة المختصة لعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة [٢] .

التشريف : (الجمع : التشاريف) ؛ والتشريف بحسب ما جاء فى « صبح الأعشى » ـ هو الخلعة التى يخلعها السلطان على كبار رجال الدولة ـ سواء كانوا عسكريين أو مدنيين ـ فى المناسبات المختلفة ؛ والخلعة ملبوس من الأنواع الفاخره ، وأشكالها متعددة ، وقد أفاض القلقشندى فى وصفها وذكر مناسباتها [٣] .

التقليد : هو المرسوم الذى يصدره السلطان بتعيين كبار موظفى الدولة ، مثل . القضاة ، والنواب على الأقاليم وغيرهم .

الجامكية : (والجمع : جامكيات) ؛ هى الراتب الشهرى الذى يصرف لمماليك السلطان [٤] ؛ وفى قول : أنها الراتب عامة ؛ وفى « صبح الأعشى » ، أن نفقة مماليك السلطان كانت عبارة عن : « جامكيات ، وعليف ، وكسوة وغير ذلك » . [٥]

الجشار : (الجمع : الجشارات) ؛ هو مكان رعى الماشية من خيل وغيرها [٦] .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ٢/١٩٩ .
(٢) المقريزى : السلوك ١/٧٤٠ حاشية ٥ .
(٣) القلقشندى . صبح الأعشى ٤ ٥٢ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٦/٣٨٧ .
(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣/٤٥٧ .
(٦) المقريزى : السلوك ، ١/٤٩٠ حاشية ٢ .

الجناب : لقب من ألقاب التشريف ، يطلق على كبار الموظفين من أرباب السيوف والأقلام (١) .

جند الحلقة : مهمتهم ، أن بعضهم يركز فى أماكن معينة بمصر والقاهرة أثناء غياب السلطان ، وبعضهم الآخر كان يكلف بحراسة الحدود والثغور (٢) .

الجوشن : (الجمع : الجواشن) ؛ والجوشن كالدرع ، إلا أنه يختلف عنه ، فى أن الدرع مكون من حلقات متصلة فى شكل سلاسل ، بينما يتكون الجوشن من حلقات يفصلها عن بعضها قطع صغيرة من الصفائح (٣) .

الحاجب : هو – فى أصل الوضع – الذى يبلغ الأخبار من الرعية إلى الامام (أى الحاكم) ، ويأخذ له الإذن منه . ثم تصرف الناس فى هذا اللقب ووضعوه فى غير موضعه ، ففى خلافة الأمويين بالأندلس ، أطلق على من قام مقام الخليفة فى الأمر ، وفى الخلافة الفاطمية فى مصر كانوا يعبرون عنه بـ « صاحب الباب » ؛ وفى دولة السلاطين المماليك ، كان الحاجب يقف بين يدى السلطان فى المواكب ليبلغ ضرورات الرعية إليه ، ويركب أمامه بعصا فى يده ، ويتصدى لفصل المظالم (الخصومات) بين المتداعين ، خصوصا فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الأمور الديوانية وغيرها . والحجاب مراتب ، فنهم : الحاجب ، والحاجب الثانى : وحاجب الحجاب (٤) . وهو بمثابة رئيس الحجاب.

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٥ / ٤٩٥ .

(٢) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١١٦ و ١٣٦ .

(٣) العرينى : الفارس المملوكى . (بحث منشور بالمجلة التاريخية المصرية : المجلد الخامس سنة ١٩٦٢) ، ص ٦٢ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ٤ / ١٩ ؛ ٥/٥٥٠ .

خاتون : لقب يطلق على زوجة السلطان والأميرات .

الخازندار : (وصحة كتابة اللفظ : الخِزَندار) ، وهو لقب يطلق على الذى يتحدث على خزائن السلطان . واللقب مركب من لفظين : أحدهما عربى ، وهو « خزانة » (الجمع : خزن) ، والثانى : فارسى وهو « دار » ومعناه « ممسك » ، فحذفت الألف والهاء من اللفظ « خزانة » استثقالا ، فصار « خزندار » ، فيكون معنى اللقب « ممسك الخزانة » والمراد ، المتولى لأمرها (١) .

خازندار الكيس : أنظر ماسبق ص ٦٥ من المتن .

الخاصكية : يستفاد مما ذكرته المصادر عن الخاصكية ، أنهم جماعة من مماليك السلطان فى مصر فى العصر المملوكى . وهم مختصون بالسلطان بمثابة حرسه الخاص ، يدخلون عليه فى أى وقت وبدون إذن ، ويلازمونه فى خلواته ، ويُجهزون فى المهمات الشريفة ، ويركبون لركوب السلطان ليلا ونهاراً ، ولا يتخلفون عنه فى قرب ولا فى بعد ، ويسوقون المحمل الشريف ، وهم المتعينون للامرة ، والمقربون فى المماسكة (٢) .

الخاصكية الكبار : لم تذكر المصادر تعريفا للخاصكية الكبار ، ولكن يبدو – بحسب نص المتن ص ٧١ – أن الخاصكية مراتب ، منهم ذوى الرتب الكبيرة ، ومنهم ذوى الرتب الأقل .

الخانقاه : ويقال لها أيضا « خانكاه » (وجمع خانكاه : خوانك ، وجمع خانقاه : خانقاهات) . والخانقاه لفظ فارسى ، معناه البيت أو المعبد

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٥ / ٤٦٣ (بتصرف) .

(٢) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ – ١١٦ ؛ للقريزى : السلوك ١ / ٦٤٤ حاشية ٤ .

أو الدير، ثم أطلق اللفظ على المكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة (١).

خلعة مغربية: الخلعة، هي هدية من ملبوس يهديها الحاكم إلى كبار رجال الدولة وغيرهم من الزوار الأجانب. ولكل ملبوس تسمية خاصة به كانت معروفة في ذلك الوقت، مثل «خلعة مغربية» ولم نجد لها وصفا.

الخواجا: لقب يطلق على التاجر الكبير، والكاتب، والمعلم (٢).

الدبابيس: (المفرد: دبوس)؛ والدبوس آلة حربية، وهي عبارة عن هراوة مدملكة الرأس (٣).

الدهنج: (بفتح الهاء)، جوهر كالزمرد (٤).

الدوادار: لفظ مركب من مقطعين: أحدهما، عربي وهو «الدواة» والآخر فارسي وهو «دار» ومعناه «ممسك»، فيكون معنى اللفظ «ممسك الدواة»، وحذفت «الهاء» استثقالا. واللفظ لقب يطلق على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما، ويعهد إليه توابع الوظيفة من تنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال ـ كما في صبح الأعشى (٥) ـ؛ وأما في «الخطط التوفيقية» نقلا عن «مسالك الأبصار»: الدوادار: هو المنوط به توجيه مكاتيب السلطان لأربابها، وتقديم العرضحالات للسلطان، ويستشير الملك

(١) هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية، ص ١٢٩؛ المقريزي: الخطط ٤ / ٢٧١؛ المقريزي السلوك ١ / ١٨٢ حاشية ٤.
(٢) المقريزي: السلوك ١ / ٤٢٠ حاشية ٥.
(٣) محيط المحيط.
(٤) مختار الصحاح.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى ٥ / ٤٦٢.

في الرأي» (١) وكان حملة هذا اللقب على مراتب، منهم: الدوادار الكبير، والدوادار الثاني، والدوادار الصغير، ومعنى هذا أنه كان لكل منهم عمل محدد يختلف عن عمل الآخر لم توضحه المصادر.

الدوادرية: يذكر القلقشندي، أنها وظيفة «موضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف (أي إلى السلطان)، وتقديم البريد، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب، وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء بمرسوم، حمل رسالته وعينت فيما يكتب». وفي هذا التعريف للوظيفة يتفق القلقشندي إلى ـ حد ما ـ مع صاحب «مسالك الأبصار» في حقيقة عمل «الدويدار».

الدوادارية الكبرى: يفهم من هذه التسمية، أنه كانت هناك «دوادارية» أقل منها، ولعل «الدوادارية الكبرى» هو الذي يسمى شاغلها «الدوادار الكبير» الذي يطلق عليه لقب «أمير مائة مقدم ألف».

رأس نوبة: لقب يطلق على الذي يتحدث (يشرف) على مماليك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم، وهم موظفون كثيرون، يطلق على رئيسهم لقب «رأس نوبة النوب»، ويقول القلقشندي: إن هذه التسمية خطأ صدرت من العامة، وأما صحة التسمية هي «رأس رؤوس النوب».

الرنك: (الجمع: رنوك)؛ وهو لفظ فارسي دخل العربية. وله أكثر من

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية ١٥ / ٦٠.

معنى ، مثل : لون ، وكل مادة ملونة ، ووجه الخ . وقد ترجم اللفظ فى العربية إلى « شعار » . وقد كان من عادة كل أمير فى مصر فى عصر السلاطين المماليك ، من كبير وصغير ، أن يكون له « رنك » أى شعار يخصه ، ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم مثل : شون الغلال ، والأملاك ، والمراكب ، وعلى أغطية خيولهم ، وعلى أسلحتهم أيضا (١) .

الزردخانة : وتكتب أيضا «الزردخاناه» وهو الأصح ؛ لفظ من مقطعين ، أحدهما : عربى وهو «الزرد» والآخر فارسى وهو «خانه» . ومعناه « بيت » ، فمعنى اللفظ إذن « بيت الزرد » ، وسمى بهذا الاسم لأنه تودع فيه الدروع المصنوعة من الزرد (٢) .

الزردخاناة السلطانية : هو بيت أو مخزن الدروع الزرد الخاصة بالسلطان .

الزردكاش : لفظ فارسى ، يطلق على من يقوم بصناعة الزرد بصفة خاصة ، وصناعة آلات القتال فى « السلاح خاناه » وفى « الزردخاناه » (٣) .

الزنجير : كلمة فارسية معناها : سلسلة من حلقات الحديد الكبيرة ، ودخلت [العربية] العامية بلفظ جنزير (٤) .

السكة : هى الحديدة التى يطبع عليها الدراهم ، فلذلك سميت الدراهم المضروبة : سكة ( ) .

---

(١) هنداوى : المعجم فى اللغة الفارسية ، ص ١٧١ ؛ القلقشندى صبح الأعشى ٤ / ٦٢
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٤ / ١٢ .
(٣) نفسه : ٤ / ١٢ .
(٤) هنداوى ، المعجم فى اللغة الفارسية .
(٥) الفراء : الأحكام السلطانية ، ص ١٦٧ .

سك العملة : انظر : السكة .

السلارى : قباء (ملبوس) أحدثه الأمير سلار أحد أمراء السلطنة المملوكية بمصر — فسمى القباء باسمه . وكان القباء يعرف قبل ذلك بـ « البغلطاق » (١) .

السنجق : راية (علم) صغيرة صفراء (٢) . (وتكتب أيضا : صنجق ، والجمع : صناجق وسناجق) .

السنجق السلطانى : هى الراية الخاصة بالسلطان ، وهى راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب ، عليها ألقاب السلطان واسمه ، وتسمى أيضا « العصابة » (٣) .

السيفى : لفظ يعنى النسبة . ولعله نسبة إلى فرقة المماليك « السيفية » (٤) .

الشاش : هى «الكلفتة» أو «الكلوت» ، وهى فارسية معناها : طاقية صغيرة ، مصنوعة من الصوف الملطى الأحمر ، عليها عمامة صغيرة ، ثم أخذت ويتغير إسمها باختلاف السلاطين على الحكم (٥) .

شاش بطرفين : هو شاش رفيع موصول بطرفيه حرير أبيض ، مرقوم عليه

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ١ / ٥٢ .
(٢) للقريزى : السلوك ١ / ١٢٤ حاشية ١ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٤ / ٨ .
(٤) شرح الدكتور مصطفى زيادة هذه النسبة شرحاً مطولا فى للقريزى : السلوك ١ / ٧٣٦ حاشية ٥) .
(٥) على مبارك : الخطط التوفيقية ١٢ / ٢٦ ؛ وفى نفس المصدر ١ / ٥٠ ، معنى آخر للفظ (الشاش) .

ألقاب السلطان ، منقوش بالحرير الملون النقوش الباهرة ( ) .

الشطفة الشريفة : الشطفة هي السنجق (أو الصنجق) أو الراية ، الخاصة بالسلطان [٢] .

الشقة : لفظ يطلق على أكثر من شيء ، فقد ورد في « الخطط التوفيقية » أن « الشقة » هي (خيمة مستديرة متسعة) ثم وصفها بشيء من التفصيل ، ثم ذكر تعريفا آخر : « هي شقة من الحرير ، ويفرش عدد منها تحت أرجل فرس السلطان عند عودته من سفر طويل ، ويكون ذلك بعرض طريق الموكب » ، ثم يذكر تعريفا ثالثا ، بأنها حاجز من القماش يوضع حول الخيمة ويسمى عند العجم « سرابردة » [٣] . أما « الشقة » الواردة في (المخطوطه : انظر ماسبق ص ١١٨) فإنها تعني نوع من الملبوس كما يفهم من النص .

الطراز : لفظ يطلق على النسيج الذي يصنع خصيصا للحاكم ، سواء كان : خليفة ، أو سلطانا ، أو ملكا لملبوسه الخاص ، أو ليهديه إلى كبار رجال الدولة من مدنيين وعسكريين ، ولكبار الزائرين من الدول الصديقة والمعاهدة ؛ ويزين الطراز عادة باسم الحاكم أو بشارات (رسمية) أخرى . كذلك جرت العادة بتسمية أنواع الطراز باسم مصممها ، فهناك ، على سبيل المثال ـ الطراز اليلبغاوي ، وهو نسبة إلى مصممه الامير المملوكي يلبغا .

الطلب : فرقة من الفرسان عددها خمسمائة فارس [٤] . (وجمع الطلب : أطلاب) .

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ١ / ٥٠ .
(٢) نفسه : ١٥ / ٥٨ .
(٣) نفسه : ١٢ / ٢٤ و ٢٥ .
(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ / ٦٩٥ .

طوالة : « لم نعثر على معناها » . ولعلها غطاء من القماش يوضع على ظهر الفرس للحلية ، اعتماداً على ما ورد في النص (ص ٥٧) : « طوالة بقماش مغربي » . وقد كانت « الطوالة » على أنواع وكل نوع له تسمية خاصة به ، مثل الطوالة السابقة ، و « طوالة بكنبوش ذهب » و « طوالة نقوش حربي » ، وهي أنواع لم نقف على أوصافها .

العالي : لقب من ألقاب التشريف يطلق على الموظفين الكبار من أرباب السيوف والأقلام . وهو من « العلاء » وهو « الشرف » .[١] (أرباب السيوف هم العسكريون وأرباب الأقلام هم المدنيون) .

الغلمان : (المفرد : غلام) ، وهو في أصل اللغة ، مخصوص بالصبي والصغير والمملوك ، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم ، وكأنهم سموه بذلك لصغره في النفوس . و « الغلام » أيضا : هو الذي يتصدى لخدمة الخيل [٢] .

قاضي العسكر : كان المتبع في الجيوش الإسلامية ، أن يكون لكل جيش قاضي أو أكثر ليفصلوا في الخصومات التي تحدث بين الجند وبعضهم بعضا ، سواء في الإقامة أو في ميادين القتال .

القماش : لفظ يطلق على الثياب .

كاتب السر : كان يشغل وظيفة رئاسة ديوان الإنشاء أو ديوان الرسائل ؛ وقد

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٦ / ٢٠ .
(٢) نفسه : ٥ / ٤٧١ .

تحدث القلقشندى عن هذه الوظيفة وتطورها فى الحكومات الإسلامية بالتفصيل [١] .

الكاشف : وظيفته الإشراف على الجسور الزراعية، يعاونه خَوَلَهُ ومهندسون، يقومون على تعميرها وإصلاحها ، ويقال لهذا الكاشف ، « كاشف الجسور » [٢] . (وجمع الكاشف : الكشاف) .

كاشف الصعيد : هو المتولى أمر الجسور فى الوجه القبلى .

كاشف الكشاف : ليس لدينا تعريفا عنه ، ويبدو أنه رئيس الكشاف .

الكافل : هو نائب السلطان . وكان للسلطان أكثر من « كافل » — أى نائب — ، فنائبه فى القاهرة يطلق عليه « كافل الممالك الاسلامية »[٣]، ونائبه فى دمشق يقال له « كافل المملكة الشامية » ، ونائبه فى حلب يقال له « كافل المملكة الحلبية » وهكذا فى كل مدينة كبيرة هامة.

الكاملية : نوع من الملابس الخارجية كالعباءة[٤] . وللكاملية تسميات بحسب أنواعها فنها : « كاملية بسمور » ، أى محلاة بفرو الحيوان الذى يقال له « السمور » وفراؤه ثمين ، ومنها أيضا : « كاملية سمورا طرشا » و « كاملية مغربة سمورا طرشا » ، ولم نعثر على معنى اللفظين « مغربة » و « طرشا » .

الكبيرى : لم نقف على معنى اللفظ ، ولكن يفهم من « النص » ، أنه لقب يطلق على الشخص للتعظيم .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ١ / ١٠٤ .
(٢) نفسه : ٣ / ٤٥٥ .
(٣) نفسه : ٥ / ٤٥٤ .
(٤) المقريزى : السلوك : ٢ / ٦٨ .

الكخيا : لقب ، ويقال له أيضا « كتخدا » ، و « الكتخدا » لفظ فارسى صحة كتابته « كد خدا » ، وله أكثر من معنى ، مثل : ملك ، رئيس ، عمدة ، حاكم [١]

الكريم : لقب من ألقاب التشريف يطلق على رجال الدولة ممن يحملون لقب « المقر » و « المقام » [٢] .

كشوفية الكشاف : هى الوظيفة التى يشغلها رئيس الكشاف (انظر : كاشف الكشاف) .

الكفيل : لعله هو « الكافل » ، أو « الضامن » . (وجمع الكفيل : الكفلاء)

الكلوتة : غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة . (وتجمع على : كلوتات ، وكلاوات) وتسمى أيضا : « كلفة » و « كلفتاه » و « كلفته » [٣] .

الكنبوش : هى البرذعة التى تجعل تحت سرج الفرس [٤] .

المالكى : لقب يطلق على كبار رجال الدولة من أرباب السيوف والأقلام للتشريف ، واللقب نسبة إلى « المالك » — الذى هو خلاف المملوك — للمبالغة [٥] .

المباشر : يبدو أنه الموظف فى دواوين الحكومة ، ففى كتاب « زبدة كشف الممالك » ، أن « ديوان الخزانة الشريفة » له : ناظر ، وعدة مباشرين .

---

(١) هنداوى : المعجم فى اللغة الفارسية ؛ شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق ، ص ٢١ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٦ / ٢٤ .
(٣) المقريزى : السلوك ١ / ٤٩٣ حاشية ١ .
(٤) محيط المحيط .
(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ٦ / ٢٥ .

وكذلك « ديوان الأوقاف » وغيره من الدواوين (١) .

المجلس : لقب يطلق على كبار رجال الدولة من أرباب السيوف والأقلام ، ويقال فيه « المجلس العالى » و « المجلس السامى » ، وأما « مجلس » (المجرد من الألف واللام) فيعنى شيئا آخر ، مثل: « مجلس الأمير » و « مجلس القاضى » فإنه يعنى « الاجتماع » (٢) .

المخدومى : لقب مختص بالمكاتبات ، وهو نسبة إلى « المخدوم » للمبالغة . والمراد بالمخدوم من هو فى رتبة أن يكون مخدوما لعلو رتبته وسمو محله (٣) .

مدبر الدولة : لقب يطلق على الوزير . ويقال له أيضا « مدبر الممالك » (٤) .

المقام : (بفتح الميم) وهو من الألقاب الخاصة بالملوك ، يكنون به عن السلطان تعظيما له عن التفوه باسمه . ويقال فيه : « المقام الشريف » ، « المقام الشريف العالى » ، وربما قيل فيه « المقام العالى » (٥) .

مقدم ألف : أنظر ماسبق ، « أمير مائة » .

المقر : (بفتح الميم والقاف) . لقب يختص بكبار الأمراء ، وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجرى مجراهم . كناظر الجيش ، وناظر الخاص ، وناظر الدولة وغيرهم ؛ ويقال فيه «المقر الأشرف» و « المقر الشريف العالى » و « المقر الكريم العالى » (٦) .

---

(١) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٩ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى : ٥ / ٤٩٦ - ٤٩٧ .
(٣) نفسه : ٦ / ٢٧ .
(٤) نفسه : ٦ / ٩٦ .
(٥) نفسه : ٥ / ٤٩٣ .
(٦) نفسه ٥ / ٤٩٥ .

المماليك البحرية : لعلهم « الأجناد البحرية » ، وهم الطبقة الثالثة من الجند ، ويبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان فى السفر كالحرس (١) .

المماليك السلطانية: هم الطبقة الأولى من أجناد الجيش وأعظمهم شأنا ، وأرفعهم قدرا ، وأشدهم إلى السلطان قربا ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة (٢) .

المماليك المشتريات : هم مماليك السلاطين الذين فى دست الحكم ، ويعرفون فى المراجع باسم المشتروات ، والجلبان ، والأجلاب ؛ وهم يؤلفون الفئة الأولى — مع القرانصة — فئة من فئات الجيش المملوكى الأربع بمصر (٣) .

المنجنيق : آلة من آلات الحرب للحصار ، يصنع من الخشب ، له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل ، رأسه ثقيل وذنبه خفيف ، تجعل كفة المنجنيق التى يوضع فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا إلا أهلكه (٤) .

المهمندار : هو المشرف على دار الضيافة التى ينزلها الرسل والعربان الواردين على السلطان ويتحدث بشأنهم مع السلطان . واللفظ فارسى مركب من مقطعين : أحدهما فارسى وهو « مهمن » ومعناه : الضيف ، والآخر « دار » ومعناه : ممسك ، فيكون معنى اللفظ « ممسك الضيف » ، والمراد التصدى لأمره (٥) .

---

(١) القلقشندى : ٤ / ١٦ .
(٢) نفسه : ٤ / ١٥
(٣) العرينى : المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ١٩٥٦ ص ٤٧ .
(٤) القلقشندى : ٢ / ١٤٤ .
(٥) نفسه : ٥ / ٤٥٩ .

الناظر : هو من ينظر فى الأموال وينفذ تصرفاتها ، ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ، فيمضى ما يمضى ويرد مايرد . وهناك أكثر من ناظر ، مثل . « ناظر الجيش » ، وهو الذى يتحدث فى أمر الجيوش وضبطها ، و « ناظر الخاص » وهو الذى ينظر فى خاص أموال السلطان ، و « ناظر الدواوين » أو « ناظر الدولة » وهو يشارك الوزير فى التصرف[1].

النائب : انظر ما سبق ، الكافل .

---

(١) نفسه : ٥ /٤٦٥ (وفى المصدر معلومات أخرى عن الناظر) .

فهرس الأعلام

ثبت المصادر والمراجع

ابن الأثير : على بن محمد
— التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات : دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م)
— الكامل فى التاريخ . (إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة : ١٣٤٨ هـ)
ابن إياس : محمد بن أحمد
— بدائع الزهور فى وقائع الدهور (صفحات لم تنشر من سنة ٨٥٧ إلى سنة ٨٧٢ — تحقيق الدكتور (محمد مصطفى) ؛ الجزء الثانى (المطبعة الأميرية سنة ١٣١١هـ)
ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله
— المسالك والممالك . (طبعة دى غوية — ليدن ١٨٨٩) .
ابن شاهين : غرس الدين خليل الظاهرى
— زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك : (تحقيق بولس راويس — باريس ١٨٩٤ م) .
ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى .
— شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . (مكتبة القدسى بالقاهرة : ١٣٥٠هـ)
ابن واصل : محمد بن سالم
— مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب . (تحقيق : الدكتور جمال الدين الشيال : ١٩٥٣ م)
الاصطخرى : إبراهيم بن محمد الفارسى ، المعروف بالكرخى .
— المسالك والممالك . (تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحينى: ١٩٦١)
الجوهرى : محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى
— مختار الصحاح .
حاجى خليفة : مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (دار الطباعة المصرية ١٢٧٤هـ)
زامباور : ادورد فون
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في الإسلام . (أخرجه الدكتور زكى محمد حسن وآخرون) (مطبعة جامعة فؤاد الأول : ١٩٥١) .
السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . (مكتبة القدسى - القاهرة)
ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . (مكتبة القدسى بالقاهرة : ١٣٥٠هـ)
الصعيدى : عبد الفتاح الصعيدى ، وحسين يوسف موسى .
- الإفصاح فى فقه اللغة . (مطبعة دار الكتب المصرية : ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩) .
على مبارك (باشا) :
- الخطط التوفيقية الجديدة (المطبعة الأميرية ١٣٠٦هـ)
العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . (نشر مكتبة القدسى بالقاهرة)
القرمانى : أحمد جلبى بن يوسف الدمشقى
- أخبار الدول وآثار الأول (بغداد ١٢٨٢ هـ)
القلقشندى : أبو العباس أحمد
- صبح الأعشى فى صناعة الانشا . (المطبعة الأميرية ١٩١٣ - ١٩١٤) .
- قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان (تحقيق إبراهيم الأبيارى - الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م : دار الكتب الحديثة بالقاهرة)
ل . سترانج .
- بلدان الخلافة الشرقية . (بغداد ١٣٧٣ هـ)
المقريزى : أحمد بن على
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (مطبعة النيل بمصر ١٣٢٤ هـ)
- السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة)
هنداوى : محمد موسى (الدكتور)
- المعجم فى اللغة الفارسية . (مكتبة مطبعة مصر)
ياقوت : ابن عبد الله الحموى الرومى .
- معجم البلدان .


٦٨ شارع العباسية
تليفون ٨٤٧٨٥١